الجريسي

سيرة ومسيرة عبد الرحمن بن علي الجريسي

عميد رجال الأعمال

ورئيس مجلس الغرف السعودية

د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الكتاب
رقم الفسح
الناشر
المطبعة

الجريسي

سيرة ومسيرة عبد الرحمن بن علي الجريسي

عميد رجال الأعمال

ورئيس مجلس الغرف السعودية

تأليف

د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي

إهداء

أبي..
هذه الكلمات التي سطَّرَتها الحقيقةُ بحِبرِ يَراعتي
نَمَتْ في رَحِمِ حُبِّك...
وترَعرَعَتْ في بَلاطِ عِزِّك...
وكبُرَتْ في ظلِّ رعايَتِك...
ثمَّ انتظَمَتْ كالقَصيدةِ المُطرِبَةِ في كتابٍ هو منكَ ولك.
فإليكَ أيُّها الغالي أُهديها
وأستَميحُكَ العُذرَ في إطْلاعِ المحبِّينَ عليها.
وإلى كلِّ مَنْ يَستَهويهِ عِشقُ البحثِ عن قصصِ النَّجاح
وكلُّ الجادِّينَ في سَعيهِم للوصولِ إلى ما وصَلتُم إليه.

خالد

فهرس الموضوعات

الإهداء..... ٥

المقدِّمة..... ١٣

الفصل الأول : المولد والنشأة..... ١٧

مَسقطُ الرأس ١٩

الميلاد ١٩

في رِحابِ القرية ١٩

إشراقاتٌ قَرَوية ٢١

قَبَسٌ من الضِّياء ٢٢

في كَنَفِ الأُسرَة ٢٢

رحيلٌ مبكِّر ٢٥

الجدَّةُ الرَّؤُوم ٢٦

المَحْضِنُ الأول ٢٩

الغِراسُ الأولى ٣٠

في كُتَّابِ القرية ٣٠

عَصا المعلِّم ٣٢

آثارٌ باقِية ٣٣

الفصل الثاني : من ضِيق القريةِ إلى سَعَةِ المدينة..... ٣٥

الطريقُ إلى الرِّياض ٣٦

في كَفالةِ العَمِّ ٣٨

الرياضُ قديمًا ٣٩

ما أشْبهَ اليومَ بالأمس ٣٩
المدرسَةُ الأُولى ٤١
تِلْكُم هي مَدْرَسَتي ٤٢
هَمَساتُ وَفاء ٤٥
لُعَب الطفولة ٤٦

الفصل الثالث : من الدِّراسةِ إلى العَمَل ٤٩
المُيولُ الدراسيَّة ٥٠
وداعاً للمدرسة ٥٠
اليومُ الأوَّل ٤١
في كَفالةِ ابنِ نصَّار ٥٢
تنافُسٌ مَحمود ٥٢
الملكُ الإنسان ٥٧
تبَاشِيرُ العِصاميَّة ٦٠
الصورة الشخصية الأولى ٦٢
عَودًا حَميدًا ٦٢
في طَريق النُّضج ٦٥
وَثبةٌ نحوَ المُستقبَل ٦٧

الفصل الرابع : بيت الرياض..... ٧١
أوَّلُ الغَيث ٧٢
ومع العُسر يكون اليُسر ٧٤
إلى عالم التِّقنية ٧٨

النقلة الكبرى ٨٢
انفراد بالأولية ٨٢
ثمرة الجد ٨٤

الفصل الخامس : مجموعة الجريسي..... ٩١
فروعٌ مزهرةٌ، لأصلٍ طيِّبٍ ٩٢
الجريسي وعالم التقنية ١٠٤

الفصل السادس : في الغُرفةِ التِّجاريَّةِ الصِّناعيَّة..... ١٠٧
تتويجٌ مُستَحَقٌّ..... ١٠٨
أبرز الإنجازات ١١٢
شهادة عارف ١١٩
عَطاءاتٌ أُخرى:..... ١٢١
حُنكةٌ في زمنِ الأزَمَات ١٢١
في رئاسة مجلس الغرف السعودية ١٢٥
دروسٌ في الاتِّزانِ والسَّداد ١٢٦
رؤيةٌ من داخلِ الغُرفَة ١٣٦
رؤيةٌ من خارجِ الغرفة ١٤٥

الفصل السابع : مُرتكَزات النَّجاح..... ١٤٩
مُرتكَزات النَّجاح ١٥٠
أسرار النجاح..... ١٥٦
مشاهدات عن قرب ١٥٩

الفصل الثامن : الأسرة..... ١٦٣
الزَّواجُ والذرِّيَّة ١٦٤
العلاقة بالأبناء ١٦٩
السُكنى ١٧١
مع الشِعر ١٧٣
شجرة الأسرة ١٧٥

الفصل التاسع : مَحطَّاتٌ في مَسيرَةِ النَّجاح..... ١٧٧
إنجازاتٌ وطنيَّة ١٧٩
إنجازاتٌ خَيريَّة ١٨٧
تكريمٌ وجوائزُ مُستحَقَّة ١٩٥

الفصل العاشر : آراءٌ ومواقفُ.. إضاءةٌ للجيل..... ٢٠٩
الإدارَة..... ٢١١
عَمَلُ المرأةِ..... ٢١٤
الاستِثمارُ الأجنبيُّ ٢١٧
العَمَلُ المِهْنيُّ..... ٢١٨
الخَصْخَصَة ٢٢٠
السِّياحةُ الداخليةُ من منظورٍ اقتصاديٍّ..... ٢٢٢
صُنع في السُّعودية..... ٢٢٣
السَّعْوَدَة ٢٢٤
اقتصادُنا في دائرةِ العَولَمَة ٢٢٥
المجتمعُ السعوديُّ بينَ الإسرافِ والادِّخار..... ٢٢٧
البَطالَة ٢٢٨
رأيٌ في الأزمَةِ الماليَّةِ العالميَّة ٢٣٠

ثقافةُ الجَودَة ٢٣١
السوقُ الخليجيةُ ومستقبلُ الاقتصادِ الخليجيّ ٢٣٠
دروسٌ مستفادَةٌ من (١١ سبتمبر) ٢٣٣
التنميةُ وبناءُ الإنسان ٢٣٤
سوقُ العمَلِ والحاجةُ إلى التخصُّصاتِ التِّقْنية ٢٣٥
الحياةُ الفِطريةُ من منظورٍ دينيٍّ اقتصاديٍّ ثقافيٍّ ٢٣٦
التنوُّعُ قاعدةً للاستثمار ٢٣٧
كلمات مختصرة ٢٣٨

الفصل الحادي عشر : الجريسي في مرآة عارفيه ٢٤٥
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. رجلٌ من رجالِ المملكة ٢٤٦
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. المُكافِح التِّقْني ٢٤٧
الجريسيُّ.. يستشرفُ المستقبل ٢٤٩
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. شخصيةٌ اقتصاديةٌ متميزةٌ ٢٥١
الجريسيُّ.. ترشيحٌ لمنصِبٍ جديدٍ ٢٥٢
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. وطنيٌّ من الدَّرجَة الأولى ٢٥٥
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. حُضورٌ مُستمرٌّ ٢٥٧
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. كَما عرفتُه ٢٥٨
عبدُ الرحمنِ الجريسيّ.. بصَماتٌ راسِخةٌ ٢٥٩
عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الجريسيُّ ٢٦٠
عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. عِصاميٌّ وشخصيةٌ متميِّزةٌ ٢٦٢
الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ عميدُ تجَّارِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ.. كما أعرفُه ٢٦٥
عبدُ الرحمن الجريسيُّ.. أخٌ عزيزٌ ٢٦٦
الخاتمة ٢٦٨

المقدِّمةُ:

اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ؛ بما خلقتَنا ورزقتَنا، وهديتَنا ووفَّقتَنا، ولك الحمدُ على جميع نعْمائكَ وآلائكَ؛ حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، ملءَ السَّمواتِ وملءَ الأرضِ وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، لك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمدُ إذا رَضيتَ، ولك الحمدُ بعدَ الرضا، ولك الحمدُ أبدًا أبدًا أبدًا، وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا وحبيبِنا، وأُسوتِنا وقُدوتِنا، معلِّمِ الناسِ الخيرَ: محمَّدِ بنِ عبدِالله، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: فإن من يسمع بمكانة عبدالرحمن بن علي الجريسي وإسهاماته الاقتصادية المتنوعة، وما أسسه من شركات رائدة في عالم التقنية في المملكة العربية السعودية، ثم يعلم أن هذا الرجل نشأ يتيمًا معدمًا في قرية نائية – لا بد له أن يتساءل: كيف استطاعَ ذلك الفتى اليتيمُ أن يتبوَّأ تلك المنزلةَ الرفيعةَ، وأن يُؤَسِّس مجموعةً تجاريةً كبيرةً، متنوعةً في تخصُّصاتها ومجالاتها الاستثمارية، مقدِّمًا نموذجًا مشرقًا لحياةٍ مَلأَى بالإنجازاتِ، ومَلأَى بالصبرِ والدأَبِ وتحقيقِ الطُّموحِ والنجاحِ، في تجرِبَةٍ إنسانيةٍ بديعةٍ، بما فيها من مآسٍ وأفراحٍ، ورجولةٍ وشهامةٍ، ومروءةٍ وكرمٍ.

ولقد تردَّدتُّ مرارًا قبلَ أن أُقْدِمَ على تدوينِ سيرةِ الوالد؛ لشعوري بعِظَمِ هذا العملِ وصُعوبةِ الإحاطةِ به، مع أن فكرةَ توثيقِ سيرتِهِ ومواقفه، كانت تراوِدُني منذُ سنواتٍ، فقد كان هاجسي الأولُ أنْ أَبَرَّ الوالدَ بعملٍ متميِّزٍ يُرضيه، ويرتقي إلى مُستوى نجاحاته الكبرى، ويَفي ببعضِ حقِّهِ عليَّ، ويتسمُ – في الوقتِ عينِهِ – بالحياد والموضوعيَّة في سَردِ تجربته في الحياة، وما قد يكونُ فيها من العِظَةِ والعِبرَةِ والنفعِ العظيمِ للشبابِ الطَّموح، وهم يَرْنُونَ بأبصارِهم نحوَ المستقبلِ الواعدِ؛ ليكونوا أكثرَ وعيًا بحاضرِهم ومستقبلِهم.

رغبتُ في أن أقدِّم نموذجًا لمربِّي أسرةٍ ناجحٍ، استطاع أن يصلَ بأبنائه إلى أفضلِ الدرجاتِ العلميَّة، وأرقى درجاتِ التفوُّقِ والتأثيرِ في مجتمعِهم، نموذجًا لرجلِ الإدارةِ والأعمالِ الذي استطاع أن يبنيَ مجموعةَ شركاتٍ ناجحة، واضعًا نُصْبَ عينَيه بناءَ وطنِه والإسهامَ في رِفعَةِ شأنه، نموذجًا لإنسانٍ انطلق بإرادةٍ صُلبةٍ وعزيمةٍ قويةٍ، متسلِّحًا بفكرٍ واعٍ، وهدفٍ واضحٍ، خاطًّا لنفسِه منهجًا سديدًا ينتهِجُهُ لتحقيقِ أهدافِه، ولم يعُدَّ المالَ سوى وسيلةٍ سخَّرها اللهُ له لإسعادِ نفسِه والآخرينَ من حوله، ولقربي منه أبصرتُ فيه ما لم يُبصِره الآخرونَ، وما زالت أَماراتُ التميُّزِ تتكَشَّفُ لي، كلما أرقبُ موقفًا، أو أشهَدُ إنجازًا.

ولم يستمرَّ تردُّدي طويلاً، فعزَمتُ على تدوينِ ما عرفتُ من سيرةِ والدي وعطاءاتِه وآرائِه ومواقفه، وكان ما بدَّدَ هَواجسي السابقةَ هو عَزمي– بإذن الله– على التزامِ الصِّدقِ والأمانةِ والموضوعيَّةِ فيما أخطُّهُ

وأدوِّنُهُ؛ واضعًا نُصبَ عينيَّ: أن ما أكتبُهُ هو تاريخٌ مُهِمٌّ حافلٌ، وتَجربةٌ إنسانيةٌ نفيسةٌ، يمكنُ أن يستمدَّ منها الدارسونَ معلوماتٍ صحيحةً موثَّقةً عن حياةِ صاحبِ هذه السِّيرة، وعن عصرِه وبعضِ ما يتصلُ بشأنه؛ لذلك كان لزامًا عليَّ أن أختارَ في كتابتي أسلوبًا واضحًا سهلاً، يُراعي – إلى حدٍّ كبيرٍ – التدرُّجَ الزمنيَّ للأحداث، وينأى عن الأُسلوبِ الرِّوائيِّ، الذي يُطلق العِنانَ للخَيالِ في بناءِ شخصيَّاتٍ غيرِ حقيقيَّةٍ وأحداثٍ لا وجودَ لها.

ولعل ما شجَّعَني على تدوينِ سيرةِ والدي هو أنني من أكثرِ الناس قُربًا منه، فقد عشتُ معه موظَّفًا ومسؤولاً عن عدد من الشركات؛ أهمها: شركةُ بيتِ الرياض، فرأيتُ فيه مثالاً للإداريِّ الحازم. وعشتُ معه في البيتِ ابنًا من أولاده، ورأيتُ فيه الأبَ الناصحَ، والمربيَ المشفق. وإنَّ تخصُّصي في دراسة الإدارة مع ممارسةِ العملِ الإداريِّ سنواتٍ مديدةً أتاح لي الوقوفَ على سِماتٍ قياديةٍ في والدي قد لا تُتاحُ في الكتاباتِ الأدبيةِ والصحفية.

وقد رأيتُ تقسيمَ كتابي هذا إلى أحدَ عشَر فصلًا:

تناول الفصلُ الأولُ: (المولد والنشأةُ) تلك المرحلةَ منذ ولادتِه في بلدتِه (رغبة)، حتى انتقالِه عنها والسُّكنى في الرِّياضِ العاصِمَة.

وتضمَّن الفصلُ الثاني: (من رحابِ القرية إلى سعة المدينة)؛ تلك النُّقْلَةَ من مُحيطِ القريةِ الصغيرةِ في وسَطِ الجزيرةِ العربيةِ إلى عاصمةِ المملكة (الرِّياض) التي كانت المنطلَقَ صعودًا نحوَ إثباتِ الذاتِ، وتحقيقِ الطُّموحِ والأهدافِ، وما رافقَ ذلك من تَعَبٍ ونَصَبٍ، وكفاحٍ ونجاحٍ.

وفي الفصلِ الثالث: (من الدِّراسة إلى العمل)؛ تحدَّثتُ عن مرحلةٍ تُعدُّ من أهمِّ المراحلِ في مسيرةِ حياةِ والدي، وهي تعرُّضُه لخبرةٍ جديدة في البيعِ والشِّراء، وقد تشبَّثَ بها طيلةَ حياتِه، فكانت سببَ تغيُّرِ نظرتِه لنفسِه وللحياة، ونَواةً لصُعودِه الماليِّ والاجتماعيِّ.

أما الفصلُ الرابع: (بيت الرياض)؛ فيتضمَّنُ الحديثَ عن استقلالِه التجاريِّ بعد أن عاش تجربةَ العاملِ الموظَّف، ومن بعدها تجربةَ الشَّريك.

وفي الفصلِ الخامس: (مجموعة الجريسي)؛ تناولتُ مرحلةً أَعُدُّها مرحلةَ النُّضجِ التجاريِّ؛ لأنها أتاحَتْ لوالدي التوسُّعَ بحرِّية، وإعادةَ هيكلةِ مؤسَّستِه ليحوِّلها إلى مجموعةِ شركاتٍ متخصِّصة، شعارُها «الحلُّ الشاملُ للمكتب».

وتناول الفصلُ السادس: (في الغرفة التجارية الصناعية)؛ ملامحَ من التجربَةِ الإداريةِ والاقتصاديةِ التي قضاها

والدي رئيسًا للغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياض ، وكذلك تجربتُه في رئاسة مجلسِ الغُرَفِ السعوديةِ عِدة دورات.

أما الفصلُ السابع: (مرتكزات النجاح)؛ فيتضمَّنُ خُلاصاتٍ من فكرِ الوالدِ الإداريِّ والماليِّ من خلال رؤيتِه لنفسِه ولأعمالِه، ورؤيةِ المتخصِّصينَ الذين عملوا معَهُ عن قُربٍ.

والفصلُ الثامن: (الأسرة)؛ تحدَّثتُ فيه عن بناءِ أسرة الوالدِ وشخصيَّتِه في البيت، وهذا الفصلُ سأكونُ فيه شاهدَ عِيانٍ؛ مُستعينًا بنماذجَ من آراء إخواني وأخَواتي، وبعضِ المواقفِ التي عايشوها معه.

والفصلُ التاسع: (محطَّات في مسيرة النجاح)؛ أشَرتُ فيه إلى ملامحَ من إنجازاتِ الوالدِ ومشاركاتِه في مجالسِ إداراتِ بعضِ الشركاتِ والمؤسَّساتِ الخيرية، إضافةً إلى أهمِّ شهاداتِ التقديرِ والأوسمةِ التي حصلَ عليها طيلةَ مسيرتِه العملية.

وفي الفصل العاشر: (آراء ومواقف .. إضاءَة للجيل)؛ أثبتُّ مختاراتٍ من مقالاتٍ نشرها الوالدُ في بعضِ الصُّحُفِ والمجلاتِ على مدار سنواتٍ، وقد تعمَّدتُ استخلاصَ لُبِّ كلِّ مقالةٍ منها.

وفي الفصل الحادي عشر: (عبدالرحمن الجريسي في مرآة عارفيه)؛ أثبتُّ كلماتٍ مختارةً من أشخاص عاشروا الوالد وعايَشُوه، وكتبوا عنه بعض ما عرفوه.

ختامًا: إنِّي لأتشرَّفُ أن أقدِّمَ هذا الكتابَ إلى سيِّدي الوالدِ الحبيبِ، حفظه اللهُ وبارك له في عُمُرِه، تعبيرًا عن نَزْرٍ يسيرٍ ممَّا أُكنُّه في صدري من إجلالٍ ومحبَّةٍ وتقديرٍ له ولجهوده، واعترافًا بفضله السَّابغِ وأياديه البيضِ عليَّ وعلى إخوتي، وبرًّا به ووفاءً لحسنِ تربيتِه ورعايتِه، ومن قبلُ ومن بعدُ: شكرًا للهِ على ما أنعمَ به عليَّ من وافرِ نَعمِه وعاجلِ إحسانِه.

واللهُ من وراءِ القصدِ

د. خالدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجريسيُّ

الفصل الأول

المولد والنشأة

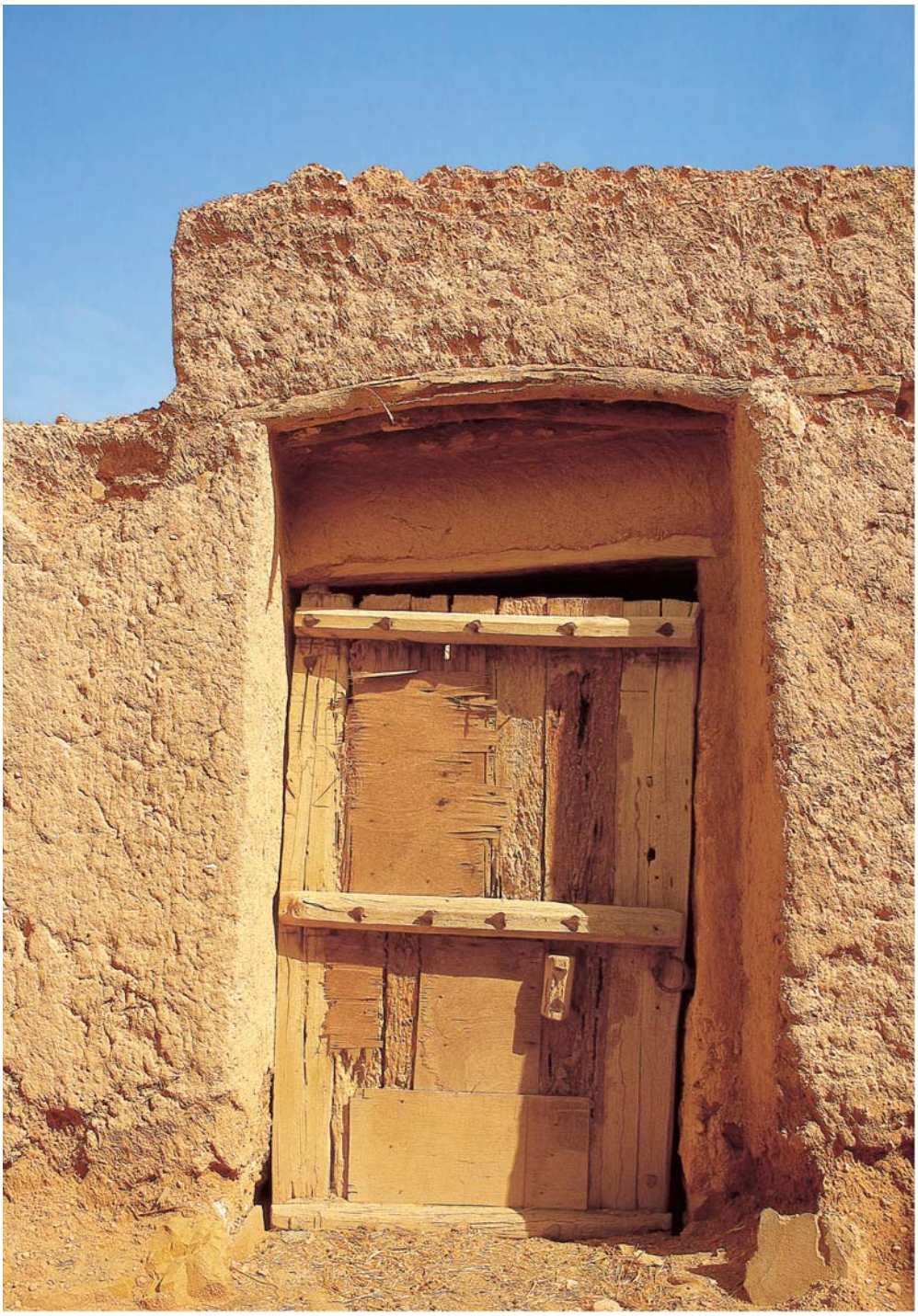

باب المنزل في بلدة رغبة حيث ولد
عبد الرحمن الجريسي

مسقطُ الرأس

في أحضان جبل (طُوَيْق) بهاماته الجليلة، ووسْطَ مظاهرِ الصَّحراءِ بكُثبانها الرمليَّة الممتدَّة، وُلد عبدُالرحمن ابنُ عليٍّ الجريسيُّ، ببلدة (رَغْبَةَ)، التي تقعُ على بعد ١٢٠كم شمالَ غربيّ مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية[١].

ويحدها من الشَّمال: ثادقُ، ومن الشرق: حُرَيملاءُ، ومن الجنوب: العُوَيْندُ والبَرَّةُ، ومن الغرب: ثَرْمَداءُ والقَصَبُ، وتَتْبَعُ إداريًّا محافظةَ ثادق، التابعة لإمارة منطقة الرياض.

الميلاد

وكان مولده بعد سنة السّبَلة بثلاث سنوات (وهذا يوافق العام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، حسب ما أخبرته والدتُه وبعضُ أعمامه وعمَّاته؛ ذلك أن المجتمعات الصغيرةَ في ذلك الوقت لم يكن أهلها يؤرِّخونَ فيها بالسنوات، وإنما بأهمِّ الأحداث التي تقع في محيطهم؛ كسيل جارف، أو ربيع نافع، أو وباء، فيُقال مثلاً: سنةُ الرحمة، أو سنةُ ساحوت. وأحيانًا يؤرِّخونَ بأحداث سياسية بارزة؛ من أشهرها: سنةُ السّبَلة التي تؤرِّخ لمعركة وقعت في روضة السبلة، قُربَ الزُّلفي بين قوَّات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز وقوَّات الإخوان[٢] عام ١٣٤٨هـ.

وهذا ما سهَّلَ حفظَ تاريخ مولده؛ لأن تلك الواقعةَ هي من أشهرِ الأحداث، وما تزالُ ذكراها محفورةً في ذاكرة كبار السنِّ.

عندما أتأمَّلُ تاريخَ الوالد ومسيرةَ حياته وحياة العَشَرات من رجال الأعمال الذين يُقاربونه سنًّا، أستطيعُ أن أقرأَ تطوُّرَ تاريخ المملكة، وذلك عبرَ مواكبتهم تلك النُّقلَة النوعيَّة من المجتمعات المحدودة وشَظَف العَيش إلى عصرِ المملكة الحديث بتنظيماته وتقنياته.

في رحاب القرية

يحدِّثُنا الوالدُ عن ملامح المَعيشَة في قريته، فيقول:

«كانت الحياةُ في (رَغْبَةَ) في منتصف القرن الهجري الماضي قاسيةً جدًّا، لكنَّها امتازت ببساطتها؛ إذ كان طعامُ الأسرة من التمر والقمح والحليب واللَّبن، وإذا توافرَ هذا لأسرة كنا نعدُّهم من الأثرياء ولم نكنْ نعرفُ في ذلك الوقت من الفاكهة إلا العِبْري، أما سواهُ من الفاكهة فكنَّا نسمعُ عنه فقط، ولم نكن نعرفُ الشايَ والسكَّرَ والأرزَّ، فضلاً عن اللحم الذي لم نكن نتناوَلُهُ إلا نادرًا.

---

١. لمزيد من المعلومات عن بلدة رغبة وتاريخها وأبرز معالمها يمكن الرجوع إلى كتاب : (الجريسي، خالد بن عبدالرحمن، رغبة، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤م).

٢. كانت بداية نشأة حركة الإخوان عام ١٣٢٩هـ. وكانت الأرطاوية هي أول مستوطنة (هجرة) للإخوان؛ بينما كانت الغطغط هي أكبر الهجر. وسميت الهجر بذلك لأن سكانها هجروا حياة الغزو والترحال إلى حياة التدين والاستقرار.

أما الفِراشُ، فكان من الحُصُرِ المبسوطةِ على الأرضِ، وكنا نستخدمُها في جلوسِنا نهارًا، وفي نومِنا ليلاً.

وكان بناءُ المساكنِ من أحجارِ الجبالِ، وخليطٍ من الطينِ والقشِّ، وكانت سقوفُها من جُذوعِ النخيلِ وجَريدِه، وإنني لأعجَبُ: كيف أمكنَ لهذه الموادِّ البُدائيةِ أن تقيمَ مساكنَ متماسكةً لا نزالُ نشاهد بعضَها قائمًا حتى اليوم!

وأما العنايةُ الطبيَّةُ بمفهومِها الحديثِ، فكانت معدومةً، وكان الناسُ يعتمدونَ على الطبِّ الشعبيِّ، ولم يكونوا يعرفون من الدواءِ إلا الأعشابَ، بيدَ أنَّ الذين يلجَؤون إليها قلَّةٌ؛ إذ كان أغلبُ الناسِ يفوِّضونَ الأمرَ إلى الله- سبحانه وتعالى- ويُعانون آلامَ المرضِ حتى يشفيَهُم الله أو يتوفَّاهم، وقد يتركُ المَرضُ عاهةً مستديمةً؛ كالشَّللِ أو العَمى أو الجُدَريِّ، فلم يكنِ التطعيمُ ضدَّ الأمراضِ الوَبائيةِ معروفًا آنذاك.

وكانت معارفُ القَرَويِّينَ وثقافاتُهم تتمثَّلُ في أحاديثِ المشافهةِ التي تدورُ في المجالسِ والمناسباتِ، والتي تكون - غالبًا - في شؤونِ الزراعةِ ومشكلاتِ رَعْيِ الماشية، وكانتِ المناقشاتُ تحتدمُ أحيانًا فيما يقومُ بين الناسِ من مُنازعات.

الطريق إلى بلدة رغبة للقادم من جهة البير

جبل خشم الحصان
على مشارف بلدة رغبة
وهو من سلسلة جبال طويق

ومن الطبيعيِّ في ظلِّ هذه الظُّروف شديدة القسوة، ألاَّ يحظى الأطفالُ بالعناية الكافية التي يحظى بها أمثالُهم في الوقت الحاضر؛ وذلك لأسباب كثيرة؛ منها: انشغالُ الناس بحياتهمُ اليوميَّة، وسعيُهم وراءَ لقمة العيش، وقلَّةُ الوعي الثقافيِّ والصحِّيِّ والاجتماعيِّ، والقناعةُ العامَّةُ السائدةُ عندَ الكثيرينَ بضرورة عدم تدليل الطفل، وضرورة السعي في إعداده لمواجهة الحياة بحُلوها ومُرِّها، وأفراحها وأتراحها، مثلما واجَهَها أسلافُه من قبلُ، حتى إذا نما وكَبِرَ يكونُ قد اعتادَ تحمُّلَ المشاقِّ، وألِفَ شَظَفَ العيش وخُشونتَهُ».

إشراقاتٌ قَرَويةٌ

ومع كلِّ هذه المظاهرِ الاجتماعيةِ والثقافيةِ والماديةِ الريفيَّةِ التي ذكرها الوالدُ عن مجتمعِ القريةِ آنذاكَ، فإنه يستطردُ قائلاً:

«إنَّ لديَّ كلمةَ حقٍّ يجبُ أن تُقالَ عن ذاك المجتمعِ القَرَويِّ: إنه كان مجتمعًا معتزًّا بدينه، متمسِّكًا بعاداته وتقاليده الأصيلة، ولدى أفراده معرفةٌ بالغةٌ في شؤون الزراعة، ربما يجهلُ المرشدون الزراعيُّون اليومَ بعضًا منها».
ولعلَّ من الحسنِ التوقُّفَ عندَ صورةٍ مُشرقةٍ من صُورِ الحياةِ في القريةِ، في تلكُمُ المرحلةِ، ألا وهي صورةُ

التكافُلِ الاجتماعيِّ الذي كان سائدا، والذي نكادُ نفتقدُهُ في حياتنا اليومَ؛ إذْ جَرَفتنا الحياةُ الماديةُ جَرْفًا، وأصبَحْنا نتسابقُ لاهثين وراءَ الرِّبحِ والمالِ ومظاهرِ الدنيا الجَوفاءِ، غيرَ عابئينَ بجيراننا وأقربِ الناسِ إلينا، ولا مُلتفتينَ إلى ما ينتابُهُم من أحزانٍ ومصائبَ، ولا مشاركينَ لهم في أفراحِهم ومناسباتِهم.

لقد كان من المألوفِ آنذاك أن يَهُبَّ جميعُ سكَّانِ القريةِ للمشاركةِ في الأفراحِ والأتراحِ، وأن يجدَ الفردُ عونًا من جيرانِه في حفرِ البئرِ أو حصادِ الحقلِ، وأن يتنادى الجميعُ لمواجهةِ أيِّ كارثةٍ تَحُلُّ بالقريةِ، وأن يتكفَّلَ الجيرانُ والأقاربُ بعائلةِ المريضِ والمسافرِ، وتتدفَّقُ المعوناتُ- على ضِيْقِ ذاتِ اليدِ- لبناءِ المسكنِ أو مواجهةِ الطارئِ.

إنَّ تعاونَ الناسِ في بناءِ مساجدِهم، وتمهيدِ طرقِهم، وحصادِ مزارعِهم، وحمايةِ مَراعيهم، وإشاعةِ الفرحةِ في أعيادِهم، وبثِّ الطُّمَأنينةِ فيما بينهم؛ برعايةِ المحتاجِ، وإغاثةِ الملهوفِ، ووَقْفِ بعضِ الأملاكِ للإنفاقِ على المساجدِ؛ لَيَدُلُّ على وَحْدَتِهم وأُلْفَتِهم، فكانوا لا تعترضُهم عقَبةٌ إلا نهضوا متكاتفينَ لتذليلِها وتجاوزِها، كلٌّ حَسبَ طاقتِه.

قَبَسٌ من الضِّياء

في ظلالِ هذه البيئةِ نشأ الطفلُ (عبدُ الرحمن) وترعرع، متفتِّحًا وعيُهُ على نماذجَ طيبةٍ من التكافُلِ والعملِ التعاونيِّ والتطوعيِّ الذي كان يجري تحتَ سمعِه وبصرِه في أرجاءِ قريتِه، بثقافتِها الدينيةِ وتقاليدِها العربيةِ الأصيلةِ، فتشرَّبتْ نفسُهُ حبَّ الخيرِ والإيثارَ، والسعيَ في إسعادِ الآخرينَ ومدِّ يدِ العَونِ لهم، والإسهامَ في خدمةِ المجتمعِ.

في كَنَفِ الأُسرَة

نشأ الوالدُ حفظه اللهُ في أسرةٍ مترابطةٍ متآلفةٍ، لكنَّه سَرعانَ ما افتقدَ عمادَ أسرتِه والظلَّ الذي كان يُفترَضُ أن ينموَ في حِجْرِه ويفيءَ إليه، فذاقَ لَوعَةَ اليُتمِ وهو بعدُ غضُّ الإهابِ، لم يشتدَّ له عودٌ، ولم يَقْوَ له ساعدٌ.

وسألتُه حفظه اللهُ عن أبيه؟ فقال:

«ليس لديَّ ذكرياتٌ مُشاهَدةٌ لوالدي رحمه اللهُ؛ فقد تُوفِّيَ وأنا ابنُ سنتينِ فقط؛ لكنني كنتُ دائمًا أرسمُ له صورةً في مخيِّلتي، وأبحثُ في وجهِ جدَّتي (مهرة) وعمِّي محمد عن ملامحِه، وكانت جدَّتي تَصِفُهُ لي وصفًا يوحي - في مُجملِه - بما كان يتمتَّعُ به من طيبةٍ مُفرِطةٍ؛ فقد كانت تروي لي: كيف كان يحملُني على كتفَيه، ليَمنحَني جُرعاتٍ وافرةً من الحنانِ، كأنه كان يشعُر أنه سيفارقُني في هذه الحياةِ مبكِّرًا، ولطالما

حي نبعة في بلدة رغبة كما يبدو من الجو

منظر جوي لعقدة الجريسي التي اتخذ منها الأمير علي الجريسي مقراً لإمارته على بلدة رغبة

حدَّثَتني جدَّتي عن خصاله الحميدة، ثمَّ أدركتُ لمَّا كَبِرتُ أنها كانت ترغَبُ في رسم القُدوة لي بحديثها عنه. كانت الجدةُ تقولُ: إنَّ من أبرز الخصال التي تُعجبُني في (عليٍّ) خَصلةَ الوَرَع وتجنُّب الشُّبُهات، وكان من وَرَعه أنّه إذا بَدَرَ منه خطأٌ حيالَ شخصٍ ما عن غضَبٍ أو غيره، لا يهدأ له بالٌ حتى يَعتذرَ منه ويطلبَ الصَّفْحَ، ويتيقَّنَ أنه سامحَهُ و لم يبقَ في نفسه شيءٌ تجاهَهُ. ومن صفاته الحميدة أيضًا: الصدقُ الذي تمسَّك به في جميع أحواله، وجعلَهُ ميزانًا ومقياسًا في تعامُله مع الناس.

ومع أنَّ أبي لم يكن متعلِّمًا؛ كان ذا وَعْيٍ كبيرٍ، وسَعَة أفقٍ، أستشفُّ ذلك من أحاديث كلِّ مَن عَرَفَهُ؛ فقد كانت أحاديثُهم عنه تفوحُ بطِيْبِ الاحترام والتقدير؛ فهوَ من أُسرةٍ كريمةٍ أبرزُ رُموزها الأميرُ العصَامي: (علي بن محمد الجريسي)؛ الذي تولَّى إمارة بَلدة (رَغْبَة) في عهد الإمام (محمد بن سُعود) رحمه الله، فسَار في الناس سيرةً حسنةً خلَّدتْ ذِكْرهُ في التاريخ[1]، وكَذا ابنهُ الأمير: (خالد بن علي الجريسي)؛ الذي تولَّى إمارة (رَغْبَة) بعد والده، ونَهَجَ نَهْجَهُ.

رحيلٌ مبكِّر

ويتابعُ الوالدُ سردَ ذكرياته فيقول: «كان موتُ أبي رحمه الله فاجعةً مؤلمةً للأسرة عمومًا، وللجدَّة خصوصًا؛ كيف لا وقد كان أثيرًا عندَها، وكانت مولعَةً به؟! وكانت من فَرْط حبِّها له وتعلُّقها به تقولُ: إنَّ ولدي (عليًّا) محروسٌ – بإذن الله – ولن يُصيبَه مكروهٌ! وازداد يقينُها بذلك عَقبَ الحادث الذي تعرَّض له؛ فقد قدَّر الله بحكمته أن يقعَ في بئرٍ جافَّة، يَبْعُدُ قَعرُها زُهاءَ خمسينَ مترًا، وهبَّ أهلُ القرية لإخراجه، وهم لا يُخالجُهم شكٌّ في أنه قد مات؛ فإذا بهم يُفاجَؤون به قد خرج حيًّا بفضل الله تعالى وحفظه، ولكنَّ قدمَيه قد أُصيبَتا بكُسورٍ اضطرَّتْهُ فيما بعدُ إلى أن يلبَسَ حذاءً مناسبًا خاصًّا.

وشبَّ أبي في كَنَف أسرته، قريبًا من والدته التي كانت ترى فيه المستقبلَ الواعدَ والغدَ المشرقَ، ذلك المستقبلُ الذي لم يكن – في قياس الزمن – طويلاً، إذ لم يلبَثْ حتى قضى الله فيه قضاءَهُ الذي لا رادَّ له، فبعدَ أن تناولَ طعامَ العَشاء ذاتَ ليلة، إذا به يصابُ بتسمُّم غذائيٍّ، وما هي إلا أيامٌ قليلةٌ حتى فارقَ الدنيا للقاء الرفيق الأعلى حامدًا شاكرًا، وهو ما يزالُ في مُقتبَلِ العمر، وقد جاوز الأربعينَ بيسير.

هكذا ماتَ رحمه الله من أكلة يسيرة، وهو الذي سقط في غَيابَة بئرٍ عميقةٍ فخرج سالمًا! فسبحانَ الذي بيده الأمرُ، يُحيي ويميتُ، ويفعلُ ما يشاءُ».

---

١. ابن بشر، عثمان، عُنوان المجْد في تاريخ نَجْد، تحقيق عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ، ١٤٠٣هـ، مج٢ (ص٣٥٨).

ويُردِفُ الوالدُ – حفظه اللهُ – قائلاً:

«وعندما أتذكَّرُ ما سمعته عن أبي من فضلٍ وخُلقٍ رضيٍّ، وكيف قُدِّر عليه الموتُ شابًّا، أشعرُ بأنَّ هذه الحياةَ قصيرةٌ مهما طالت، وأنَّ على العاقلِ الحصيفِ أن يقتنصَ ما فيها من الفُرَص، وأن يجتهدَ في استثمارِ أوقاتِه فيما يعودُ عليه بالنفعِ في دينِه ودنياه، مُستذكرًا لطفَ اللهِ به، وعونَهُ له في كلِّ حالٍ.

إذا لَم يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلفَتى فأوَّلُ ما يَجْني عليهِ اجتِهادُهُ

الجدَّةُ الرَّؤوم

لا ينفكُّ الوالد يذكرُ جدَّتَهُ بفخرٍ واعتزازٍ، فيقول:

«بعدَ وفاةِ أبي رحمه اللهُ ـ وكان عمري حينها سنتين ـ قرَّرت والدتي (هَيَا بنت ناصر الجديد) رحمها الله الانتقالَ إلى منزلِ والدَيها في (ثادق) التي تبعدُ عن (رَغْبَةَ) مسافةَ ٢٠ كم – بعدَ قضائها مدَّة العدَّة، وأصرَّتْ جدَّتي لأبي أن أبقى معها؛ إذ كنتُ وحيدًا ليس لي أخٌ ولا أختٌ، فوجدَتْ والدتي – إذْ ذاك – نفسَها مضطرَّةً إلى تلبيةِ رغبة جدَّتي التي كانت تعطِفُ عليَّ ولا تقوى على مفارقَتي، وكنتُ أزورُ والدتي وأخوالي بين حينٍ وآخرَ.

وقد تزوَّجَتْ والدتي بعد ذلك من إبراهيم الصُّوينع رحمه الله، وهو من أهل (البير)، وهي قرية بين (ثادق) و(الصَّفْرا)، وأنجبَتْ منه ثلاثةً من إخواني لأمي، هم: سعد وعبدالعزيز وعبدالله، وأختان هما: حِصَّة ومُوضِي، حفظ الله الجميع.

عشتُ في رعايةِ جدَّتي مُهرة رحمها الله ما قاربَ سبعَ سنين، أنعُمُ بدِفْءِ حَنانها، وحزمِ تربيتها؛ فقد كانت سيدةً يفيضُ قلبُها بالرَّحمة، وذاتَ شخصيةٍ قويةٍ جدًّا، ووجهٍ صارمٍ في ملامحِه وقَسَماته، لكنَّ حزمَها وجدَّها كانا مختلطَين بكثيرٍ من العطفِ والحَنان، وما زلتُ أستشعرُ إلى الآنَ موضعَ كفِّها الحانيةِ وهي تمسحُ بها رأسي، وتقرأ بعضَ آيِ القرآنِ وتدعو اللهَ بأن يباركَ فيَّ ويفتحَ عليَّ، ولقد حَرَصَتْ أشدَّ الحرصِ على سلامتي وحُسنِ تربيتي، ولم تدَّخِر وسعًا من أجل إسعادي. وكان ينتابُها قلقٌ شديدٌ دائمٌ مخافةَ أن تفقدَني كما فَقَدَتْ أبي الغاليَ من قبلُ، وما أكثرَ ما كانتْ تردِّدُ: أنتَ هديةُ عمري من اللهِ سبحانه وتعالى. وكانت ترى فيَّ الأملَ المتبقِّيَ لها من عمرِها، وقد منحَني ذلك شعورًا غريبًا إزاءَها؛ لِما كانت تُفيضُهُ عليَّ من حَنانها وحَدَبِها، وكان ذلك خيرَ تعويضٍ لي عن حَنانِ الأمِّ الذي فقدتُّه بعدَ زواجِها وانتقالِها إلى بلدةٍ أخرى.

لقد كانت جدَّتي رحمها الله أهمَّ شخصيَّةٍ في حياتي، إذْ كانت لي أبًا ناصحًا، وأمًّا رؤومًا، وحِجرًا دافئًا لروحي، ومَلاذًا آمنًا لنفسي، وإنَّ الكلماتِ لتَعجزُ عن بيانِ فضلِها وأياديها السابغةِ عليَّ.

أدوات خزن وتحضير وتناول الطعام التي
كان يستعملها سكان رغبة

ومما لا أنساهُ لجدَّتي، موقفٌ أتذكَّرُهُ اليومَ، وأعتقدُ أنه كان من الأسس المتينة التي صاغَتْ شخصيَّتي: إذْ تعوَّدتُّ أن أسمعَ من بعض أترابي وهم يلعبون بجوار البيت ألفاظاً في السبِّ واللعن لم أعتَدْ سماعَها في بيتنا، ولستُ أدري أترضى جدَّتي إن نطقتُ بهذه الألفاظ أم لا؟ فقلتُ في نفسي: لمَ لا أجرِّبُ؟! فدخلتُ بيتنا وصَعدتُّ أعلى سُلَّم السطح، ووقفتُ هناك وجعلتُ أتلفَّظُ ببعض تلك الألفاظ، لأنظرَ ردَّ فعل جدَّتي، وما إن سَمِعَت مني تلكَ الألفاظَ القبيحةَ حتى صَعِدَت نحوي على عَجَل وهي تضعُ يدها على رأسها وتقول: أخشى أن تنزلَ بنا عقوبةٌ، فلمَّا رأيتُها كذلك علمتُ أنها غضبت، ففرَرتُ منها عبر السُّلَّم الآخَر، وهربتُ خارجَ البيت، فخافت عليَّ وخرجت ورائي تبحثُ عني، حتى وجدَتني في البَرِّ فأعادَتني إلى البيت، ومنذُ ذلك اليوم لم أتفوَّه بأيٍّ من تلك الألفاظ.

إنَّ هذه الحادثةَ وطريقةَ معالجتها بثَّتْ في نفسي شعورًا فطْريًّا: أنَّ على المرء أن يحفَظَ لسانَهُ عمَّا لا يَحْسُن التلفُّظُ به، وأن لكلِّ ذنبٍ عقوبةً لا مَحالة، كما أن لكل طاعة ثوابًا من الله عزَّ وجلَّ، ونما هذا الشعورُ عندي وتجذَّرَ ورسخَ في نفسي رسوخًا، فأصبحت المحاسبةُ عادةً من عاداتي السلوكيَّة، واستقرَّ حبُّ جدَّتي في قلبي، ولم يَفْتَأ يزدادُ ويَعظُمُ مع المواقف والأحداث، وصارت تلك المرأةُ الأميَّةُ التي لم تدخُل مدرسةً ولم تقرأ كتابًا، أستاذةً أتعلَّمُ منها، ومربِّيةً أستَلْهِمُ من توجيهها أعمقَ دروس الحياة، وكان مما أدركتُه في مدرستِها: أن بناءَ كِيانٍ سامقٍ عظيمٍ، يَلزَمُهُ أسسٌ قويَّةٌ متينة.

جانب من بلدة رغبة حيث تبدو أطلال حي نبعة في أعلى الصورة وفي وسطها مسجد أمير بلدة رغبة خالد بن علي الجريسي وفي الأسفل جانب من مزرعة صنع الجراسى

وقد توفِّيَتْ جدَّتي – رحمَها الله وأحسنَ إليها – وكان عمُري يقاربُ عشرَ سنوات، وكانت وفاتُها فاجعةً جديدةً، لقد لاحقَني اليُتمُ ملاحقةَ الخصم لخصمه، مات والدي وعمُري سنتان، وهاجرَت والدتي و لم أعُد أراها إلا في أوقات متباعدة، فكان يُتمًا على يُتمٍ، وما إن وجدتُّ نفسي في جدَّتي حتى ماتت هي أيضاً، وأنا ما زلتُ طفلاً تحت الوصاية.

وأذكرُ في هذا المقام مقدارَ العطف الذي كنتُ أنالُه من جدِّي لأمي الشيخ ناصر الجديد الذي كان من القليلين الذين سافروا إلى الكويت أيامها فاكتَسَبَ ثقافة مقارنةً بأبناء جيله حيث كان شاعرًا يدرك ما يدور في منطقتنا، ويأتي إلى قريتنا (رَغْبَة) في الأعياد ليصطحبَني معه إلى (ثَادق) لزيارة والدتي وجدَّتي لأمي، وأذكرُ أنني كنتُ أرفضُ الذهابَ معه، فكان يُخرج لي عَجينةً أحضرَها معه، ويَعدُني بأنه سيَخبزُها لي في الطريق، فكان هذا إغراءً لي بموافقته والذَّهاب معه، ففي ذلك الحين لم تكن الحَلْوَى والسكَّرياتُ والمكَسَّراتُ معروفةً لدينا، فضلاً عن اللُّعَب، فكنت أذهبُ معه إلى (ثَادق) فإذا مضى عليَّ فيها أيامٌ تعلَّقتُ بها ورغبتُ في البقاء، وحين يأتي موعدُ عودتي إلى (رَغْبَة) أرفضُ العودةَ حتى يُغريَني جدِّي بعجينة أخرى ويبدأ بالتلويح بها فأوافق، وكان هذا دَيْدَنَهُ رحمه الله. لقد كان يتوقَّفُ بنا في الطريق ويجمَعُ الحطبَ ويُشعلُ النارَ ويَخبزُ العجينةَ على هيئة قُرص فنأكُلُها ثم نواصلُ المسير .

كانت حقًّا أيامًا صعبة، لكنها كانت ذاتَ مَذاقٍ خاصٍّ، مَلْأى بالحبِّ والخير والسَّماحة».

المَحْضنُ الأول

ما تزالُ صورةُ البيتِ الذي قضى فيه الوالدُ طفولتَهُ ماثلةً في ذاكرته، ويحدِّثُنا عنه قائلاً:

«ذكرياتي الأولى في بيتِ العائلة في بلدة (رَغْبَة) مُتداخلةٌ؛ فمنها ما اختزنَتْهُ الذاكرةُ، ومنها ما سمعتُهُ من الآخرينَ؛ لكنَّ شعوري بدفءِ ذلك البيتِ لا يزالُ يَسري في عُروقي؛ ومع أنه كان بيتًا صغيرًا متواضعًا بمعايير هذا العصر، إنك لتشعُرُ تحتَ سقفه بسَكينة غامرة، وبالمحبَّة والأُلفة ترفرفُ في أرجائه، وكأنه مبنيٌّ من التِّبْر، لا من الطِّين والتِّبن! كما هي حالُ سائرِ بيوتِ القرية».

في هذا المنزل حَبا عبدُ الرحمن الجريسيُّ صغيرًا، وفي جوانبه لَعِبَ ومَرِحَ، وعاش ذكرياتٍ شتَّى منها المُفرِحُ ومنها المحزنُ، فأنَّى له أن ينساه، وله في كلِّ ركن من أركانه ذكرى ما تزالُ ماثلةً في وجدانه؟! ويرسُمُ لنا من ذكرياته فيه: صورةَ الأسرة المتآلفة وقد تحلَّقَتْ حولَ مَوقد النارِ في أيام الشِّتاء، وماءُ المطرِ مُنهمرٌ على السقف، وها هي ذي الجدَّةُ الحكيمةُ تقصُّ على الجالسينَ قصصَها الجميلةَ الممتعة.

وأرى الوالدَ أحيانًا يقلِّبُ ناظرَيْه في أرجاءِ منزلنا الحاليِّ الرَّحْبِ الفسيحِ في الرياض، وكأنَّ الحَنينَ يعودُ به

إلى بيت الطفولة بجُدرانه الطينيَّة وأثاثه المتواضع، فيُحيي في نفسه ذكريات الزمن الغابر، يومَ كان يتسلَّقُ الجُدرانَ بمهارة واتِّزان، ونشاط وجُرأة، ونظراتُ جدته تُلاحقُهُ باهتمام وقلق، وكأنها تَرجوه أن ينزلَ؛ خوفًا عليه من السقوط، وهو مُستغرقٌ في لَعبه وسروره، غيرَ عابئٍ بشيءٍ من حوله.

ولهذا السبب قام الوالدُ بشراء (صنْع الجرَاسَى)[1] في (رَغْبَة) الذي يعود لعائلة الجريسيِّ من الوَرَثة من أفراد العائلة؛ ليحافظ عليه وعلى تراثه، وأقام فيه مزرعةً يرتادُها بين حين وآخرَ؛ ليُنعشَ فيها مشاعرَه، ويجدِّدَ أحاسيسَه، ويتصلَ بجُذوره، وليربطَنا بـ(رَغْبَة) ذلك الموطنِ العزيزِ على نفوسنا جميعًا.

الغِراسُ الأولى

تحتَ سقف هذا البيت اكتسبَ (عبدُ الرحمن) أُسسَ التربية، وتأصَّلت القيمُ والأخلاقُ في نفسه، وتعلَّم طُرقَ التعاملِ مع الكبار وحُسنَ توقيرهم، والتأدُّبَ بالآداب العامَّة في المجالس، والموائد، وسائر التصرُّفات.

ويروي الوالد لنا شيئًا من ذلك، فيقول:

«كنا نجتمعُ للطعام معًا، ونأكلُ جميعًا من طَبَق واحد، ونقتسمُ رغيفًا مشتركًا، ونلتزمُ في أكلنا وشُربنا بآداب الإسلام، من البَدْء بذكر اسم الله، والحمد له سبحانه عندَ الفَراغ، وما كنَّا نغسلُ أيدينَا حتى نلعقَ أصابعَنا، وكُلُّنا رضًا وسعادةٌ، وألسنَتُنا تَلْهَجُ بذكرِ اللهِ والشُّكرِ له على نِعَمِه وما آتانا من رزقِه الحلالِ الطيِّب».

ويتابعُ قائلاً: وكنا نتعلَّمُ في هذا الجوِّ من المحبة قِيَمًا سامية من قيم ديننا الحنيف؛ مثلَ: وجوب الحفاظ على النِّعمة، والمبادرة إلى التقاط كِسْرَة الخبز حينَ نجدُها على الأرض؛ لئلاَّ تدوسَها الأقدامُ، إلى غير ذلك من الخلال الحميدة التي يُنشَّأُ عليها أبناءُ المسلمينَ في بيئتهم التي تُعَدُّ الأسرةُ فيها المَحْضنَ الأولَ من محاضن التربية؛ فيها تُغرَسُ العاداتُ الإسلاميَّةُ والآدابُ الشرعيَّةُ، في نفوس الصغار، وفيها يكتسبونَ الخبرات؛ ليكونوا رجالَ المستقبلِ العاملينَ على رِفعة أُمَّتهم وبناء وطَنهم».

في كُتَّاب القرية

يَدْلفُ الغلامُ عبدُ الرحمن إلى مطلع السنة السادسة من العُمُر، فيصبحُ صبيًّا قد اشتدَّ عُودُهُ، مهيَّأً للالتحاق بالكُتَّاب، وقد كانت إحدى آمالِ والدِه الذي حُرِم القراءةَ والكتابةَ؛ أن يكونَ ابنُهُ أفضلَ حالاً منه في العلم والمعرفة.

منظر من داخل المسجد الطالعي برغبة

١. هي أرض زراعية واسعة بالقرب من (رغبة)، كانت ملكًا لعلي بن محمد الجريسي (جد العائلة) أمير بلدة (رغبة) في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .

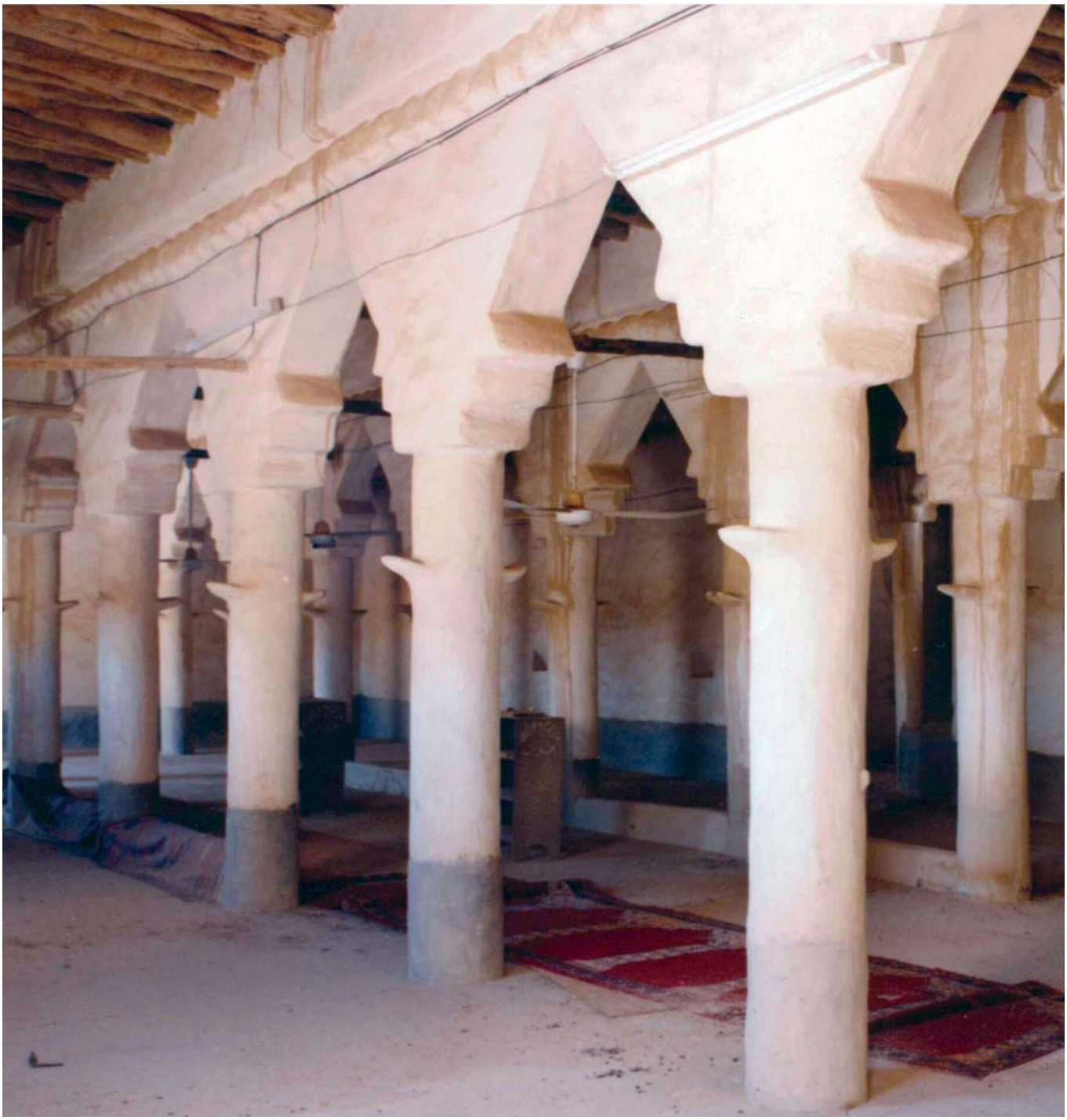

وعن ذكرياتِ الكُتَّابِ يحدِّثُنا الوالدُ، فيقول:

«في ذلك المحيطِ الرِّيفيِّ، كان الكُتَّابُ أوَّلَ مراحلِ التعليم؛ بل كان المرحلةَ الوحيدةَ للتعليم والتهذيبِ، وكان اسمُهُ في قريتنا (كُتَّابَ المطوِّعِ عبد الله بن عُمَر)، وما زلتُ أذكرُ ذلك اليومَ الذي خرَجنا في صباحِهِ الباكرِ لتسجيلي في الكُتَّابِ، الذي لم يَكُنْ سوى غُرفةٍ واحدةٍ من غرفِ بيتِ المطوِّعِ يستخدمُها في تعليمِ الأطفالِ.

دخلنا فرأيناه جالسًا في صدرِ الغرفة، مُسندًا ظهرَهُ إلى الجدارِ، والأطفالُ يفترشون الأرضَ من حولِه، وفي يدِ كلٍّ منهم لوحٌ من الخشبِ؛ إذ لم تكنِ الدفاترُ والأوراقُ متوافرةً حينَها، وهذا اللوحُ أملسُ الوجهين يُراوحُ طولُهُ بين ٣٠ و٤٠ سم، وعرضُه بين ٢٠ و٢٥ سم، يعلُوه مَقْبِضٌ مثبَّتٌ، وفيه سلسلةٌ معدنيَّةٌ يُعلَّقُ بها، يسجِّلُ عليه المطوِّعُ – أو مَن يعتمدُ عليه من الطلابِ المتقدِّمين – المطلوبَ تعلُّمُهُ وحفظُهُ والتدرُّبُ على كتابته. وكان المطوِّعُ يؤدِّي عملَهُ تطوُّعًا دونَ أجرٍ ماديٍّ، محتسبًا أجرَه عندَ الله تعالى. وفي الغالب يقومُ المطوِّعُ في المجتمعاتِ الصغيرةِ كقريتنا بعددٍ من الوظائف الدينيَّة؛ فقد كان هو إمامَ مسجدها، وخطيبَ جامعها، ويؤمُّها في العيدينِ وأوقاتِ الاستغاثة، والكسوفِ والخسوفِ، فضلاً عن عملِه مأذونًا للأنكحَة.

وكان (كتَّاب المطوِّع عبدالله بن عمر) يبعُدُ عن منزلنا قُرابةَ اثنين كيلو متر كنا نقطَعُها مشيًا على الأقدام، وأحيانًا أذهبُ وَحدي، ويُرافقُني صديقي وزميلي في الكُتَّاب (عبدالله الحميدي) في أحيانٍ أُخَر، وكنا إذا عُدنا منه قضَينا بقيةَ نهارنا في اللَّعبِ واللهو، وأتذكَّرُ ممَّن كان يلعبُ معنا (عبدالعزيز بن حسن بن هُوَيمِل)، وإن كان يكبُرُنا سنًّا».

عَصا المعلِّم

ويستطرد الوالد في ذكرياته حول الكُتَّاب، فيقول:

«كان (المعلِّمُ عبدُ الله بنُ عمرَ) يُمسكُ بيدِه عصًا يهزُّها باتجاهاتٍ عشوائيَّة، ويرفعُ صوتَه بينَ حينٍ وآخرَ، مع هزِّ رأسِه هزًّا متَّفقًا مع صوتِه. وكانت أوقاتُ الدراسة بالكتَّاب مرتبطةً بمواقيتِ الصلاة، فامتدادُ الظلِّ وانحسارُهُ وارتفاعُ صوتِ الأذانِ للصلاةِ هي العلاماتُ المعتمَدةُ لبَدءِ التدريسِ وإنهائِه، ولم نكن نعرفُ الساعاتِ حينَها.

وكان التعليمُ مقتصرًا على حفظِ القرآنِ الكريم، وتعلُّمِ الحروفِ والكلماتِ، وقد تمكَّنتُ في المدَّةِ التي قضيتُها في كتَّابِ قريتِنا من إكمالِ حفظِ جُزءِ (عمَّ)، واكتسبتُ بعضَ مهاراتِ القراءةِ والكتابة، ولم

أُحصِّل ذلك دونَ تلقِّي بعضِ اللَّسَعاتِ من العصا الطويلة، التي كانت ملازمةً لشيخنا المطوِّع؛ يحافظُ بها على انضباطِ الأولاد، ويُعاقبُ المقصِّرينَ منهم، حتى إنَّ الطلابَ الذين كانوا يجلسون في الصُّفوفِ الخلفيَّة لم يَسْلَموا منها، وكان يؤدِّبُ بها المخالفين بقَرَعاتٍ على الرأسِ والبَدَن.

وحين يتجوَّلُ بيننا، كانت تضطربُ قلوبُنا الغضَّةُ خوفًا ووجَلاً من لَسْعة العصا، وكنا أحيانًا نرتبكُ من الفزَعِ، ونفقدُ الانتباهَ للدرسِ، فلا يدري أحدُنا: أَيُراقبُ حركةَ المطوِّعِ خلفَهُ حَذَرًا، أم يتابعُ الحفظَ؟!

ويتضاعفُ الشعورُ بالرُّعبِ حينَ يدعو المطوِّعُ أحدَنا لإسماعه شيئًا مما حَفِظَهُ؛ ويغدو الانتباهُ موزَّعًا حينها بينَ الحذَرِ من سَطوَةِ العصا، والرغبةِ في حُسنِ الأداء؛ تجنُّبًا للخطأ الموجبِ للعقابِ الفوريِّ، وكثيرًا ما يوقعُ الخوفُ الطالبَ في شَرَكِ العقوبة؛ إذْ يُضعفُ الخوفُ قدرتَهُ على النطق، فيتلجلَجُ ويُخطئُ؛ وينالُ عندئذٍ نصيبَه من العصا، ثم إما أن يستعيدَ قدرتَهُ ويُكملَ القراءةَ على الصوابِ، أو يعودَ إلى مجلسِهِ رِفْقَةَ الإحباطِ والدُّموعِ».

آثارٌ باقية

يتابعُ الوالدُ قائلاً:

«أما يومُ الخميسِ فكان أمتعَ أيامنا في الكُتَّاب، فقد كان المطوِّعُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يجمعُنا فيه، ونحن نحوٌ من عشرين صبيًّا، نتحلَّقُ حولَهُ؛ ليَقُصَّ علينا قصصًا طريفةً ممتعةً من قصصِ القرآنِ والسيرةِ النبويةِ الشريفة وحياةِ الصَّحابةِ الكرام، بأسلوبٍ لطيفٍ مشوِّقٍ، وكنَّا حينَها نرى عن قُربٍ وجهَهُ المُشرقَ الذي تحملُ قَسَماتُهُ سماتِ الحزمِ والتقوى والوَقارِ، ونختمُ اليومَ بدعاءٍ يدعو به ونحنُ نؤمِّنُ من بعده، ثم نغادرُ الكُتَّابَ واحدًا تلْوَ الآخَرِ بعدَ أن نقبِّلَ رأسَهُ؛ تقديرًا واحترامًا.

وعندما أعودُ بالذاكرةِ إلى تلك القصصِ المرويَّة، يتأكدُ لي أثرُ القصَّةِ في غرسِ القيَمِ الأخلاقيَّةِ الحميدةِ في نُفُوسِ المتعلِّمينَ، وبخاصَّةٍ في مرحلةِ الطُّفولة، وما زالتْ تلكمُ القصصُ ماثلةً في نفوسِ أبناءِ جيلِنا حتى اليوم، ومازلنا ننتفعُ بعبَرِها وآثارِها الطيِّبة، وبتنا لا نتقبَّلُ مخالفتَها، أو مَن يُخالفُها.

فرحم اللهُ الشيخَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ، الذي غرسَ أُولى نَبَتاتِ العلمِ والمعرفةِ في صدري».

الفصل الثاني

من رحاب القرية.. إلى سعة المدينة

إنَّ السنوات الثمانيَ التي أمضاها الوالدُ في (رَغْبَةَ) كانت – في مُجملها – مَلأى بالظُّروف القاسية، لكنَّ تلك البيئةَ قد أكسبَتْهُ قوةً ومناعةً، وأسهمَتْ في بناء شخصيَّته ونُضْجه في وقت مبكِّر، وتجلَّى ذلك في طريقة تفكيره السليمة، وسلوكه الجادِّ الإيجابيِّ، الذي أنتجَ هذه الشخصيةَ المتوثِّبةَ دومًا إلى العُلا والتفوُّق، والتحدِّي المستمرِّ للظروف القاسية، متخذةً من تلك الظروف وَقودًا لتوهُّجها، في كلِّ مكانٍ حلَّتْ فيه، وفي كلِّ زمانٍ أحاط بها.

وبانقضاء مرحلة الكُتَّاب في نهاية الخمسينيَّات من القرن الهجريِّ المنصرم، بدأت مرحلةٌ جديدةٌ شديدةُ الأهميَّة للطفل (عبد الرحمن)، وهي مرحلةُ الانتقال إلى الرِّياض مع بداية الستينيَّات الهجرية (١٩٣٩–١٩٤٠م تقريبًا).

الطريقُ إلى الرِّياض

خرج عبدُ الرحمن من (رَغْبَةَ) مُيَمِّمًا وجهَهُ شطرَ العاصمة الرِّياض، طفلاً ريفيًّا يتيمًا؛ لكنْ يملأُ بُرْدَيْه فتًى عظيمُ الطُّموح، يطوي فؤادُه الغضُّ آمالاً عظيمةً. ولقد كانت حقًّا رحلةً شاقَّةً على ابن السنوات الثماني؛ إذ استغرقَتْ يومَين وليلتَين على الجمال في دُروب الصحراء الموحشَة، ينامُ في العَراء برفقة جدَّته، التي لا تفارقُ صورتُها مُخيِّلته، وهي تضمُّه بحُنوٍّ ورأفةٍ على ظهر الجمل؛ حذرَ الوقوع في سراديب ليل الصحراء البَهيم.

وعن هذه الرحلة يروي لنا الوالد، فيقول:

«أذكرُ أنَّ الوقتَ كان صيفًا، وكانت الرحلةُ متعبةً جدًّا، لكن مما خفَّف عني كثيرًا من مشقَّتها وجود جدَّتي وزوجة عمِّي محمد بن عبد الرحمن الجريسيِّ، فكنت أجاذبُ جدَّتي الحنونَ أطرافَ الحديث، وأذكرُ أنني أمطرتُها بوابلٍ من الأسئلة طَوالَ الطريق، وكنتُ في أسئلتي أحاولُ استكشافَ المدينة التي نقصدُها، يدفعُني الشوقُ والحذرُ إلى معرفة طبيعتها وظُروفها ومتطلَّباتها قبلَ الوصول إليها، لتهيئة النفس للتأقلُم مع بيئة جديدة لم آلَفْها ولم أعرِفْها من قبلُ، وشعورٌ غامضٌ ينتابُني بأنَّ هذه المدينةَ ستصيرُ موطني الذي أُقيمُ فيه ما حَييتُ.

بدأ العدُّ التنازليُّ للوصول، عندما لاحَت لنا معالمُ مدينة الرياض من بعيد، وأخذ القلبُ يَخفقُ بشدَّة، فالأمرُ ليس بالهيِّن اليَسير، إنها نُقلةٌ كبيرةٌ؛ من أحضان قرية صغيرة هادئة، إلى مدينة كبيرة تفيضُ بصَخَب الحياة، وحَسْبُ الرِّياض هيبةً وجلالاً أنّ الملكَ عبدَ العزيز – رحمه الله – يَقطُنُها. وما إن بلغَنا صوتُ الحادي مُعلنًا الوصولَ حتى تنفَّستُ الصُّعَداءَ، وشعرتُ كأنَّ الليلَ قد طَوى بساطَهُ؛ لتُشرقَ شمسُ الراحة والأمان».

جانب من سور وأبراج
الرياض القديمة

مدينة الرياض في منتصف
الأربعينيات الميلادية

في كَفالةِ العَمِّ

ويتابعُ الوالدُ – حفظه اللهُ – سردَ ذكرياتِ الانتقالِ إلى الرياضِ، فيقولُ:

«حالَ وصُولِنا إلى الرياض توجَّهنا جميعًا إلى بيتِ عمِّي محمد، ذلك البيت الذي لا أنسى صورتَه أبدًا، كان بيتًا مبنيًّا من الطِّين، تتوسَّطُه فُسحةٌ سماويَّةٌ صغيرةٌ، تحيطُ بها بضعُ غرفٍ صغيرة، لقد كان بيتًا متواضعًا كمعظمِ بيوت الرياضِ آنذاك، لكنَّ النفسَ لا تُخطئُ فيه نمطًا خاصًّا من الراحةِ والاطمئنان، حتى إنه أزالَ من نفسي كلَّ شعورٍ بالغُربة، وكأني لم أبرَحْ (رَغْبَة). والواقع أن الرياضَ لم تكن يومَها تختلفُ كثيرًا عن القريةِ؛ سوى ما تراه من كبر مساحتها، وكثرة منازلها ومحالها التجارية.

أما عمِّي فقد كان لي أبًا بعدَ وفاة أبي، وسندًا لي ومعينًا مع جدَّتي، وقد أحببتُه حبَّ الابنِ لأبيه، وأُولعَ بي ولَعَ الوالدِ بولَده، وما زلتُ أُكنُّ له في صدري كلَّ معاني الإجلالِ والتقدير. لقد عشتُ في كَنَفه في الرياض، فكان أخشى ما يخشاهُ أن أشعرَ بأدنى شعورٍ بالحِرمان؛ لذلك كان غالبًا ما يُؤثرُني على أولاده ويقدِّمُني عليهم، وما كان يشتري لأسرتِه شيئًا، إلا ناداني وقال لي: اخْتَرْ أولاً، تطييبًا لخاطري، وتعويضًا لي عن اليُتم.

أجل لقد كان يراقبُ اللهَ في معاملتِه لي، ويسعى في رضاه، ثم في رضا والدتِه (جدَّتي) التي ما انفكَّتْ تُوصيه بي، وتحُثُّه على إكرامي.

ولا تبرَحُ ذاكرتي تلك اللحظةُ المؤلمةُ التي أسلمَتْ فيها جدَّتي الروحَ لخالقها، لقد سقطتُ أرضًا من عِظَم الصَّدمة، فإذا بيد قوية حانية تمتدُّ وترفعُني، وتربِّتُ عاتقي بلطف، وتمسحُ رأسي بحنان، إنها يدُ عمِّي؛ الذي لم يألُ جهدًا في العطفِ عليَّ والتخفيفِ عنِّي، وتعويضي ما فقدتُّ برحيلِ الجدَّة.

وكان عمِّي هادئَ الطبعِ رزينًا، مشرقَ الوجه، جميلَ المُحَيَّا، يدخلُ علينا في سكينة وهدوء، فنُهرَعُ إليه جميعًا، كبيرُنا قبلَ الصغير، لنقبِّلَ رأسَهُ ووَجْنتَيه، فيبتسمُ على استحياء؛ إذْ كان يرغبُ عن ذلك تواضعًا، وكنا نُؤثرُ فعلَ ذلك تقديرًا ومحبةً. أما أخلاقُهُ وخلالُهُ فطيِّبةٌ راقيةٌ، فهو مثالٌ للمُروءة والشَّهامة، يُبادرُ إلى مساعدة الصغير، ويُسارعُ في مساندة الكبير، يقسو لنُصرة الحقِّ، ويَحْنُو حُنوَّ الأمِّ، قليلُ الكلام، كثيرُ الفعال، إذا تكلَّم نطق حقًّا، وإذا صَمَت ففي صَمْتِه معاني الحكمة ورَجاحة العقل، لَمَّ شملَنا، ورفع ذكرَنا، وصان اسمَ أسرتنا. ذلكم هو عمِّي محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجريسيُّ، الذي نشأتُ في رعايته، وشَبَبْتُ في نُعمى أُنسِه، فمَن له عمٌّ كعمِّي؟!

وقد توفَّاه الله تعالى منذُ ما يقرُبُ من خمسةٍ وأربعين عامًا، أسأله سبحانه أن يتغمَّدَه بواسعِ رحمتِه، وأن يجزيَهُ عني بما هو أهلُه».

الرياضُ قديمًا

لا شكَّ أن الرياضَ تغيَّرتْ كثيرًا عمَّا كانت عليه في الماضي، فكان لا بدَّ من وصفٍ لها مما اختزنَتهُ ذاكرةُ الوالدِ حفظه اللهُ، يقول:

«استحضارُ الذكرياتِ يدعوني إلى الحديثِ عن ملامحِ الرياضِ وأهلِها في أربعينيَّاتِ القرنِ الميلاديِّ الماضي، حين كانتِ الرياضُ مدينةً صغيرةً؛ لا كهرباءَ فيها، ولا ماءَ، ولا هاتفَ، ولا طرق مزفَّتة، مع أنها عاصمةُ البلادِ.

وكانت محاطةً من جهاتها الأربعِ بسورٍ مبنيٍّ من الطينِ واللَّبن[1]، وفيه بوَّاباتُ المدينةِ في شتَّى جهاتها وجوانبها، وهي: بوَّابة آلِ سُوَيلِم، بوَّابة الثُّمَيريِّ، بوَّابة دُخنَةَ، بوَّابة المذبح، بوَّابة الشُّمَيسيِّ، بوَّابة سَلَام. ولم يخرُجْ عنها سوى حلةِ العبيدِ وقهوةِ سعود (فندق الرياض) الواقعِ حاليًّا في الغُرابيِّ، وقد أبقت أمانةُ الرياضِ على بوَّابتَي الثميري ودخنة بعد ترميمهما لتبقَيا شاهدًا للزَّمن على عصرٍ مضى مع موجةِ التطوُّرِ الكبرى.

أما بيوتُها فمبنيَّةٌ من الطينِ، وهذا ما كان شائعًا في بيوتِ نجد كلِّها آنذاكَ، وكان لكلِّ حيٍّ بئرٌ خاصَّةٌ به يستقي منها أهلُهُ، وكان لبعضِ الأثرياءِ – وهم قلَّةٌ حينَها – آبارٌ خاصةٌ في بيوتِهم. ولم تكن عمليةُ جلبِ الماءِ أمرًا يسيرًا؛ إذ كانت البئرُ التي نستقي منها تبعُدُ عن بيتنا نحوًا من خمسينَ مترًا، فكنا نَنْزَحُ منها الماءَ، ونضَعُه في قُدورٍ معدنية، ونَحملُها على رؤوسنا، وتلك القدورُ ثقيلةُ المحملِ وهي فارغةٌ، فما بالُكَ وقد مُلئت بالماءِ! ولم يكنِ الدَّلوُ (السطلُ) معروفًا يومذاك، فلما استوردناهُ وصارَ متوافرًا، سهَّل لنا عمليةَ الاستقاءِ شيئًا ما، لخفَّةِ وزنِه مقارنةً بالقدْرِ المعدنيَّة».

ما أشبهَ اليومَ بالأمس

«وقبلَ أن تتسارعَ عجلةُ التطوُّرِ والرقيِّ، كنا نعيشُ كما عاش سلَفُنا من الآباءِ والأجداد، حياةً يسيرةً خاليةً من التعقيد، ومن كلِّ مظاهرِ الرَّفاهيَةِ والتنعُّم، تتميَّزُ بمتانةِ العلاقاتِ الأُسْريَّةِ وبالتكافُلِ الاجتماعيِّ، وكنا مع حُلولِ الظلامِ نتسامرُ ونتبادلُ القصصَ والأحاديثَ في ضوءِ الفوانيسِ والأتاريك[2]، أما الشوارعُ، فكانت تُضاءُ بأتاريكَ تعلَّقُ في أماكنَ مخصَّصة لها، يقومُ بذلك كلَّ مساءٍ موظَّفٌ يُدعى (الباحوثَ)– وهو يُشبه شركةَ الكهرباءِ في عصرنا الحالي – فكان يعلِّقُها بعصًا يحملُها على عاتقه، ثم يثبِّتُها في أماكنها في أنحاءِ الرياضِ، ولم يكنْ عددُها يزيدُ على العشرين، وفي الصباحِ كان يجمعُها من جديد؛ ليُعاودَ العملَ في الليلةِ التاليةِ. وإنْ تعجَبْ فعجبٌ أن الباحوثَ لو مرض، أو تعذَّر عليه أداءُ الواجبِ لطارئٍ ما، فإن الرياضَ تبيتُ تلكمُ الليلةَ يلفُّها الظلامُ الدامسُ، دونَ بصيصِ نورٍ!

---

١. كان للرياض سورٌ قديم هدَمه الأميرُ عبدالعزيز بن رشيد بعد وقعة الصَّريف عام ١٣١٨هـ، وعندما استعاد الملكُ عبدالعزيز الرياض عام ١٣١٩هـ أعاد بناء الجزء المهدوم.

٢. الأتاريك، جمع أَتْريك: يُطلق في السعودية على الفانوس الذي يُضاء بغاز (الكيروسين)، وفي البحرين وبعض مناطق الخليج على المصباح الكهربائي. ويرى بعضُ الباحثين أن هذه الكلمةَ مأخوذةٌ عن اللفظ الإنكليزي (Electric)، أي: كهربائي، فحُذف منه المقطعُ الأول وهو (أل)، ظنًّا أنه أداةُ التعريف، فبقي (ectric) أَكْتْرِيك، ثم حُذف الكاف منعًا لالتقاء الساكنَين. (د. عبدالرحيم، فاميا، الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها، صفحة ١٧).

أحد أسواق الرياض الكبرى
بالقرب من الجامع الكبير

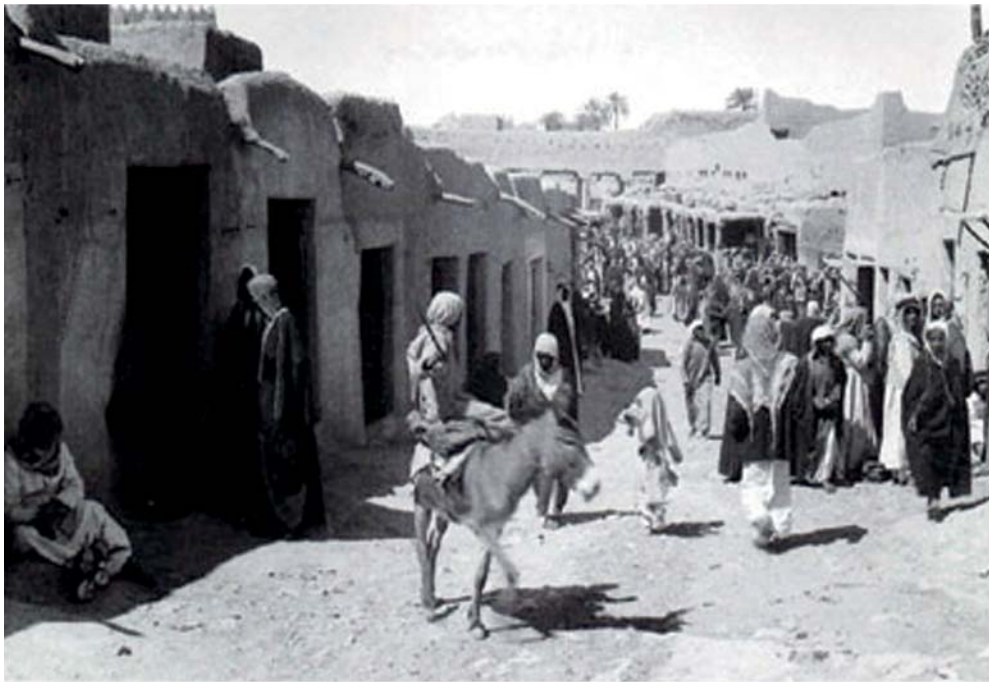

سوق الخرازي ١٩٥٥م

ولم يتغيَّرْ طعامُنا عمَّا كنا نتناولُهُ في القرية، فكان جُلُّه من التمرِ والقمحِ والحليبِ واللَّبنِ، يُعَدُّ على مواقدَ خاصَّةٍ باستخدامِ الحَطَبِ والفَحْمِ، وعلى الرُّغم من تواضعِ ما كنا نتناولُه من طعامٍ لم نكن نحظى بسوى وجبةٍ واحدةٍ في اليوم، وما أزالُ أذكرُ كيف كنا نحتالُ على حَرِّ الرياضِ، بالتبرُّدِ في أيامِ الصيفِ القائظِ بالدُّثُرِ (الشَّراشفِ)؛ نبلِّلُها بالماءِ، ونتدثَّرُ بها؛ لعلَّها تَقينا شيئًا من ذلك الحرِّ.

وكان في المدينة قائدٌ للشُّرطةِ التي لم يتجاوز عددُ أفرادِها العشَرة، أما السياراتُ فلم تزِد عندما قَدِمتُ الرياضَ على أربعِ سيَّارات، وجميعُها للملكِ عبدالعزيز طيَّب الله ثراه.

ويمكنُ أن نوجزَ الحديثَ عن حياتنا في الرياضِ حينها، في أنها امتدادٌ طبيعيٌّ لحقْبَةٍ زمنية طويلة، من الحياةِ الرِّيفيَّةِ البعيدةِ عن كلِّ مظاهرِ المدنيَّةِ المعاصرةِ. ولولا بعضُ الملامحِ الخاصةِ لَما كانَ ثَمَّةَ كبيرُ فرقٍ بين الحياةِ القَرَويةِ وحياةِ العاصمة. ومن أبرزِ تلك الملامحِ كثرةُ الناسِ في المَدينة، وكثرة الأسواق، وتوفر المتطلبات، وسرعةُ التغيُّرِ والتطوُّرِ فيها، وإقامةُ ملكِ البلادِ عبدِ العزيزِ وأبنائِه ومسؤولي الدولةِ وموظَّفيها فيها، فتلك مظاهرُ تستأثرُ بها العاصمةُ عن القرية، ولا تُرى إلا فيها».

المدرسَةُ الأُولى

كان حديثُ الوالدِ عبدِ الرحمنِ الجريسي حفظه اللهُ عن التحاقِه بالمدرسةِ في الرِّياضِ حديثًا ذا شُجونٍ، فهو يحدِّثُنا قائلاً:

«ذكرياتُ الطفولةِ تتَّضحُ معالمُها مع دخولي المدرسةَ الابتدائيةَ، فما إن استقرَّ بنا المقامُ في الرياضِ حتى مضى بي عمِّي محمدٌ رحمه الله إلى كُتَّابِ المطوِّعِ عبدِ الله بنِ سليمانَ القريبِ من بيتنا؛ لأتابعَ ما بدأتُهُ في (رَغْبَةَ) من طلبٍ للعلم، وقد اختار عمِّي هذا الكُتَّابَ استجابةً لرغبةِ جدَّتي في ألاَّ أبتعدَ كثيرًا عن البيتِ؛ حرْصًا على فتاها الصغيرِ القادمِ للتوِّ من القرية. وبقيتُ أدرسُ القرآنَ الكريمَ على يدَي المطوِّعِ ابنِ سليمانَ – رحمه الله – وكان من الأفاضلِ، إلى أن افتُتِحَتْ أولُ مدرسةٍ ابتدائيةٍ رسميَّةٍ في الرِّياضِ، فالتحَقتُ بها على الفَورِ.

ولإنشاءِ هذه المدرسة الرسميةِ في ذلك الوقتِ المبكِّرِ قصَّةٌ جديرةٌ بأن تُروى، وأن يقفَ الجميعُ بكلِّ تقديرٍ لبطَلِها الموفَّق: فبعدَ نهايةِ الحربِ العالميَّةِ الثانيةِ سافرَ الملكُ عبدُ العزيزِ – رحمه اللهُ – إلى مصرَ في زيارةٍ رسميَّةٍ، وانقطعَتْ أخبارُهُ عن المملكةِ زمنًا، ولم يكنْ شيءٌ من وسائلِ الإعلامِ المعاصرةِ قد عُرِفَ حينها، وكانَ يستغرقُ السفرُ وقتًا طويلاً، ويكلِّفُ مشقَّةً وجهدًا كبيرين، فانشغلتْ قلوبُ أهالي الرِّياضِ؛ خوفًا من حُصولِ مكروهٍ لملكِهم الغالي، وأجمعوا أمرَهم على إقامةِ حفلٍ كبيرٍ عند عودتِه سالمًا؛ فَرَحًا وابتهاجًا،

وأعدُّوا للحفلِ عُدَّتَه، وجمعوا من المالِ ما يُعَدُّ في أيامهم مبلغًا كبيرًا. وعندَ رجوعِ الملكِ سالمًا، استقبلوه بالفرحِ والحُبورِ، وخاطبوه بمحبَّةٍ صادقةٍ، قائلين – وكانت عادتُهم مناداتَهُ دونَ ألقابٍ – :

«يا عبدَ العزيزِ، لقد اجتمعنا وقرَّرنا أن نحتفيَ بعودتكَ من رحلتكَ سالمًا بفضلِ اللهِ». وهنا تظهرُ عظمةُ هذا الملكِ الإنسانِ، الذي كان همُّهُ وضعَ المملكةِ على طريقِ العلمِ والرقيِّ في كلِّ الميادينِ، فقال يومها على سَجيَّتِه دونَ تردُّدٍ أو إبطاءٍ: «إذا أردتم أن تحتَفوا بعودتي حقًّا، فأنا أرى أن تجعلونا نبصرُ الاحتفالَ في أعيُنِ أبنائنا، عندما يتعلَّمونَ ويبنونَ بلدَنا، فبدلاً من إنفاقِ هذا المبلغِ على حفلٍ لا يدومُ سوى سُوَيعاتٍ، ابنُوا به مدرسةً تبقى شامخةً عُقودًا، ويتخرَّجُ فيها أجيالٌ بعدَ أجيالٍ، من بُناةِ المستقبلِ وصُنَّاعِ الحضارةِ».

وأَنْعِم به من رأيٍ حصيفٍ، يدلُّ على رجاحةِ العقلِ وبُعدِ النظرِ، أجل فقد كان – رحمه الله – نموذجًا للحكمةِ والعطاءِ، والعملِ الجادِّ لخيرِ دينه ووطنه، وما ذاك إلا أثرٌ من آثارِ تربيته الصالحة، وتنشئته على قِيَمِ الإسلامِ ومبادئه العظيمة، لقد كان الملكُ عبد العزيزِ – باختصارٍ – رجلاً سابقًا لعصره.

و لم يمضِ كثيرُ وقتٍ إلا وأُمنيَّةُ الملكِ قد تحقَّقتْ، وارتفع صرحُ أولِ مدرسةٍ ابتدائيَّةٍ رسميَّةٍ في الرياض، أُطلق عليها اسمُ (المدرسةِ التَّذْكاريَّة)[1].

وما النهضةُ التعليميَّةُ التي تعيشُها بلادُنا اليومَ، إلا نتيجةٌ لإصرارِ الملكِ عبد العزيزِ على دفعِ أبناءِ المملكةِ في اتجاهِ تحصيلِ العلمِ، والاستزادةِ من اكتسابِ المعرفةِ، والأخذِ بأساليبِ الحياةِ الحديثة؛ إذ كان همُّهُ بناءَ دولةٍ موحَّدةٍ قويَّةٍ عصريَّةٍ، يحقِّقُ فيها كثيرًا مما يسمعُهُ من مُستشاريه الذين استقدمَهُم من دولٍ لها قَصَبُ السَّبقِ في التقدُّمِ العلميِّ والأخذِ بمظاهرِ الدولةِ المدنيَّةِ الحديثة، ومضى أبناءُ الملكِ عبد العزيز – الذين تتابَعوا على الحُكمِ من بعده – على سَنن أبيهم في دفعِ عجلةِ التحديث، حتى بلغت المملكةُ العربيَّةُ السعوديَّةُ اليومَ ما بلغت من رُقيٍّ ونهضةٍ وازدهار، باتِّباعِ سياسةٍ دقيقةٍ واضحة، هدفُها المحافظةُ على ما حُقِّق من إنجازات، والعملُ على تثبيتها ودعمها، ثم العملُ الدؤوبُ على تحقيقِ المزيدِ منها».

تِلْكُم هي مَدْرَسَتي

إذن قامت في الرياضِ أولُ مؤسَّسةٍ تعليميَّةٍ حديثةٍ تكفُلُها الدولةُ، وتنظِّمُ الدراسةَ فيها، وكان قيامُها حَدَثًا تاريخيًّا مهمًّا، وبدايةَ تحوُّلٍ كبيرٍ في مجالاتٍ شتَّى.

وكما يقول الوالد : «كانت إجراءاتُ التسجيلِ فيها سهلةً مُيسَّرةً لا تتطلَّبُ شيئًا مما تتطلَّبُهُ الإجراءاتُ في وقتنا الحاضر، وكلُّ ما أذكرُهُ عن تسجيلي: أن عمِّي محمدًا اصطحَبَني مع ابنه عبد الرحمن – وكان في مثل سنِّي – وكلَّم الشيخَ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ سليمٍ مديرَ المدرسةِ، فرحَّبَ بنا، وأجلَسَنا فورًا معَ التلاميذِ،

١. سمِّيت بذلك تذكارًا بسلامةِ الملكِ في عودته من السفر، وهي باقية حتى الآن في حي البطحاء أمام البلدية.

مبنى المدرسة التذكارية

دون أن يطلبَ شيئًا من الأوراق؛ كشهادة الميلاد، والكشف الطبيِّ، فكلُّ ذلك لم يكنْ معروفًا حينَها.

وطلب عمِّي تقييمَ ما تعلمتُه من قبلُ في الكُتَّاب؛ لئلا أُضيعَ سنوات أخرى في تحصيل ما سبق لي تعلُّمُهُ، خصوصًا أني كنتُ قد تجاوزتُ الثانيةَ عشرةَ. فاختبَرَني المديرُ، وكانت النتيجةُ قَبولي في الصفِّ الثالث الابتدائيِّ مباشرةً.

و لم يُشترَطْ للقَبول في المدرسة عمرٌ محدَّدٌ؛ وذلك لإتاحة فُرصة التعلُّم لكلِّ راغب فيه؛ إذْ كانت هي الأولى والوحيدةَ على ما أسلفنا، وقد رأيت في الصفِّ الأول طلابًا ذوي قَامات فارعة، وآخرينَ بدأ الشَّعْرُ ينبُتُ في وجوههم. و لم أعُد أذكرُ ممن زامَلَني في هذه المرحلة التعليمية إلا ابنَ ضَاوي وابن حُسَينان.

وتميَّزت المدرسةُ في بنائها عن معظم مساكن الرياض التقليدية، فكان بناؤُها في نظري أفخمَ بناءٍ في المدينة، وكانت فرصةً لي أن أتعلَّمَ في صَرح حضاريٍّ، وفي جوٍّ من النِّظام الدقيق في الدُّخول والخروج، وحضور الدروس، والاستراحة بين الحِصَص، فضلاً عما امتازَتْ به من مَقاعدَ للجلوس، وألواح للكتابة، وموادَّ تعليميَّة غيرَ تحفيظ القرآن، وكان الجرسُ العلامةَ المعتمَدةَ للإيذان ببَدء الدروس أو انتهائها.

وفي المدرسة فِناءٌ داخليٌّ واسعٌ، مفروشٌ بالرَّمل الأحمر النظيف، وقد غُرس في وسطه نخلتان أَخذَتا بالنموِّ على مرِّ السنينَ، حتى صارتا سامقتَين يستظلّ بهما الطلابُ، وكنا نتعهَّدُهما بالسَّقي بواسطة برْميل يُعبَّأُ من بئر الحيِّ. تِلْكُم هي مدرَستي، وأُولى المدارس في نجد كلِّها، وما أبعَدَ البَون بينها وبين كُتَّاب قريتنا في (رَغْبَةَ)، بل شتَّانَ بينها وبين كتاتيب الرياض نفسها!»

منظر للفصول الدراسية
كما تبدو في منتصف
الأربعينيات الميلادية

هَمَساتُ وَفاء:

«وما زلتُ أذكرُ بالخيرِ كثيرًا من أساتذتي، ممَّن كان لهم الفضلُ في تعليمي وتنشئتي في المدرسة الابتدائيَّة، التي خرَّجَت رجالاً أثْرَوا الحياةَ ونفعَ الله بهم، وأذكرُ من أساتذتي الأفاضل: مديرَ المدرسة الشيخَ عبدَالله ابنَ إبراهيمَ بن سليم، وكان رجلاً مَهيبًا ذا شخصيَّة قويَّة ومتميِّزة؛ علمًا واستقامةً، وحسنَ تعامُلٍ مع التلاميذ والمدرِّسينَ. حتى إن طريقتَهُ في الكلام كانت مميَّزةً، وكان يجمعُ في سَمْته الحزمَ والشدَّةَ مع الحكمة والعَطف، لا يتهاونُ ولا يغُضُّ الطَّرْفَ عن خطأ، وبخاصَّة إذا كان متعلقًا بسُلوك الطالب داخلَ المدرسة أو خارجَها.

تولَّى الشيخُ ابنُ سليم – إضافةً إلى الإدارة – تدريسَ القرآن الكريم، وكان حسنَ الصوت، ذا قراءة مُتقَنة ومؤثِّرة، وكان لدرسه هيبةٌ خاصَّةٌ، وتُطلُّ عليَّ صورتُهُ من وراء السنينَ، وهو جالسٌ على كرسيِّه في الفصل قُبالَتَنا، والعصا لا تكادُ تُفارقُ يدَهُ، وقد اتخذَها من جَريد النخل الأخضر، وإذا ما أراد تنبيهَ طالبٍ من الصفوف الخلفيَّة بعَصاه، فلا بدَّ أن تشملَ حركتُها جميعَ الطلاب في الصُّفوف الأماميَّة.

وكنتُ وزملائي نردِّدُ ما يَنطقُ به بأصوات لم تَخلُ من تنغيم، وكان بعضُنا يجدُ صعوبةً في نُطق بعض الكلمات، فضلاً عن فَهْم معناها، لكنَّ أحدًا منا لم يكن يجرُؤ على سؤاله؛ خشيةَ أن نُثيرَ غضَبَهُ، فكنَّا نكتفي بتلقِّي ما يقولُهُ بالترديد دونَ أيِّ سؤال !

أما المادَّةُ التي أحبَبتُها وسعَيتُ إلى التفوُّق فيها فهي مادَّةُ الحساب، التي كنا نتعلَّمُ فيها الأرقامَ جمعًا وطرحًا، وضربًا وقسمةً، وكان كلُّ ما يُلقى علينا فيها جديدًا، ويتطلَّبُ الانتباهَ الشديدَ، فكنتُ أحرصُ حرصًا مؤكَّدًا على حضور هذا الدرس، وعلى فهم ما نتعلَّمُهُ فيه وإتقانه؛ لشعورٍ داخليٍّ راودَني يومَها أن التميُّزَ في الحساب سيكونُ تميُّزًا لي بينَ سائر الطلاب، وتقدُّمًا لي عليهم.

وأما المعلِّمُ الذي لا أنساهُ أبدًا، فهو أستاذُ اللغة العربيَّة أحمدُ عبد الله إبراهيم، وهو من أوائل الأساتذة المصريِّينَ الذين قَدموا المملكةَ للتدريس، وكان على مُستوًى عالٍ جدًّا من الكفاية العلميَّة والجدِّية، حبَّب إلينا لغتَنا العربيةَ، ونجح في إفهامنا المقرَّرَ بأُسلوب خاصٍّ متميِّز، ما زلتُ أذكرُهُ على بُعد العهد، فقد كان يتدرَّجُ بنا في مبادئ القواعد، فيروي لنا قصةَ (كان) وأخواتها، و(إنَّ) وأخواتها... إلخ. وأقولُ صادقًا: كان أكثرُ مدرِّسينا يعتمدون على الاستظهار والحفظ عن ظهر قلب، بفَهْم أو دونَ فهم، أما الأستاذُ أحمدُ، فكان متمكِّنًا في مادَّته، محيطًا بها، يشرحُ الدرسَ شرحًا واضحًا وافيًا، حتى إذا فهِمَه الطلابُ جميعًا، كلَّفهم عندها حفظَ قواعده وأمثلته.

وهذا الأستاذُ المتميِّز هو نفسُه الذي علَّمَني مبادئَ اللغة الإنكليزية، وقد سكن معي في بيتِ طينٍ لا ماء فيه ولا كهرباء ولا هاتف ولا حتى سَجَّاد، كلُّ ما فيه حصيرٌ فقط، وقد علَّمَني في كِتاب صغير أذكرُ أن عنوانه كان: (ABC).

رحم اللهُ أولئكَ النفَرَ من المعلِّمين الروَّادِ الأوائلِ، وأسبغ لباسَ الصحَّةِ والعافيةِ على من بقيَ حيًّا منهم، وجزاهُم عنَّا أحسنَ الجزاء؛ على ما بذلوا في تعليمنا وتوجيهنا من جُهدٍ ومشقَّة، وقد غلبَ عليهِمُ الإخلاصُ في أداءِ عملِهم، والتفاني في النُّصحِ لطلابِهم ومحبَّتهم، مع شدَّةٍ وقسوةٍ مَحمودةٍ؛ الغايةُ منها تقويمُ حالِ التلميذِ وإصلاحُه».

وقد يلحَظُ القارئُ شَغَفَ والدي بتعلُّم اللغة الإنكليزية في وقتٍ لا يحتاجُ إليها أحدٌ مثلُه آنذاك، إلا أن هذا الشغفَ قد زاد ونَمَا معه، واستطاعَ والدي أن يوظِّفَه في إدارةِ أعماله، وأن يكونَ جزءًا من دبلوماسيَّتِه في التعامُل، وهذا ما يذكره الدكتور عبدالعزيز بن علي المَقْوشي[1] حين يصفُ والدي في المجتمعاتِ الدَّولية لرجال الأعمال، ويتحدَّث عن مدى محبَّتِهم لشخصِه ولأسلوبه المتميِّز؛ يقول:

«كم أضحكَ رئيسَ دولةٍ، وأبهجَ رئيسَ وزراء، وأمتعَ رئيسَ مجلسِ أعمالٍ دوليٍّ؛ بعباراتٍ جذَّابةٍ من لغاتِهم، وولوجٍ في ثقافاتِهم، تُدخِل البهجةَ في نفوسِهم، ويشعُرون معها بقُربِه منهم!»

ويتابعُ الدكتور عبدالعزيز قوله:

«ولا أنسى مطلقًا قهقهةَ كلِّ أعضاءِ ذلك الوفدِ الأجنبيِّ، عندما مازَحَهُم أبو عليٍّ – بلغتهم – بنُكتةٍ من نكاتِهم. وما زلتُ أذكرُ في هذا الخصوص أن شابًّا سعوديًّا لقيَ أبا عليٍّ في أحد لقاءاتِ الوفودِ الأجنبيةِ الزائرةِ للمملكة، وذكر له أنه باتَ يتقنُ الألمانيةَ، فما كان من أبي عليٍّ إلا أن تحوَّلَ في حديثِه معه للألمانية، فأعلنَ الشابُّ استسلامَه! وأبو عليٍّ لا يتقنُ لُغةَ الحوارِ وحبِّ البشرِ فقط؛ بل كان – إلى جانب الإنكليزية التي يجيدُها، والإيطالية التي تعلَّمَها من أجل أحد المشروعاتِ الخاصَّة به – يجيدُ من كلِّ لغةٍ طرَفًا، ولا أذكرُ وفدًا زارَ الوطنَ أو قابلَهُم خارجَهُ إلا ويتركُ أبو عليٍّ بصمةً رائعةً تُدخلُ البهجةَ في نفوسِهم».

لُعَبُ الطفولة:

أمَّا أصدقاءُ الوالد في ذلك الوقتِ فمنهُم: عبدالرحمن بن خَميس، ومحمد الرُّشَيدان، وعبدالله الزِّير، وابن عُنَيزان، وصالح الحُمُودي، وعبدالرحمن بن عَيَّاف، وعبدالله وشقيقه هاشم السيِّد.

وعمومًا كلُّ مَن كان يسكُن في الحيِّ تكون علاقةُ الصداقة معه شبهَ مؤكَّدة بحُكم الجوار، بل إن صداقاتِ الأطفالِ والشَّبابِ لا تكادُ تخرجُ عن أبناء الحيِّ. وكانت أوقاتُ الأصدقاءِ آنذاكَ تُقضى في اللَّهو والمرَح

١. مساعد المدير العام للشؤون الثقافية والإعلامية في مؤسسة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية.

البريء، بممارسة ألعابٍ شعبيَّةٍ يجدونَ فيها المتعةَ والسرورَ؛ منها كما يذكر الوالد:

لعبة (الكعَابة)، وهي تعتمدُ على قطعة عظمٍ صغيرةٍ تُستخرَجُ من رِجْل الخَروف، وتوضع مثل البُولِيْنج، وترمى من مسافة بشيء يدعى (الصُّولة) وهي من نفس الكعَابة، إلا أنها تعتبر أثقل، وترمى لتُسقِط الكعَابة، وعلى حسب عدد العظام التي سقطت يفوز الفائز.

ولعبة (الدَّنَّانة)، ويُستعمَلُ فيها إطارٌ من الحديد أو القَصَب يمشي على الأرض وله عصا لدفعه، وفي حال توقُّفه أو بطئه تدفعُهُ مرةً أخرى، ولها صوت؛ لذلك سميت الدَّنَّانة.

ولعبة (البَذَّة)، وهي حُبوبٌ مثل المصاقيل تُرمى، فتشكِّلُ أشكالًا هندسيَّةً مختلفة.

ولُعبة (المَرَامح) يتنافسُ فيها طفلانِ بالقَدَم، وتعتمدُ على القوَّةِ الجَسَديَّة من خلال الاستلقاء على الظهر والتدافُعِ بالقدَمَيْن، وإبعاد المُنافِس.

ولعبةُ (المَقْرَعة)، ولها طرفان مثلُ الوَتَدِ يُضربُ بقطعةٍ خشبيَّةٍ على مرحلتين.

ولعبة (عُظَيم)، وهي خطةٌ للقفزِ ضمن مسافاتٍ على قَدمٍ واحدة، وتعتمدُ على قوة القفز.

ولعبة (الدَّوَّامة)، وهي قطعةُ خشبٍ صغيرةٌ يُلَفُّ عليها خيطٌ، ثم تُرمى فتدورُ على الأرضِ.

ولعبة (الشاعور) مثل الدَّوَّامة ولكنها أكبر ومجوَّفةٌ، وعندما تُرمى على الأرضِ تدورُ وتُخرِجُ صوتًا كالرنين ينتهي بالصَّفِير.

الفصل الثالث

من الدراسة إلى العمل

الميولُ الدراسيَّة

أنهى والدي تعليمَهُ الأساسيَّ في كُتَّاب القرية وفي المدرسة النِّظامية بالرياض، و لم تكُن الفُرَصُ متاحةً لمواصلة التعليم، كما هو الحالُ اليومَ، فقد كانت ثقافةُ العملِ غالبةً على ثقافة الدِّراسة. وكانت دراسةُ الوالد مَحَطًّا حقيقيًّا لقياس توجُّهاته، كما كانت مَحَطًّا لقياس توجُّهات أبناء جيله بعامَّة، فمن زُمَلاء دراسته مَن وجد نفسَهُ في الموادِّ الدينية، فواصلَ طلبَهُ للعلم الشرعيِّ، ومنهم مَن اكتَفى بالابتدائية واستَهوَتهُ مهنةُ التعليم، وقد كان الحُصولُ على الشهادة الابتدائية كافيًا لممارسة هذه المِهْنة إذْ إن حاملَ هذه الشهادة في تلك الأيام تعدلُ شهادتُهُ شهادَةَ مَن تخرَّج في معهد إعداد المعلِّمين في أيامنا هذه، ومنهم من طَوَتهُ الأيامُ طيًّا. أما الوالدُ فوجدَ نفسَهُ في مادَّة الحساب، واجتذبَهُ تعلُّم اللغة الإنكليزية، وكان هذا مُخالفًا للتوجُّهات السائدة في مجتمع الرياض آنذاك، إلا أن تعاقُبَ السنينَ أثبتَ أن حُبَّ هاتين المادَّتَين لم يكن عبثًا أو اهتمامًا مؤقَّتًا، إنما هو مَيلٌ نشأ منذُ الصِّغَر، ثمَّ نما وتَرعرَعَ في وجدان والدي حتى صار عمادًا لعمله التجاريِّ فيما بعد، وتمثَّل ذلك في توجُّهه المبكِّر إلى استيراد الآلات الحاسبة وتوفيرها في السُّوق السعودية، وحُصوله على وكالات تقنيَّات الحاسوب من كُبرَيات الشركات العالميَّة، وإذن لم يأتِ هذا الاهتمامُ من فراغٍ، ولكن كيف كان ذلك؟

وداعًا للمَدرَسَة

كانت الخُطواتُ الأولى في دَربِ العمل في دُكَّان لبيع الأواني المنزلية، لصاحبه الشيخ عبد العزيز بن نصَّار، هنا كانت البدايةُ في معركة الحياة، ومنها كان المُنطَلَقُ، ثم مضى الشابُّ الصغيرُ في سنِّه، الكبيرُ بهمَّته ونفسه الأبيَّة، يَغُذُّ السَّيرَ غيرَ متوانٍ ولا متقاعس، نجح وأخفق، وكَبا مرات، لكنه سُرعانَ ما كان ينهَضُ، يحدوه أملٌ في النجاح عظيمٌ، وطموحٌ إلى التفوُّق وتحقيق الذات، وقد أوصلهُ صبرُهُ ودأَبُهُ وحسنُ توكُّله على الله إلى ما كان يؤمِّل، فإذا به اليومَ الشيخُ عبدُ الرحمن الجريسيُّ، العَلَمُ الألمعيُّ ، أحدُ كبار رجال الأعمال العرب، والنموذجُ المُحتذَى للرجل العصاميِّ الجادِّ، الذي يضَعُ بين عينيه قول الله تعالى: {أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}، وقوله: {إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً}.

وخيرُ من يحدِّثُنا عن تلك المرحلة صاحبُ المنجزات فيها، فلنُصْغ إلى قصَّته يرويها لنا، يقولُ الوالدُ حفظه الله: «أتممتُ الصفَّ الرابعَ في (المدرسة التَّذْكَاريَّة)، ورُفِّعتُ بنجاح إلى الصفِّ الخامس، وكان عمري أربعةَ عشرَ عامًا حينها، وفي يوم جاءني عمِّي ليخبرَني أنه لقيَ في المسجد صديقًا له هو الشيخُ محمدُ بنُ نصَّار،

من أهل (البير)، إحدى القُرى القريبة من (رَغْبَة)، وكان قد أقام في الرِّياض منذُ زمن؛ بحثًا عن مصدر رزق يُخْرِجُهُ وأسرتَهُ من ظُروف الحياة القاسية آنذاك. وعندما خَرجا من المسجد سأل ابنُ نصار عمِّي إن كان يعرفُ شابًّا أمينًا ونشيطًا ليعملَ في محلِّ ولده عبد العزيز، ويساعدَهُ في أمور تجارته. ودونَ تردُّد أجابه عمِّي: نعم، هناك (عبدُ الرحمن) ابنُ أخي، وهو شابٌّ أثقُ بأمانته وقُدراته وهمَّته.

وحين سمعتُ هذا الحديثَ من عمِّي أجبتُه بالموافقة، وشَّمرتُ عن ساعد الجدِّ والعزيمة؛ لخوض التجربَة الجديدة، وباشَرتُ العملَ لدى الشيخ عبد العزيز بن نصَّار في اليوم التالي، مكتفيًا بما حصَّلتُهُ في المدرسة، من معرفة القراءة والكتابة، وإتقان الحساب، وتجويد القرآن الكريم».

اليومُ الأوَّل

«شَرعتُ في العمل دونَ أن أعرفَ طبيعتَهُ ولا مُتطلَّباته؛ إذ إن خبراتي السابقةَ كانت محصورةً في البيت والمدرسة، حتى إني لم أعرف الأجرَ (الراتب) الذي سأنالُه! وكلُّ ما كنتُ أعرفُه أنني يجبُ أن أعملَ، وأن أفوزَ بثقة ربِّ عملي.

أما اليومُ الأولُ في العمل فلا أنساهُ أبدًا، فقد فوجئتُ حينما وصلتُ إلى الدُّكَّان بصغَر المكان، وتراكُم البَضائع والسِّلَع، مما خفَّ وزنُه أو ثَقُلَ، ولم تكن مساحةُ المحلِّ تزيدُ على ١,٥م × ٢م، وهو خاصٌّ ببيع الأواني المنزلية، وكلِّ ما يحتاجُ إليه البيتُ، من قُدور وصُحون وأباريق، ودِلال، وفناجينَ وبيالات، ومَغارف، وزَنابيل، وقِرَب، ومَساميرَ ومُفَصِّلات، وحِبال، وقُماش للخيام.

ومع أن المسافةَ بين البيت والدكَّان لم تكن في قياس الأمتار طويلةً، فقد شعرتُ يومها – أثناء ذهابي إلى المحلِّ – بأنها مديدةٌ طويلةٌ، وكنتُ أتساءلُ طَوالَ الطريق: ماذا ينتظرُني هناك؟ وكيف ستكونُ هذه التجربَةُ الجديدةُ؟ وهل تُراني أنجحُ؟ أسئلةٌ كثيرةٌ كانَت تدورُ في خَلَدي، إلى أن وجدتُّني أمامَ الدكَّان، في قيصرية[1] ابن سيَّار. تردَّدتُّ في الدخول، فإذا بصوت يُناديني من الداخل بلطف: تفضَّل، ونظرتُ فوجدتُّ شابًّا في العقْد الثَّالث من العمُر، ذا هيبة ووقار على صغَر سنِّه، سألَني عما أريدُ، فقلتُ له: أنا عبدُ الرحمن الجريسيُّ، أرسلَني عمِّي محمدٌ الجريسيُّ لأقابلَ الشيخَ عبدَ العزيز بنَ نصَّار، فرحَّبَ بي بحرارة وعرَّفَني بنفسه، وحينَ علمتُ أنه هو ابنُ نصار ذُهلتُ من حُسن استقباله، وشدَّة تواضُعه. وإنني لأُقرُّ اليومَ أني أفدتُّ من أخلاقه الرفيعة، وسماحة نفسه، مثلَ ما تعلَّمتُ من أصول البيع والشراء والعمل التجاريِّ، لقد كان بحقٍّ مدرسةً في جمال العِشْرة ورقيِّ الأخلاق. ثم لم يلبَثْ أن نادى شابًّا حَضْرَميًّا يعمَلُ عندَهُ، يسمَّى عمرَ بادَغْشَر

١. القَيصَرية عبارة عن مجموعة دكاكين ما بين ٢٠ – ٣٠ دكانًا، وتبنى من الطين والأخشاب وسعف النخيل.

العموديَّ، يَكبُرُني بسنةٍ واحدةٍ، وطلب إليه تعريفي بالمطلوبِ، والحِرصَ على تعليمي كلَّ ما أحتاجُ إليه.

مرَّ اليومُ الأولُ عليَّ في العملِ بطيئًا ثقيلاً، وكأنه دهرٌ؛ إذ كانت هذه التجربةُ جديدةً عليَّ، و لم أكن أعرفُ شيئًا عن الطرق المُثلى للتعامُلِ التجاريِّ، كنتُ أخشى من الإخفاقِ، وأنا الذي لا أرضى بغيرِ النجاحِ والتفوُّقِ في كلِّ ما يُطلَبُ مني. وتضاءلتُ أمامَ الشابِّ الحضرميِّ، الذي كان شُعلةً من الذكاءِ والجِدِّ، حتى شعرتُ أنني لا شيءَ، فخرجتُ في نهايةِ الدَّوامِ مصمِّمًا على ألا أعودَ!

لكنْ ما إن وصلتُ البيتَ حتى بدأتُ أسمعُ صوتًا قويًّا من داخلي يسألُني مستنكرًا: أرضيتَ بالهزيمةِ من أوَّلِ جولةٍ؟! أأذعنتَ للفشلِ والإخفاقِ في أوَّلِ تجربةٍ؟! ووجدتُّني أنتفضُ بشدَّةٍ، وأقولُ: لا، لن أرضى بالهزيمةِ، ولن أستسلمَ للإخفاقِ؛ بل سأتحدَّى ذاتي وأتابعُ المسيرَ.

في كَفالةِ ابنِ نصَّار

يقولُ والدي عن ذكرياته مع ابن نصَّار:

«لم يقتصرْ عملي مع الشيخِ ابنِ نصَّارٍ على العملِ في الدُّكَّان فقط، بل كنتُ أعملُ في بيته أيضًا، فأساعدُ في تقديمِ الطعام وأُعِدُّ الشايَ، وأقوم بواجب الضِّيافة لزُوَّارِ الشيخ، وقد انتقلتُ من بيت عَمِّي لأسكنَ مع زميلي الحضرَميِّ في بيتِ الشيخِ ابن نصَّار، وكنا نخرُجُ إلى العملِ في الصباحِ الباكرِ، فنفتحُ الدكَّانَ، ونبسُط الأوانيَ على الدَّكَّةِ خارجَه، فإذا حلَّ الظهرُ، أعدنا إدخالَها إلى المحلِّ، ومضَينا إلى المسجدِ، ثم نذهبُ إلى البيتِ لتناول طعامِ الغَداءِ، وقد كان ذلك شيئًا مُستَحدثًا؛ إذْ كنَّا – في سابقِ أمرِنا – نقتصرُ على وجبة العَشاءِ، ونُعُدُّها الوجبةَ الرئيسةَ، وكان الغداء يقتصرُ عادةً على: القرصانِ والجريشِ والمرقوقِ، و لم يكن الأَرُزُّ واللَّحمُ متوافرَين حينها، وكان يُعَدُّ أكلُهما ضربًا من الترَفِ! وبعدَ الغداءِ كنَّا نرتاحُ قليلاً، ثم نعاودُ العملَ بعدَ العصرِ، إلى غُروبِ الشمسِ.

وبالإضافة إلى الطعامِ والشرابِ الذي نتناولُه في منزلِ الشيخِ ابن نصَّار فإنه كان يكسُوني ثوبًا جديدًا في كلِّ عام، وقد أحظى بثوبٍ آخرَ في موسمِ الحجِّ، أما الراتبُ فلم أكن أعلَمُ عنه شيئًا، و لم يتبيَّن لي إلا عندما صرفَ لي الشيخُ مستحَقَّاتي بعد ثلاثِ سنواتٍ من العمَلِ معه! فأعطاني سبع مئة وعشرين ريالاً أي بمعدل عشرين ريالاً عن كل شهر قضيته في خدمته».

تنافُسٌ مَحمودٌ

«كانتِ الأيامُ تمضي رتيبةً، وكان يمكنُ أن أستمرَّ على هذه الحالِ، دونَ أن أُكلِّفَ نفسي مزيدَ عَناءٍ؛ لولا طَبْعي الذي جُبِلتُ عليه، فقد كان يحثُّني دومًا على طلبِ التميُّزِ في كلِّ عملٍ أنهضُ به، خصوصًا أني رأيتُ

في الصورة من اليمين:
عبدالرحمن الجريسي، ثم
علي اليوسف رحمه الله، و أخوه
الصغير، ثم سعد بن عبدالعزيز النصار

من نشاطِ زميلي الحضرميِّ وعلوِّ همَّتِه، ما حَفَزَني على مضاعفةِ الجهدِ؛ لأحظى بمثلِ ما يَحظى به من تقديرِ الشيخِ عبدِ العزيزِ ومديحِه.

ومما أذكرُه من ذلك: أنني كنتُ أستفيدُ من وقتِ الراحةِ بعدَ الغَداءِ بالنوم، في حينَ كان الشابُّ الحضرميُّ إذا رآني استغرقتُ في نومي، عاد إلى المستودَعِ ليعملَ فيه؛ وليُعطيَ الشيخَ انطباعًا جيدًا عن كفايتِه واجتهادِه، وحقًّا كان يفوزُ بغيرِ قليلٍ من الثناءِ العَطِر. ومع أن الشيخَ لم يكنْ ينتقصُ مني، كنتُ أرى نفسي مقَصِّرًا أمامَ عمرَ الحضرميِّ، فصرتُ أُوهِمُه بأني نائمٌ، فإذا اطمأنَّ إلى نومي ومَضى إلى المستودَعِ، لحقتُ به وعملتُ مثلَه؛ لئلا ينفردَ هو بهذا التميُّزِ.

ومن طريفِ ما أستذكرُه أيضًا أنني كنت أذهبُ أنا وزميلي الحضرميُّ نفصِّلُ ثوبَ العيدِ عند بعض الإخوةِ من قيصريةِ الحساوية؛ والحضارمُ معروفٌ عنهم – في ذلك الوقتِ – أنهم يفضِّلون تقصيرَ الثوب، ونحن في نجد نفضِّلُ تطويلَه؛ فكان صاحبي هذا يعترضُ على منحي شبرًا زائدًا من الثيابِ، فأُضطرُّ أن أفصِّلَ ثوبًا قصيرًا، موازيًا لقَدْرِ القُماشِ الذي ناله، حتى إذا مرَرتُ برفاقٍ لي كنتُ ألعَبُ معهم، نادَوني: (يالْحَضرَمي)، يريدون أن ثوبيَ يشبهُ ثوبَ الحضارم!

ولم يعُدِ التنافسُ بيني وبين عمرَ الحضرميِّ خافيًا، بل صار واضحًا مكشوفًا، كلٌّ منَّا يسعى إلى إثباتِ جدِّه وإخلاصِه؛ لنَيلِ الحُظوَةِ عندَ الشيخِ، وكان لا بدَّ من استخدامِ أوراقٍ رابحة، فولجتُ من بابِ معرفةِ القراءةِ والكتابةِ والحسابِ، لأتبوَّأَ منزلةً رفيعةً لديه؛ إذْ لم يكن زميلي الحضرميُّ المجدُّ يُحْسِنُها. وما إن مرَّ زمنٌ يسيرٌ حتى صرتُ ممَّن يعتمدُ الشيخُ عليهم في تسييرِ عملِ الدكَّانِ؛ بخدمةِ الزَّبائن، ومساعدته في تدوينِ ما يَرِدُ إليه من مبالغَ، هي إما قيمةُ شراءٍ عاجلٍ، أو تسديدُ دَيْنٍ سابقٍ، إضافةً إلى تسجيلِ الدُّيونِ الجديدةِ على المُشتَرينَ، وكنتُ شديدَ الحرصِ على الدِّقَّةِ وتجنُّبِ الخطأِ في الكتابةِ.

عندما أعودُ بالذاكرةِ إلى تلك الأيام، تتراءى لي صوَرُ الناسِ وقد أتَوا ليبتاعوا بعضَ ما يحتاجونَ إليه، وكم كان يُمتعُني ذلك المشهدُ، خصوصًا حينما يتناهى إلى مسمعي هَمْسُ بعضِهم؛ تعليقًا على البائعِ الصغيرِ السِّنِّ، الضئيلِ الجسدِ، الذي لا يألو جهدًا في تلبيةِ ما يطلبون، وإقناعِهم بشراءِ ما يحتاجونَ وما لا يحتاجون.

وكانت العُملَةُ النقديَّةُ المتداوَلَةُ حينها الرِّيالُ العربيُّ، الذي أصدرَهُ الملكُ عبدُ العزيزِ رحمه الله، بدلاً من الرِّيالِ الفرنسيِّ والبيزاتِ التي كان التعامُلُ بها شائعًا من قبلُ.

وبدأتْ خبرتي تزدادُ تدريجيًّا بالتجارةِ وبأمورِ الحياةِ عامَّةً، وصرتُ أنظرُ إلى كلِّ ما حولي بمنظارٍ جديد، حتى الدَّكاكينُ والمحالُّ المجاورةُ صرتُ أتأمَّلُها وأستكشفُ ما تضمُّهُ في جَنَباتِها من ألوانِ البضائع، ويحملُني الفُضولُ على معرفةِ ما كنتُ أجهَلُ من الحِرَفِ والمِهَنِ، وبتُّ أميِّزُ بعضَ أصنافِ الأقمشةِ التي تُباعُ بالقُربِ

منا، كقُماشِ المرضوفِ[1] الخاصِّ بالنساءِ، وقُماشِ الخام[2] الخاصِّ بالرجالِ، والفرطاسِ[3] الذي يتميَّزُ بخشخشَته.

أما أهمُّ تُجَّارِ السوقِ في ذلك الوقت فمنهم: ابنُ سيَّارٍ الذي بنى القيصريةَ، وكانت تجارتُه في العقاراتِ والقُماشِ. ومنهم: الرُّصيِّصُ، والكُلَيبُ، والمُصَيْرَيْعِيُّ، والتُّخَيفي، والحُقْباني، وسليمانُ الجاسرُ تاجرُ الموادِّ الغذائيةِ، وكان منظرُ حَمْلَتِه الآتيةِ من الكويتِ محمَّلةً بالقهوةِ والأرُزِّ والسكَّرِ لا يمكنُ نسيانُه أبدًا.

ولم يكنِ الراجحيُّ قد برزَ حينها؛ إذْ كان ما يزالُ يعملُ عندَ أحدِ الصرَّافينَ الذين يصرفون الريالات إلى قروش والقروش إلى ريالات، ثم شقَّ طريقَهُ في عالمِ المالِ؛ ليغدوَ من أشهرِ رجالِ الأعمالِ، ومن أثرى أثرياءِ العربِ. وانضمَّ السُّبيعيُّ إلى رَكْبِ التجَّارِ في الرياضِ قادمًا من الحجازِ».

ويحكي الولدُ قصةً وقعت له مع الشيخِ سليمان الراجحي في عام ١٣٧٢هـ، عندما كان الراجحي يعمل في الصرافة، ولم تكن له معرفة بالوالد، ولكن الصدفة جمعت بينهما في موقف الوشم لسيارات الأجرة المتجهة إلى الشرقية، وكان الوالد يبحث عن سيارة أجرة تقله إلى هناك، وكان الشيخ سليمان الراجحي يبحث عن شخص يحمل له أمانة إلى الشرقية.

وجد الوالد سيارة تسع لأربعة أشخاص فاسْتقلها مع آخرين وكَانت أجرتها عشرين ريالاً وكان نصيب الوالد منها خمسة ريالات.

طلب الشيخ سليمان الراجحي من الوالد أن يحمل له تَنَكةً مختومة ليسلمها إلى صرّاف آخر يتعامل معه الراجحي في المنطقة الشرقية هو سُليمان الرَّشيد، وقد فوجئَ الوالدُ عندما أخبرهُ الراجحي أنَّ التَّنكة مَمْلوءة بالذهبِ.

قبل الوالد الأمانة وحملها معهُ وكان يضعها بين قدميه ولا يفارقها حتى وصل إلى الشرقية، وكان من عادته أن ينزل على صديق له هو سعيد عَبْدون يعمل لدى الشيخ صَدَقَة كَعْكي، ويسكن في منزل كعكي.

يقول الوالد:« بتُّ تلك الليلة والتَّنَكة بجواري لا أفارقها، حتى إنني لم أتناول طعام العشاء تلك الليلة، وفي الصباح الباكر كانت الأمانة بين يدي صاحبها».

وكان ذلك أمرًا طبيعيًّا في تلك الأيام حيث كانت الأمانة تنتشر بين الناس وتعد من أهم أخلاقيات التعامل فيما بينهم.

---

١. الرَّضف هي الحجارة المحمَّاة، الواحدة: رَضْفةٌ، ورضفتُ الشيء رضفًا: كويتُه بالرَّضْفة، وهذا النوع من القُماش يُرضَف بالحجارة الساخنة ــ أي: يُكوى بها – لتزيدَه نعومة. فهي تعمل عمل جهاز كيِّ الملابس في هذا العصر.

٢. قُماشٌ أبيضُ غليظ يأتي من الشام.

٣. نوع من القُماش ناصعُ البياض، ويسمى (البفتة) أيضًا.

الريال العربي المعدني والورقي
الذي أصدره الملك عبد العزيز

هكذا كان التجار يمارسون صرف
العملات حيث لم تكن ظهرت محلات
الصرافة والمصارف

الملكُ الإنسان

«كثيرةٌ هي الذكرياتُ التي تُحفَرُ في الذاكرة فلا تُنسى، ولعلَّ من أطيبِ ذكرياتِ العملِ في دُكَّانِ الشيخ ابنِ نصَّارٍ، ما كنا نستمتعُ به ونتحرَّاهُ بشوقٍ، وهو رؤيةُ مَوكبِ الملكِ عبدِ العزيزِ – رحمه اللهُ – مع رجالِ حاشيته، وأصحابه ورُفَقاءِ دربه، فعندما كان يمرُّ موكبُ جلالته كانت عينايَ تتبعانه حتى يغيبَ، وكان مشهدُ موكبه يُثيرُ العزَّةَ والفخرَ في وجداني، وإني لَأَعُدُّ الملكَ عبدَ العزيزِ من أهمِّ الشخصياتِ التي أثَّرَتْ في حياتي، ووجَّهتْ مَساري، وغَذَّتْ عَواطفي ومشاعري وأفكاري.

لقد كان – طيَّبَ اللهُ ثراه – إنسانًا بكلِّ ما لهذه الكلمة من معنًى، اهتمَّ بشعبه، وأَوْلى العلمَ والأمنَ عنايةً بالغةً، كان يرى أن استتبابَ الأمنِ في المملكة هو الأساسُ لبناءِ وطنٍ قويٍّ، فجعله شُغْلَهُ الشاغلَ، وكان يضربُ بيدٍ من حديدٍ كلَّ من يُخِلُّ بالأمنِ، وأدركَ أن خيرَ ما يحقِّقُ الأمنَ المرجوَّ تطبيقُ شرعِ اللهِ، وتنفيذُ أحكامه في الحدودِ، وغيرها. ومما يُروى في ذلك: قيامُهُ بقَطعِ أيدي عددٍ من اللصوصِ قُبضَ عليهم يسرقونَ في موسمِ الحجِّ، وقد احتجَّتْ بريطانيا على تنفيذِ القصاصِ بحقِّ بعضِ الأشخاصِ من بُلدانٍ كانت تحتَ سيطرتها! لكنَّ جلالةَ الملكِ عبدِ العزيزِ ردَّ عليهم ردًّا حازمًا ومُفحمًا بقوله: إن هؤلاءِ من المسلمينَ، ونحن نُطبِّقُ فيهم شرعَ اللهِ الذي بيَّنه في القرآنِ العظيم.

وتختزنُ الذاكرةُ حدثًا طريفًا – لم أشهَدهُ، لكني أرويه عن عمِّي رحمه الله – وهو أن أهلَ قريتي (رَغْبَةَ) اشتكَوا من أميرهم آنذاك، واتفَقوا على تقديمِ طلبٍ إلى الملكِ عبدِ العزيزِ يرجُون فيه عَزلَهُ وتعيينَ آخرَ بدلاً منه، فاجتمع الرجالُ وخَطُّوا خطابًا إلى الملكِ يُبيِّنون فيه رغبتَهُم في ذلك، واقترحوا أن يتولَّى عمِّي مُطَيْلِبٌ الجريسيُّ إيصالَ الخطاب. ولم يتردَّدْ عمِّي، فأخذه وانطلق به إلى الرِّياض، يُغذُّ السيرَ، حافيَ القدمَين، ليس على جَسَدِه سوى لباسٍ خفيفٍ لا يقيه من بردِ الصحراءِ، إلى أن وصلَ مع طُلوعِ الشمسِ، فأدرك الملكَ خارجًا إلى قصرِ الحُكمِ، فتقدَّمَ منه وأعطاه الكتابَ، فباشر الملكُ في قراءته فورًا وهو يسيرُ، وعمِّي يسيرُ بمُحاذاته، ويراقبُ ردَّ فعله في أثناءِ القراءة، وما إن انتهى الملكُ حتى استشاطَ غضبًا من طلبِ أهالي (رَغْبَة)؛ ظنًّا منه أنهم يتجنَّونَ على أميرهم. ثمَّ التفتَ إلى عمِّي قائلاً: ارجعْ إلى (رَغْبَة) حالاً، ولا تبقَ في الرياضِ دقيقةً، فأجاب مُذعنًا: سَمعًا وطاعةً.

ولكنَّ عمِّي (مُطَيْلِبًا) لم يَرُقْ له أمرُ مغادرةِ الرياض؛ ليس لأن الملكَ لم يُجِبْ طلبَهم فحسب؛ بل لأنه كان مُرهَقًا من أثرِ السَّفَر، وصَعُبَ عليه أن تفوتَهُ فرصةُ العشاءِ مع الملكِ في مَضيفِ (خُرَيْمِس)، حيثُ كان يتناولُ الملكُ عشاءَهُ أحيانًا، ويستقبلُ ضيوفَهُ، فقرَّر عمي البقاءَ إلى وقتِ العشاءِ الذي كان بعد العصر، فذهبَ إلى خَلوةِ المسجدِ ونام فيها، ثم مضى بعدَ العصرِ إلى مَضيفِ (خُرَيْمِس) متحرِّيًا العَشاءَ، فلمَّا رآه

الملكُ عبدُالعزيزِ صاح به قائلاً: ألم تذهَبْ بعدُ؟ فردَّ بعَفويَّةٍ فِطريةٍ: (طال عمرك، أحتري العَشا معك)، و لم يملكْ جلالتُهُ إلا أن يضحكَ ملءَ فيه، وأذنَ له بتناولِ العَشاءِ معه. ثم عاد عمِّي إلى قريتِنا مَزهوًّا ومُفتخرًا بمجالسةِ مَليكِ البلادِ على مائدةٍ واحدةٍ.

و لم يلبَثْ أميرُ (رَغْبَة) أن توفِّيَ بعدَ شهرٍ واحدٍ فقط، فسارع أبناؤه إلى الملكِ عبدِ العزيزِ يُخبرونَهُ، ويَلتمسونَ تأميرَ أحدهم مكانَهُ. فتذكَّر الملكُ ما كان من أهالي (رَغْبَةَ)، فكلَّمهم بصراحةٍ ووضوحٍ قائلاً: لقد جاءني مندوبٌ من قريتِكُم يحملُ طلبَ أهلِها عزلَ والدِكم الأميرِ، وأرى أن في وفاتِهِ حكمةً لله سبحانه، وإني لأبرَأُ إلى اللهِ أن أُولِّيَ على (رَغْبَةَ) إلا من يَرتضيهِ أهلُها ويختارونه أميرًا عليهم.

إنه بلا رَيبٍ موقفٌ كريمٌ من الملكِ عبدِ العزيزِ، يدلُّ على خَوفِهِ من اللهِ عزَّ وجلَّ، ومُحاسبتِهِ نفسَهُ، ويُظهِرُ ما يتمتَّعُ به من خِلالٍ طيِّبة، وصفاتٍ نبيلة، أهمُّها العَدلُ والرحمةُ، وهما أساسٌ لكلِّ مُلكٍ متينٍ. ولذلك أحبَّهُ شعبُهُ، وانضوَوْا تحتَ لوائه، والتَفُّوا حولَهُ، ورَأَوا فيه القائدَ الملهَمَ، الذي يُتابعُ بفِراسَةِ المؤمنِ ما يدورُ بالمنطقةِ، ويستشرفُ المستقبلَ، ويختارُ لوطنِهِ وشعبِهِ ما فيه صلاحُهم والخيرُ لهم».

الملك عبد العزيز في جلسة خارج مدينة الطائف في وادي لِيَّة سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م

الملك عبد العزيز آل سعود
رمز الحنكة والتواضع

تباشيرُ العصاميَّة

رأى الشيخُ عبدُ العزيز بنُ نصَّار في الشابِّ عبد الرحمن قُدُرات ومَهارات لم يرَها في الآخَرين، ولا سيَّما قدرته على التواصُل مع العملاء، بأسلوب لطيف حكيم، وموهبته في حُسن التعامل والإقناع، فضلاً عن نشاطه وعلوِّ همته وإخلاصه في عمله، فكان لتلك الخِصال وقع حسن في قلوب من تعامل معه.

وعن خُطواته الأولى في طريق العمل التجاريِّ، يحدثنا الوالدُ، فيقولُ:

«بعد انقضاء ثلاث سنوات من عملي وظَّف الشيخُ عبدالعزيزُ بنُ نصَّار شابًّا جديدًا حضرميًّا قادمًا من جُدَّة، بدلَ زميلي الحضرميِّ عمرَ العموديِّ الذي اختار العودةَ إلى بلده نهائيًّا. كان الشابُّ الجديدُ مُلمًّا بالقراءة والكتابة وإن لم يكن في جدِّ سابقه ونشاطه، ولم أجد الراحةَ في العمل معه، فعزَمتُ على ترك العمل عندَ الشيخ ابن نصَّار، لكنْ ما كان يشغَلُ بالي هو حرصي على ترك العمل دونَ أن أُضرَّ بالشيخ أو أسبِّبَ له أيَّ إزعاج. وكيف أُسيءُ إليه وقد رأيتُ من نُبل أصله، وكرَم خُلقه، وحسن تعهُّده، ما جعلني مَدينًا له بالفضل ما حَييتُ؟! لقد أخلصَ في تعليمي مهارات البيع والشراء، وأحاطَني باهتمامه وعنايته، وجعلني موضعَ ثقته، فكنتُ أتولَّى إدارةَ العمل كلِّه في غيابه وفي أسفاره المتواصلة.

بعدَ مدَّة من التردُّد صارحتُ الشيخَ برغبتي في ترك العمل معه، والاستقلال بنفسي، ولقد حاولَ بلطفه المعهود أن يُثنيَني عن عَزمي، لكنه حين تحقَّقَ من إصراري لم يتردَّدْ لحظةً في القَبول؛ تفضُّلاً عليَّ وإكرامًا لي. ولم أكن تسلَّمتُ منه مالاً منذُ أن عَملتُ معه، ولم أتفقْ معه على راتب محدَّد، فقام بتصفية مستَحقَّاتي كافَّة، وقد بلغت سبعَ مئة وعشرينَ ريالاً، ولحظتَها فقط علمتُ أنني كنت أعملُ بأجر شهريٍّ مقدارُه عشرونَ ريالاً ليس غير، ولم أنَلْ غيرَها سوى ما ذكرتُه آنفًا من الطعام والشراب والكسوة.

تسلَّمتُ المبلغَ كاملاً، ولكنَّ الطريفَ في الأمر أنني لم أُنفقْ منه فَلسًا؛ إذ اقترضَهُ منِّي أحدُ أقربائي، ثم لم يتمكَّن من ردِّه إليَّ، وقد سامحتُه حيًّا وميتًا، وأَبَحْتُ له حقِّي، وأدعو الله تعالى أن يرحَمَهُ ويغفرَ لي وله.

ومضَيتُ إلى عبد الله ابن عمِّي محمد الجريسيِّ، وأخبرتُه بتَرْكي العملَ مع الشيخ ابن نصَّار، فعرض عليَّ مُشاركتي في عمل مستقلٍّ، وكان يمتلكُ سيارةً من طراز فورد ١٩٤٦م، ينقلُ بها البضائعَ بين الرياض ورَغْبَةَ والقَصَب وشقرا، وبخاصَّة المِلْحُ، ذلك الصِّنفُ الثمينُ الذي كان من أهمِّ عناصر التجارة حينها، وكانت القَصَبُ أشهرَ مُنتج له، والرياضُ أكبرَ مستهلك، وكان يضعُهُ كما هو؛ (كَومَةً) كبيرةً في صُندوق سيارته، دونَ تعبئة في عُلَبٍ أو أكياس!

وافقتُ ابنَ عمِّي على مُشاركته؛ لكنه شرطَ عليَّ أن يبقى هو في عمله، وأتولَّى وَحدي إدارةَ العمل التجاريِّ، على أن نقتسمَ الرِّبحَ معًا، فقبلتُ واتَّفقنا على استئجار محلٍّ لبيع الأدوات المنزلية والفناجيل

والدِّلال والصُّحون والطوفريات[1] والقُدور، وكانت الأدواتُ تُجلَبُ من مكة وجُدَّة، وكان موقعُ المحلِّ أمامَ محراب جامع الإمام تركي، في قيصرية (أُشَيقر)[2] التي كانت تُسمَّى من قبلُ قيصرية الحَضارِمَة، وسببُ تسميتها: كثرةُ الدكاكين والمحالِّ التي يعملُ فيها أهلُ أُشَيقر، الذين اشتُهروا بالذكاء والجِدِّ والاجتهاد، وقد نافسُوا في ذلك الحضارمةَ المعروفينَ بالمهارة في التِّجارة، واضطرُّوهم إلى ترك القيصرية! وأذكرُ أنَّني سألتُ حينها أحدَ أهل أُشَيقر عن سرِّ نجاحهم في مُنافسة الحضارمة، فقال: كنا نشتري البِضاعَةَ في صناديقَ خشبية، فنبيعُها برأس مالها، ونكسبُ قيمةَ الصندوق فقط. وبهذا الأسلوب خرجَ الحضَارِمَةُ من المنافسة ليَبْسُطَ أهلُ أُشَيْقِرَ سيطرتَهُم على السوق ويَفْرِضُوا أسعارَهُم .

وبدأتُ العملَ في قيصرية (أُشَيقر)، واستمرَّ عملي في المحلِّ الجديد ستةَ أشهر، عشتُ فيها مشاعرَ جديدةً لم أعشْها من قبلُ طَوالَ السنوات الثلاث في دكَّان الشيخ ابن نصَّار، إنه الشعورُ بالاستقلال والخصوصيَّة؛ لكنه كان مَشوبًا بأعباء مسؤولية كبيرة أحملُها على عاتقي، دون مساعد أو مُعين، وكان يمكنُ للأمور أن تكونَ أفضلَ، لو توافَرَ رأسُ مال أكبرُ، فلقد كان الحِملُ ثقيلاً، وأعظمَ من أن ينهضَ به شابٌّ صغيرٌ وحدَه لم يتجاوزِ الثامنةَ عشرةَ من عُمُرِه.

الديرة ... المعيقلية وسوق أشيقر (الجهة الخارجية) ناحية محراب المسجد الجامع

١. هي أوانٍ التقديم التي توضع فيها فناجيل القهوة والشاهي وصحون التمر ونحو ذلك.
٢. وكنا نلفظها: وُشَيْقِر

ولم يكنِ المحلُّ يبعُدُ عن دكَّانِ الشيخِ ابن نصَّارٍ أكثرَ من عشرينَ مترًا، ومع أن تلك المسافةَ لم تكن في مقاييسِ ذلك الوقتِ بالقَصيرةِ، كانَ الشيخُ يزورُني في المحلِّ دائمًا لتشجيعي، والاطمئنانِ على أحوالي.

ويبدو أنه قرأ بذكائِه وفِراسَتِه في عينيَّ ما أعانيه، وأدركَ ثِقَلَ ما أتحمَّلُهُ وَحدي، ففاجأني بالطلبِ أن أعودَ إلى العمَلِ لديه من جديد. لقد كان الشيخُ عبدُ العزيزِ يمتلكُ بصيرةً ثاقبةً، وأخلاقًا يرجو بلوغَها كلُّ من رآه؛ لكنِي مع ذلكَ لم أملِكْ إلا أن أستأذِنَهُ في مُشاورةِ شريكي (ابنِ عمي)، حيثُ لم يكن لديَّ أيُّ مانعٍ من ذلك.

ولم أجدْ عندَ شريكي أيَّ اعتراض أيضًا، فقد كان هدفُهُ من العملِ معي مساعدتي في تحقيقِ ما تصبو إليه نفسي من استقلالٍ، وما أسرعَ أن فَضَضنا شرْكتَنا في جوٍّ من الأخوَّةِ والتسامحِ، لا يَشُوبُهُ أدنى خلافٍ، وكانت هذه تجرِبَتِي الأولى، وإن لم يُخالِفها النجاح، إلا أني أستفَدتُّ منها كثيرًا في مُستقبلِ حياتي».

الصُّورةُ الشخصيَّةُ الأولى

لم يكن في العاصمةِ الرياضِ في تلكَ الحقبَةِ محلٌّ للتصوير الشمسيِّ (الفوتوغرافي)، وقد حصل الوالدُ على أولِ صورةٍ شخصيَّةٍ له في مكةَ المكرمة، حين سافرَ إليها بصُحبة اثنَينِ لأداءِ مناسكِ العُمرة، وقد أقلَّتهُم سيارةُ (لوري) من نوعِ (فورد) من الرياض، واستغرقَتْ رحلتُهم نحوَ أسبوع. وكان المَسْعى بين الصَّفا والمروةِ تكتنفُه المحالُّ يَمنةً ويَسرةً، والناسُ يسعَوْنَ بين هذه الحوانيتِ والمحالِّ، ومنها محلٌّ للتصوير، فوجدَها الوالدُ فرصةً لالتقاط صورةٍ له، فدخل المحلَّ واستعار عِقالاً و(بشتًا) ليتصوَّرَ بهما، فكانت تلكَ أولَ صورةٍ شخصيَّةٍ له، وهو في سِنِّ الثامنةَ عشرةَ تقريبًا.

عَودًا حميدًا

عاد والدي للعملِ في محلِّ ابن نصَّار في (قيصرية ابن سيّار) غربَ جامع الإمام تركي. وكان نشاطُ المحلِّ هو بيعَ الأدواتِ المنزليةِ وبعضِ المستَلزَماتِ الغذائية.

يقولُ والدي عن تلكم المرحلة:

«عدتُّ إلى العملِ لدى الشيخِ ابنِ نصَّارٍ، ففاجأني بما لم يخطُرْ لي على بالٍ، لقد زاد راتبي من ٢٠ ريالاً إلى ٦٠ ريالاً شهريًّا، وهي قفزةٌ كبيرةٌ غيرُ متوقَّعة؛ تقديرًا منه لجهودي السابقةِ، وإرضاءً لطُموحي المتوثِّبِ، وتحفيزًا لي على البقاءِ معه، وبذلِ مَزيدٍ من الجَهدِ في العملِ.

أول صورة للشاب
عبدالرحمن الجريسي
وهو في الثامنة عشرة من عمره

وقد استمرَّ عملي معه في هذه المرحلة مدةَ ثماني سنوات، شهدَتْ فيها الرياضُ تطوُّرات كثيرةً وتغيُّرات متسارعَةً، في جوانبَ مختَلِفَة، منها العملُ التجاريُّ؛ إذْ صارت البلادُ منفتحةً على العالَم الخارجيِّ، مع تقدُّم وسائلِ النقل، وصرنا نستوردُ منتجات شتَّى من بلدان أُخرى، مثل: سوريةَ ومصرَ واليابان. فتنوَّعت البضائعُ، وصارت أكثرَ ترفًا، وتوافرَتْ أصنافٌ فاخرةٌ لم نكن نعرفُها من قبلُ، منها الأوانِي الصينيَّةُ والسَّجَّادُ الصينيُّ المستورَدُ من لبنانَ، وتوسَّع نطاقُ الاستيرادِ ليشملَ أوروبا، بعدَ أن كان المصدرُ الوحيدُ للبضائعِ هو مكةَ أو جُدَّةَ، ولم يكن يتجاوزُ الكويتَ والبحرين على أبعدِ تقدير.

لقد تطوَّرت التجارةُ في الرياض، وتطوَّرت المدينةُ نفسُها، وصارت تأخذُ سماتِ عاصمة حقيقيَّة، وبدأ التجَّارُ يزحفون نحوَها من كلِّ حَدَبٍ وصَوْب، تاركينَ قُراهم ومُدنَهم؛ من الوَشم والمَحْمَلِ والزُّلفي، ومن الحجازِ والشرقية وغيرها من مناطقِ المملكة، وأخذت الأسواقُ فيها تتوسَّعُ وتُقامُ في أماكنَ جديدة لم نكنْ نتخيَّلُها قبلَ سنوات قليلة؛ من ذلك مثلاً: قيامُ عبدِ الله بنِ سليمانَ ببناءِ دكاكينَ خارجَ الرياض (في شارعِ الوزيرِ حاليًّا)، ظَلَّتْ خمسَ سنينَ دونَ تأجيرٍ، تَعصفُ بها الرياحُ المحمَّلةُ بالرمل والغُبارِ، ولكنَّ الشيخ ابنَ نصارٍ بما يتمتَّعُ به من حَصافةٍ وبُعْدِ نظرٍ، بادرَ إلى استئجارِ أحدِ تلك المحالِّ بألفَي ريالٍ سنويًّا، وذلك عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م)، وكان فعلُه يبدو حينها غريبًا وغيرَ منطقيٍّ؛ إذ المكانُ بعيدٌ، وهيهاتَ أن يَقصِدَهُ الناسُ! ولكن بعدَ عشرين عامًا ومع توسُّعِ الرياضِ صار شارعُ الوزيرِ في قلبِ المدينةِ، ودُفِع في المَحَلِّ نفسِه مليونا ريالٍ (نقلَ قَدَم) !

انتقلنا إلى شارعِ الوزيرِ، وتولَّيتُ مسؤوليةَ الإدارةِ في العملِ؛ خصوصًا في أثناء سفرِ الشيخِ ابنِ نصّارٍ، الذي كان كثيرَ الأسفارِ، يَجوبُ البلدانَ لإحضارِ أفضلِ المنتجاتِ وأجودِ البضائعِ، من كلِّ ما يحتاجُ إليه المنزلُ في ذلك الوقتِ.

ورغبةً منه في تشجيعي أكثرَ، اتَّبَع منهجًا جديدًا يُعدُّ اليومَ من بدهيَّات الإدارةِ الناجحة التي نتعاملُ بها وندرسُها، وهو ما يُسمَّى بـ (التحفيز)، فقد اتَّفقَ معي على منحي نسبةً من الرِّبحِ مُحْتَسَبَةً على مَبيع بعضِ الأصناف، بهدف أن أنشطَ أكثرَ في بيعها وتصريفها، لكنني كنتُ أفضِّلُ أن آخذَ نسبةً أقلَّ من النسبةِ المتَّفَقِ عليها، على أن تشملَ جميعَ المنتجاتِ المَبيعة؛ ولم تكن رغبتي تلك نابعةً من مصلحة مادِّية، بل من حرصي على الأمانة، ومن خشيتي أن يُغويَني الطمعُ فأجدَّ في بيعِ الأصنافِ التي سأحصُلُ من جرَّاء بيعها على نسبةٍ من الرِّبح، ثم أتقاعسَ عن بيعِ الأصنافِ الأخرى! فأَصبحُ بذلك مقصِّرًا، وهذا أمرٌ لا أرتضيه لنفسي، وبقيَ تخوُّفي هذا يُراودُني، ويَهجِسُ في نفسي كلَّ يوم، إلى أن اتخذتُ قراري بتركِ العملِ من جديدٍ لدى الشيخِ ابنِ نصّارٍ.

وفي أحد الأيام، كان الشيخُ جالسًا في آخر الدَّوام يتأمَّلُ كعادته رُفوفَ المحلِّ؛ ويُحصي بعقله المتوقِّد ذكاءً- الذي هو أشبهُ ما يكونُ بحاسوب في دقَّته وقدراته - الأصنافَ النافدَةَ، والأصنافَ الراكدَةَ التي تتطلَّبُ خُطةً جديدةً في تصريفها، فتقدَّمتُ منه، واستأذنتُهُ متلطِّفًا في ترك العمل؛ ولما يتحلَّى به الشيخُ من خُلقٍ كريم، ونفسٍ سَمحة، وقلبٍ سليم، ولمعرفته العميقة بي، وحبِّه لي، لم يتوانَ في إبداء الرضا والقَبول، لكنه اشترط ألّا يكونَ التَّركُ قبلَ سنة، وقال لي بحكمته المعهودة، وبلهجته الناصحة الصادقة: تأنَّ يا ولدي، ولم أملكْ إلا أن أستجيبَ لرغبته؛ حبًّا وكرامةً».

وقد ذكر لي الأستاذُ صالح عبدالله الماجد - المستشارُ السابق بوزارَة التربية والتعليم - أنَّ أحدَ الفُضَلاء زار والدي - وهو في رَيْعان شبابه - في مَعرضه في شارع الوزير، الذي كان يضمُّ بين جنَباته بعضَ الخزائن والطاولات والكراسيِّ المتواضعة، فكان هو البائعَ، والمسوِّقَ، والموظَّفَ، والمسؤولَ؛ بل حتى الفرَّاشَ، وأنه نصح الوالدَ بقوله: عليك أن تفكِّرَ في مستقبلكَ، وأن تلتحقَ بإحدى الوظائف التي تدرُّ عليكَ موردًا ثابتًا، وأن تتركَ هذه البضاعةَ التي قد تبيعُ منها ما تبيعُ وقد لا تبيعُ، وقد تربحُ وقد تخسرُ، فنظرَ إليه الوالدُ نظرةً فيها مزيجٌ من الحبِّ والعتاب، وقال له: لن أدعَ البيعَ في هذا المعرِض، وسوف أحقِّقُ النجاحَ بإذن الله».

في طَريق النُّضج

ويواصلُ الوالد سردَ ذكرياته فيقول:

«أما على الصعيد الشخصيِّ فقد كانت تلك السنواتُ الثماني التي قضيتُها في محلِّ الشيخ عبد العزيز في المرحلة الثانية من عملي معه، مرحلةً مهمَّةً جدًّا من مراحل حياتي، اكتسبتُ فيها من الخبرات بالعمل التجاريِّ والإداريِّ ما يُعَدُّ أساسًا صُلبًا في بناء ذاتي ومستقبلي، وعشتُ فيها من التجارب ما أنضجَني وعزَّز الثقةَ في نفسي، فأين ابنُ الثمانيةَ عشرَ ربيعًا الذي افتتح محلاً وأغلقه بالأمس، من ابن الخامسة والعشرينَ الذي صرتُه اليومَ؟!».

ويتابعُ الوالد حديثَهُ عن تلك المرحلة، قائلاً:

«وقد خطَوتُ في هذه المرحلة من عمُري خطوات في اتِّجاهات مختلفة، أفدتُّ بها فيما بعدُ عظيمَ الفائدة، فتوجَّهتُ إلى تعلُّم اللغة الإنكليزية على يد أستاذي المصريِّ أحمد عبد الله إبراهيم، الذي درَّسَني اللغةَ العربيةَ في المدرسة التَّذكاريَّة، وكان يُقيمُ معنا في البيت؛ إذ لم يكن في الرياض فنادقُ تلك الأيام، وبعدَ أن توثَّقت الصِّلةُ بيننا عرضَ عليَّ تعليمي الإنكليزيةَ، فقبلتُ، وتعلَّمتُ منه الحروفَ.

ثم قدَّر اللهُ أن أتعرَّفَ إلى رجلٍ فلسطينيٍّ اسمُه حسينٌ الرمحيُّ، وقد كان موظَّفًا في (البنكِ الوطنيِّ)[١]، فطلبتُ إليه تدريسي الإنجليزيةَ ساعةً يوميًّا بعدَ صلاةِ العشاء، وبعدَ أن قطعتُ معه شوطًا جيِّدًا من التحصيل، سافر إلى أمريكا وانقطعت عني أخبارُه، ثم علمتُ فيما بعدُ أنه التحقَ ببرنامج (ناسا) لأبحاثِ الفضاءِ الأمريكيِّ، وأصبح ممَّن يُحظَر عليهم الاتصالُ بأحدٍ أو أن يتصلَ بهم أحدٌ.

ثم أكملتُ تعلُّمَ اللغةِ الإنكليزيةِ مع مدرِّسٍ أستراليٍّ، كان يدرِّسُني ساعةً أيضًا في كلِّ يوم، مدةَ ثلاثة أشهر. وحصَلتُ بذلك على معرفةٍ جيدةٍ باللغة الإنكليزية، مع قُدرةٍ حسنةٍ على التحدُّث بها، ولم أزَلْ أنمِّيها وأتعهَّدُها، وأستعملُها في أسفاري الخارجيَّة، حتى أتقنتُها – بفضلِ الله وتوفيقِه – وصرتُ أتحدَّثُ بها بطلاقة، وأتواصَلُ مع أهلِها بيُسرٍ وسهولة.

ومن طريفِ ما أذكرُه أن ذلك المُعلِّم الأستراليَّ، لما أراد السفرَ في إجازةٍ إلى بلده، أَعلَمَني أنه يحملُ معه لخطيبته هديةً من الرياض، وسألتُه عنها فأجاب: نزولاً عند رغبتها في إحضارِ ما ليس له مثيلٌ في أستراليا! وقفتُ في شارعِ البطحاءِ وسجَّلتُ أصواتَ أبواق السيَّارات (البوري): (طاط طوط طيط)! وكان الناسُ حينَها لا يَخرجُ أحدُهم من بيته أو مكتبه إلا ويدُه على (البوري)، وإذا مرَّ أحدُهم بصديقٍ له، لم يطرُق بابَ بيته، ولم ينزل من سيَّارته، ولكنه يُطلقُ لبوق سيَّارته (البوري) العنانَ، إلى أن ينزلَ صديقُه من بيته! وفي هذه المرحلة أيضًا استقلَلتُ عن عمِّي محمد – رحمه الله – استقلالاً ماديًّا فقط؛ إذ بقيَتْ صلتي به قويةً متينةً، أستشيرُهُ في أموري كلِّها، وأسترشدُ برأيِه، وكان عمِّي في هذه المدَّة يعملُ على إبرازِ سماتِ الرجولةِ المبكِّرة في شخصيَّتي؛ ويبذلُ جهدَه في تأصيلِها وإرساخها، فكان يحثُّني على ترسُّم خطا الآباءِ والأجداد؛ في الكرمِ والنخوةِ والشَّهامة، ويشجِّعُني على التعرُّفِ إلى مَن حولي، ويرغِّبُني في مخالطةِ الفُضَلاء، وقد كان في ذلك موجِّهًا لي ومُلهِمًا، جزاه اللهُ عني خيرًا.

وكنتُ آنذاكَ أتابعُ حركةَ التجارةِ في الرياضِ على تواضُعِها وصِغَرِ حجم السُّوق، غيرَ أني أطمَحُ أن أكونَ كسائرِ التجَّار النابهينَ، ومن أبرزِهم في ذلك الوقت: المقيرن[٢]، والحقباني[٣]، وأبناء ابن سيَّار[٤]، ومحمد الجريسي[٥]، والشقري[٦]، وابن كليب[٧]، والتخيفي[٨]، وابن سليم[٩]، وهم يُعَدُّون تجارَ المرحلةِ الأولى من بدايةِ الحركةِ الاقتصادية والتجارية في السعوديةِ في عهدِ الملكِ عبدالعزيز، جاء بعدهم بسنواتٍ

١. دُمج هذا البنك فيما بعد مع ''بنك الرياض''.
٢. هو الشيخ سليمان المقيرن، من أعيان مدينة الرياض في ذلك الوقت، وكان يعمل في مجال الصرافة، وابنه عبدالعزيز المقيرن هو الذي أسس مع مجموعة من رجال الأعمال الغرفة التجارية الصناعية في الرياض.
٣. هو عبدالعزيز الحقباني وإخوانه، وقد توفي عبدالعزيز – رحمه الله – قبل خمس أو ست سنوات عن عمر يناهز مئة عام. وكانوا يعملون في الصرافة والتجارة والسيارات.
٤. وهم عبدالله ومحمد وصالح أبناء بن سيار وكان عملهم في العقار.
٥. هو العم محمد الجريسي، كان يعمل في التجارة بتسويق البضائع و التحريج عليها.
٦. كان يعمل في مجال الصرافة.
٧. عبدالله بن كليب كان يعمل في مجال العقار والبناء.
٨. سليمان التخيفي كان يعمل في تجارة الأقمشة.
٩. عبدالعزيز بن سليم كان يعمل في تجارة الأغنام واللحوم والحطب .

تجَّارُ المرحلة الثانية، وأبرزُهم: ابن نصَّار[١]، وسليمان الجاسر[٢]، وابن منديل[٣]، والملوحي[٤]. وكانت التجارةُ في ذلك الوقتِ قائمةً عن طريق الكويت والبحرين، وامتدَّت بعد زمنٍ لتصلَ إلى لبنان، وكانت أهمَّ المجالات التِّجارية هي: تجارةُ الأغذيةِ والملابس، ثم بعد ذلك بسنوات: تجارةُ الأواني المنزليَّة. ولم يكن عددُ المحالِّ والدكاكينِ يتجاوزُ عشَرةً في الرياض، ثم أنشئت (قيصريات) كان أولها (قيصرية ابن سيَّار)، ثم (قيصرية الأمير سعود بن محمد)، وبعدها أقيمت (قيصرية ابن كليب)، وكانت مساحة الدكاكين في تلك القيصريات لا تتجاوز غالباً ١,٥ × ٢م،وبعضها ٢×٢م، وكان العمل فيها في النهار من الصباح وحتى الظهر، ثم من العصر حتى المغرب».

وثبةٌ نحوَ المُستقبَل

مع انقضاءِ أحدَ عشرَ عامًا على عملِ الشابِّ عبدِ الرحمنِ في محلِّ الشيخِ ابنِ نصَّارٍ، في المرحلتَينِ اللتينِ عملهما معه، غَدَتْ الرياضُ مدينةً مختلفةً كلَّ الاختلافِ عمَّا كانت عليه حينَ وصل إليها قادمًا من (رَغْبَةَ). ولم يكن أحدٌ يتوقَّعُ هذا التطوُّرَ المتسارعَ في المملكةِ عمومًا، وفي الرياضِ خصوصًا، في زمنٍ قصيرٍ جدًّا!

صارتِ الرِّياضُ تستقبلُ كلَّ يومٍ حَدَثًا جديدًا؛ فحلَّت السياراتُ محلَّ الخيلِ، والطائراتُ مكانَ الإبلِ، والمدارسُ بدلَ الكتاتيبِ، وانزوى أصحابُ الطبِّ الشعبيِّ في مكانٍ قَصيٍّ مع زحفِ المستشفياتِ والمراكزِ الطبيَّةِ الحديثة، وشَرَعتْ مظاهرُ المدنيَّةِ الحديثةِ تُقصي كلَّ مظاهرِ الماضي القريب، وغَدَتْ أطلالُ سورِ الرياضِ شاهدًا على مدينةٍ قديمةٍ كانت هنا، ثم لم تلبَثْ أن تطورت ماضية في ركبِ التقدُّمِ الحاصلِ في أرجاءِ المعمورةِ.

ولم يكنِ الشابُّ النبيهُ عبدُ الرحمنِ في غفلةٍ عمَّا يجري حولَهُ، بل كان يرقُبُ ذلك كلَّه بعينَينِ يقظتَينِ متأمِّلتَينِ، ولا سيَّما السوقُ التِّجاريُّ، وحركةُ البيعِ والشِّراءِ، والمنتجاتُ الجديدةُ التي تتطلَّبُها صبغةُ الحياةِ العصريَّةِ.

وفي ظلِّ هذه التغيُّراتِ المتسارعةِ كانت خبرتُه بالعملِ تزدادُ وتتأكَّدُ، مدعومةً بعزيمةٍ ماضيةٍ، وطُموحٍ متوثِّبٍ، ودروسٍ مُستفادَةٍ من تَجارِبِه السابقةِ.

---

١. عبدالعزيز بن نصار كان يعمل في مجال الأواني المنزلية، والسجاد الصيني .
٢. سليمان الجاسر كان يعمل في مجال الأقمشة والدلال والاستيراد .
٣. عبدالله بن منديل كان يعمل في مجال الاستيراد والنقل .
٤. محمد الملوحي كان يعمل في تجارة الأواني المنزلية.

وعن هذه المرحلةِ المهمَّةِ والفاصلةِ في حياةِ الوالدِ– حفظه اللهُ– يحدِّثُنا قائلاً:

«وَفَّى الشيخُ ابنُ نصَّارٍ بوَعده، فما إن انقَضى العامُ الذي استَبْقاني فيه حتى ناداني، وسألَني: أما زلتَ مُصرًّا على تركِ العملِ؟ وعندما أجَبتُه بالإيجاب، أجلسَني إلى جانبه، وقام بتصفيةِ حقوقي الماليَّة بعدلٍ وإنصافٍ تامَّين، علمًا أن دخلي الشهريَّ مع العمولات قد بَلَغَ في الأشهُرِ الأخيرة زُهاءَ خمسةِ آلاف ريالٍ في الشهر الواحد.

وحصَلتُ في ذلك الوقت عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) على مبلغٍ مقدارُه سبعةٌ وعشرونَ ألفَ ريالٍ (٢٧,٠٠٠)، فاتخذتُه نَواةً لإنشاءِ مؤسَّسةٍ خاصة.

خرجتُ من محلِّ الشيخِ ابنِ نصّار، وأنا أدركُ أني مُقبلٌ على المجهول؛ لكنَّ طريقَ النجاحِ الطويلِ يبدأُ بخطوة، وكانت تلك هي الخطوةَ الأولى. وكنتُ أستشعرُ حينها ضرورةَ استثمارِ الظُّروفِ الجديدة، فالتغييرُ المتسارعُ أنتجَ فرصًا استثماريةً كثيرةً، وهي فرصةٌ قد لا تَسْنَحُ للمرءِ كلَّ حين، فإن فاتتْ وضاعتْ فهَيْهاتَ أن تعودَ! لذلك كان لا بدَّ من اتخاذِ قرارٍ حازم، ولو كان يحملُ في طيَّاتِه بعضَ المخاطر؛ إذ النجاحُ دَومًا يتطلَّبُ الشجاعةَ والمغامرةَ، وصدقَ القائل:

إذا هبَّت رياحُكَ فاغتَنِمْها فعُقبى كلِّ خافقَةٍ سكونُ

الحلاقة وطب الأسنان كانت في ذلك الوقت تمارس على قارعة الطريق

وقد كانت المملكةُ تعيش حينها ضائقةً اقتصاديةً ألقَت بظلالها على قطاع الأعمال؛ فمن المعلوم للجميع أن خزينةَ مؤسَّسة النقد العربيِّ السعودي لم يكن فيها عام ١٣٧٨هـ سوى ٣٦٠ ريالاً، وكانت السوقُ التِّجاريةُ آنذاك محدودةً، والتجَّارُ يعرفُ بعضُهم بعضًا، ولو غاب أحدُهم أو مرضَ علم الجميعُ، وما إن تركت العمل لدى الشيخ ابن نصّار حتى شاع الخبرُ بينهم، وكانوا يُدركون مدى خبرتي ونشاطي، ومعرفتي بخَبايا السوق وأسرارها؛ لذلك لم تَطُلْ مدَّةُ تفكيري فيما ينبغي أن أفعلَهُ، وكيف أبدأُ؛ إذْ بادرَني أحدُ رجال الأعمال في ذلك الوقت، وهو الشيخُ محمَّدٌ المشعَل- رحمه اللهُ – وكان تاجرًا مشهودًا له بالذكاء والنشاط والنجاح، وعرض عليَّ العملَ معه مُشاركةً، مُبْديًا ثقتَهُ بي وبسُمعتي الطيِّبة وخبرتي الجيِّدة.

لا جَرَم أن العرضَ كان فرصةً ثمينةً مُغريةً؛ وإن خالفَ ذلك رغبتي في عدم الشِّرْكَة؛ لما لها من سلبيَّات، بَيْدَ أن ما أملكُهُ من مالٍ قد لا يُلبِّي طموحي في بدايةٍ قويةٍ وانطلاقةٍ متميِّزةٍ، وهنا راودَتني فكرةٌ برَقَت في خاطري؛ وهي:

أنه إن كان لا بدَّ من المشاركة، فلمَ لا أشاركُ الشيخَ ابنَ نصَّار، فإن ما يجمعُ بيننا أقوى وأوثقُ مما يكون عادةً بين الشُّركاء؟! عندها شكَرتُ للشيخ محمد المشعل ثقتَهُ الغالية، وبيَّنتُ له ما تنطوي عليه الشِّرْكَةُ من مخاطرَ وخلافات محتمَلَة؛ لكنَّه بادر بالقول: إن تَشارُكَنا لا يؤدِّي إلى شيءٍ من ذلك؛ لأنَّ الإدارةَ واتخاذَ القرارات وكلَّ ما يتعلَّقُ بالعمل سيكونُ من صلاحيَّاتكَ ومسؤوليَّتكَ، وبهذا ستكونُ مستقلاً ضمنَ شِرْكَتنا، ولن أتدخلَ في أيِّ أمرٍ من أمورِكَ؛ ولديَّ من الأعمال ما يشغَلُني، وإنما حمَلَني على مُشاركتكَ حرصي على وضع أموالي في يدٍ أمينة.

سدَّ عليَّ الشيخُ المشعلُ بكلماته هذه منافذَ الاعتذار، فاستأذنتُهُ بمَنْحي فرصةً للتفكير وتقليب الرأي. وفي اليوم التالي مضَيتُ إلى الشيخ ابن نصّار وأخبرتُهُ بما جَرى وعرضتُ عليه مُشاركتي، لكنه اعتذر بأُسلوب أخجَلني برقَّته وتهذيبه، وقال لي: أرجو لك التوفيقَ والنجاحَ، وآمُل أن أراكَ من كبار رجال الأعمال، وأبصَرتُ في عينيه نظراتِ محبَّةٍ صادقة، تختلطُ فيها مشاعرُ الرغبة في عَودتي للعمل معه بمشاعر إيثار مصلحَتي في الاستقلال والاعتماد على النفس، وكان يُدركُ بخبرته وحُنكته أن مبادرةَ الشيخ محمد المشعل فرصةٌ في ذلك الوقت لا يَحسُنُ بي تضييعُها».

الفصل الرابع

بيت الرياض

أوَّلُ الغَيث

يتابعُ الوالدُ حديثَهُ، ليخبرَنا عن ولادة مؤسَّسة (بيت الرِّياض) التي كانت قطرةً أولى من قطرات غَيثٍ يوشكُ أن ينهَمرَ، وما خامرَ تلك البدايات من تعثُّرٍ وعَقَبات، يقول:

«مضَيتُ إلى الشيخ محمد المشْعَل، وأبلغتُه بموافقتي، وأتممنا كلَّ إجراءات الشِّرْكَة؛ من تحديد رأس المال، ونسبة توزيع الأرباح، ومنهج الإدارة، وغير ذلك من جوانبَ فنيَّة تتصلُ بالعمل، وكنتُ حريصًا جدًّا على توضيح كلِّ صغيرةٍ وكبيرة؛ لأنَّ البيانَ يطرُدُ الشيطانَ، وقد أسهَمتُ في رأس المال بمبلغ أربعين ألفَ ريال (٤٠,٠٠٠)، دفعتُ منها سبعةً وعشرين ألفًا (٢٧,٠٠٠) فورًا، وسدَّدتُ الباقي في أثناء عملي بالمؤسَّسة.

ونتجَ عن هذه الشِّرْكَة أن افتتحتُ محلاً في شارع الوزير، بمساحة جيِّدة في ذلك الوقت ٨ × ١٢ مترًا، بجانب مركز النَّجدة، وقمتُ بتسميته مؤسَّسة بيت الرياض؛ لأنه كان متخصِّصًا ببيع كلِّ ما تحتاجُ إليه البيوتُ، ولكن بالمفهوم العصريِّ البعيد عمَّا كنا نبيعُهُ في محل الشيخ ابن نصّار؛ إذْ صرنا نتَّجرُ بجميع أصناف الأواني والأدوات المنزليَّة. وكان افتتاحُ المؤسسة في عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م).

مضى العملُ في السنتين الأُولَيَين على غير ما كنا نحبُّ؛ ففي نهاية عام ١٣٧٩هـ قدَّم المحاسبُ القانونيُّ بيانًا بالميزانية، فإذا بها خاسرَةٌ، وكان ذلك طبيعيًّا في مرحلة التأسيس؛ التي تتطلَّبُ مصاريفَ كثيرةً، ونفقات تفوقُ الأرباحَ، فضلاً عن الحاجة إلى مرور وقت كافٍ ليَحظى المحلُّ بثقة التجَّار والعملاء. وكنتُ قد اتفقتُ مع الشيخ محمد المشعل على راتب ثابت مقدارُه ألفُ ريال شهريًّا؛ مكافأةً لجهدي في الإدارة، مع نسبة من الأرباح، لكنني لم أكنْ آخذُ من راتبي إلا على قَدْرِ حاجَتي؛ لأنني لم أكن أعدُّ نفسي موظَّفًا، ولشُعوري بالمصاعب التي تعترضُ عملَنا الناشئَ، فتبقَّى لي من رواتبي مبلغُ أربعة آلاف ريال لم أتقاضَاها، فقلتُ للشيخ المشعل: لمَّا كانت الشركةُ خاسرةً، إني لأتنازلُ عن مُستحقَّاتي المتبقية، وقد أخذتُ من قبلُ ما يَكفيني، والمشاركَةُ مبنيَّةٌ على التسامُح. ثم سألتُه: هل نستمرُّ أو نتوقَّفُ عندَ هذا الحدِّ؟ فكان ردُّه الحكيمُ: بل نستمرُّ يا عبدَ الرحمن، فقد دفَعنا في السنتين الماضيتين ما سيوفِّرُ لنا الأرباحَ في المستقبل. لقد كان قرارُه شجاعًا؛ مع أنه كان الخاسرَ الأكبرَ في العمليَّة، لكن خبرتَهُ ونظرتَهُ المستقبليةَ الثاقبةَ، بدَّدَتْ غيومَ الإخفاق، وأبَت إلا مُتابعةَ المسير.

وتحقَّق ما كنا نتوقَّعُهُ ونرجوه، فبدأت المؤسسةُ بالنموِّ تدريجيًّا بعدَ الخسارة؛ بفضل التوكُّلِ على الله أولاً، ثمَّ بإخلاص النيَّة مع الصبر والعمل الدَّؤُوب الجادِّ، وببذل الجهد للتطوير المستمرِّ، وباحترام العملاء.

منظر للمقر الأول لبيت الرياض ويظهر في الصورة الرعيل الأول من اليمين: عبدالرحمن الجعفر، صالح المزيعل، عبدالرحمن الجريسي، محمد باقيس

REX-ROTARY
RIYADH HOUSE EST
مؤسسة بيت الرياض

ولعلَّ من أهمِّ أسباب النجاح أن الأهدافَ التي أُقيمَت لأجلها المؤسَّسةُ لم تقتصر على تحقيق الرِّبح المادِّيِّ؛ إذ كان من غاياتها أيضًا الإسهامُ في نهضة البلاد، وأداءُ الواجب نحوَ الوطن والمواطن، وبهذه الأهداف عمَّت البركةُ والتيسيرُ جميعَ أعمالنا، وبدأ كلُّ نجاح يقودُ إلى آخرَ؛ والنموُّ يزدادُ ويطَّردُ.

وفي تلك السنوات مررت بخبرات؛ حيث امتلكتُ أولَ سيارة في حياتي، وكانت (وانيت) وذلك عام ١٩٥٩م، ثم استبدلتُ بها سيارةَ (فولكس واجن)، وعرفتُ طريقي إلى العالم الخارجيِّ فسافرتُ إلى كثيرٍ من الدُّوَل، وأذكرُ أنني كنت في جولة في دول أوروبا، وحين وصلت إلى هانوفر بألمانيا وجدت إعلانات مكثفة عن مَعرِضَ (سي بيت Ce Bit) للتقنيَّة بمدينة هانوفر في سنة افتتاحه الأولى، وكان ذلك – على ما أذكر – سنة ١٩٦٥م، وكان المعرض حينها يُعنى بالأدوات والأجهزة والمنتجات المكتبية وكذلك المنزلية، ومنذ ذلك الحين أصبحت زيارة هذا المعرض عادة أقوم بها في كل عام.

ومع توالي النَّجاحات ظهرتْ بعضُ المشكلات والخلافات في وجهات النظر مع الشيخ محمد المشعل – رحمه الله – و لم أدَعْ وسيلةً لحلِّ الأزْمَة وُديًّا إلا لجأتُ إليها، لكن الأمر تأزَّم لأُفاجأ يومًا بأن المحلَّ قد أُغلق بالسلاسل، ووصلَ خبرُنا إلى سموِّ الأمير سلمانَ بن عبد العزيز أمير الرياض آنذاك، فأمر مشكورًا بإنهاء المشكلة قبلَ أن تستفحلَ وتزدادَ تعقيدًا، وجمعَنا في مكتبه بقَصْر الحُكم، ومنحَنا من وقته النَّفيس قُرابةَ ساعة، وحَسَم الأمرَ بحزم وعدل وإنصاف، و لم نخرُجْ من عنده –حفظه الله – إلا وقد اتفَقنا واصْطَلَحنا؛ إذ أقنعَنا بحكمة وبُعد نظرٍ بأنَّ استمرارَ الخلاف ليس في مصلحة أيٍّ من الطرفَين، وأثمرت جُهودُهُ الطيبة في استمرار الشِّرْكة.

ولا بدَّ في هذا المقام من أن أبديَ إعجابي وحبِّي الدائمَين للأمير سلمانَ، فهو إنسانٌ بكلِّ ما لهذه الكلمة من معنًى، ولقد عرفتُه من قُرب منذُ أكثرَ من خمسين سنةً، فلم أرَ الأيامَ تَزيدُه إلا تألُّقًا، وقد جمع من خصال الخير والنُّبل: الحلمَ والرقَّةَ مع الحزم والشدَّة، والصَّفحَ والعفوَ مع الجرأة والقوَّة، والتواضُعَ والدَّماثَةَ مع الجاه والسُّلطَة، وهيهاتَ أن تجتمعَ في شخصٍ إلا أن يكونَ من طينة العُظَماء».

ومع العُسرِ يكونُ اليُسر

«و لم تكد الخلافاتُ مع الشيخ محمد المشعل تُوأَدُ حتى ثارتْ من جديد، وتعاظَمَ مع الأيام سعيرُها، وأفسدت كثيرًا مما كان بيننا، وما فتئتُ أتجاهَلُها وأسدِّدُ معه وأقاربُ، وأُبقي البابَ بيننا مُنفرجًا؛ وقد كان ذلك طبعًا لديَّ، فأنا لا أُغلقُ البابَ تمامًا مع جميع من أختلفُ معهم، وفي جميع علاقاتي الإنسانية، إيمانًا مني بضَرورة إتاحة الفُرصة مرة تلْوَ مرة.

وبعدَ مضيِّ عشرِ سنينَ على شِرْكَتنا، أي في عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، بلغ الخلافُ مبلغًا أخفقَت جهودي كلها في الإصلاح، وكذلك جهودُ كلِّ من توسَّط لرَأْبِ الصَّدْعِ، حتى تدخَّل أحدُ كرام إخواني وهو صديقي العزيزُ حَمَدٌ الحَنْطيُّ رحمه الله وقد كان على علم بالخلاف والنزاع القائم؛ فاقترح عليَّ فضَّ المشارَكَة، وأن أعرضَ على الشيخ المشعل شراءَ حِصَّتِه من المؤسسة، أو بيعَهُ حِصَّتي منها.

وعرضتُ الفكرةَ على الشيخ محمد المشعل، وبيَّنتُ له أنّ المؤسسةَ تحقق أرباحًا، وهي في نجاح مستمرٍّ، وأن الفرصَ الاستثمارية تتزايدُ في السوق السعودية، ومن شأن الخلاف بيننا أن يُودِيَ بسُمعتنا، وأن يُضعفَ من فرص نجاحنا، ومن ثَمَّ لا بدَّ من إنهاء هذا الخلاف؛ والحلُّ هيِّنٌ يَسيرٌ، ويتلخَّصُ في كلمتين لا أكثرَ: إما أن تشتريَ حصَّتي، أو أشتريَ حصَّتَكَ، ثم يمضي كلٌّ منا في طريقه الذي قدَّره الله له. فقال: حسنًا، إذا كنتَ تريدُ أن تشتريَ، فأنا أبيعُكَ حصَّتي، فقلتُ: إذن؛ اعرض السعرَ الذي تقدِّرُهُ، وأنا مخيَّرٌ بين أن أبيعَكَ حصَّتي أو أشتريَ حصَّتكَ، أو أنا أعرضُ السعرَ، ولك الخيارُ إما أن تبيعَ أو تشتري. فقال: لا، بل أنا أعرضُ السعرَ وأنت تشتري، وإذا لم تُوافق بقي الحالُ على ما هو عليه، لأنني لا أرغَبُ في الشراء!

وكنت حين عرضتُ على الشيخ الاقتراحَ لم أكن أشكُّ أنه سيشتري نصيبي وننتهي من هذا الخلاف، فأنا في أعماقِ نفسي لا أُكِنُّ للشيخ المشعل إلا كلَّ حبٍّ وتقدير، غير أنه غفر الله له أبى أن يشتريَ وخيَّرني بين

من اليمن: عبدالرحمن الجريسي، يليه صديقاه: عبدالرحمن الخميس ثم حمد الحنطي رحمهما الله

أمرين لا ثالثَ لهما: إما أن أشتريَ حصَّتَهُ بالمبلغ الذي يحدِّدُهُ هو، وذلك أمرٌ شبهُ مستحيلٍ؛ إذْ لا أملكُ من المالِ ما يَفي بالغَرَضِ. أو أن تبقى الشِّرْكَةُ قائمةً ويستمرَّ الوضعُ على ما هو عليه.

وكان الخيارُ الثاني أشدَّ على نفسي من الأوَّل، فاستخَرتُ اللهَ تعالى في تلك الليلة، وتوكَّلتُ عليه، وقرَّرتُ الشراءَ! قلتُ للشيخِ: اعرضِ السعرَ الذي تقدِّرُهُ لحصَّتِكَ، فطلب مبلغًا كبيرًا قدرُه مليون وثمانِ مئةِ ألفِ ريالٍ سعوديٍّ.

وبعدَ مُفاوضات ونقاشاتٍ مطوَّلة، وافقَ على تقسيطِ المبلغِ على النحوِ الآتي: ستُّ مئةِ ألفِ ريالٍ تُدفعُ مقدَّمًا وحالاً، أما الباقي- وهو مليون ومئتا ألفِ ريالٍ- فيقسَّط على اثني عشرَ شهرًا، أي بواقع مئةِ ألفِ ريالٍ تُسدَّد كلَّ شهرٍ.

وحين أبديتُ الموافقةَ اشترط أن آتيَ بمن يَكْفُلُني في أداءِ الأقساطِ، فطلبتُ إلى الأخِ الصديقِ حَمَد الحنطيِّ أن يَكْفُلُني لدى الشيخ محمد المشعلِ، وكان رجلاً موسرًا من تجارِ العقارِ. ومَضَينا معًا إليه، وتكفَّل أمامَهُ بأن أؤدِّيَ الأقساطَ، لَكن الردَّ كانَ مدهشًا ومفاجئًا لنا، فقد طلب المشعلُ كفيلاً ثانيًا مع حمد الحنطيِّ! فقال حمدٌ بكلِّ تهذيب وتواضُع: لا بأسَ سآتي بخالي محمد الحَمَد العيسى[1] يَكفُل معي، فهل أنت راضٍ الآن؟ وهذا - بلا شكٍّ - دليلٌ على سَماحةِ نفسِ حَمَدٍ وكرمِ خُلقِه[2].

الجريسي مع بعض العملاء والزملاء في مكتبه في شارع الوزير

١. كان من رجال الأعمال آنذاك، ولم يكن حينها يعرف الوالد، ثم قويت العلاقة بينهما فيما بعد وبخاصة بعد أن تجاورا في المسكن.

٢. من حُسن وفاء الوالد لصديقه (حمد الحنطي) رحمه الله : أن عينيه دمعتا تأثُّرًا، في إحدى المقابلات، حين ذكره وأثنى على حُسن صداقته.

وانتهتْ بهذا عَقَبةُ الكَفالة، وأصبح همِّي الآن تحصيلَ المبلغ العاجل الذي يُفترَض أن أدفعَهُ. و لم أكن أملكُ منه شيئًا ذا بال، لكني كنتُ أراها فرصةً عظيمةً أستقلُّ فيها بملكية المؤسَّسة، وهذا ما تحقق بفضلِ اللهِ وتوفيقِه، فكان مُنعطفًا بارزًا في تاريخي المهنيِّ.

و لم أجد أمامي سوى أخي وصديقي الشَّهم مبارك باعَارِمَة، وكان حينَها مديرًا للبنك الأهليِّ في الرياض، وهو من خُلَّص الأصحاب ورجال الأعمال، وكان قد جَرى بيني وبين البنك الذي يُديرُه تعامُلاتٌ متنوِّعةٌ منذ إنشاء بيت الرياض، وكانت سُمعَتي لديه عاليةً جدًّا؛ لالتزامي بمواعيد السَّداد، وأداء الاعتمادات البنكيَّة التي كنتُ أفتَحُها بوساطَة ذلك البنك، وحين عرَضتُ عليه الموضوعَ، أجابني دون تردُّد: حوِّلهُ إليَّ.

وقد أذهَلَني سرعةُ جوابه؛ لأن مبلغَ ستِّ مئة ألف ريال في ذلك الوقت قد يُعادلُ ستَّ مئة مليون ريال أو أكثرَ في وقتنا الحاضر، ثم تابع قولَهُ: ما بكَ؟! أقولُ لك: حوِّلهُ إليَّ، ولكن بشرط واحد هو أن تسدِّدَ المبلغَ قبلَ موعد صُدورِ الحسابات إلى الإدارة العامَّة في جُدَّةَ نهايةَ الشهر؛ واعْلَمْ أخي عبدَالرحمن أنه لولا ثقَتي بك، وتقديري لك؛ لحُسنِ تعامُلك معنا في المرَّات السابقة، لما استجَبتُ لطلبك، وهذا الموقفُ النبيلُ من الأخِ مباركٍ لن أنساه أبداً، فقد جازفَ بمستقبله وسُمعته ومركزه وعمله، وصدق القائل:

وكلُّ أخٍ عند الهُوَيْنَى مُلاطِفٌ ولكنَّما الإخوانُ عندَ الشَّدائد

الجريسي مع أحد الموردين أثناء زيارة الأخير إلى الرياض وتظهر في الصورة أول سيارة مرسيدس يمتلكها بعد سيارتي الوانيت والفولكس واجن

وبفضل الله وتوفيقه جرَت الرِّياحُ بما تشتهي السُّفُنُ، وسارت الأمورُ على خير ما يُرامُ، وكان ذلك ثمرةً من ثمار حُسن النيَّة، وسلامة النفس، فمَن استدانَ وهو يَنوي الوفاءَ، أعانه الله ووفَّى عنه، وإذا صَلَحَت النيةُ صَلَحَ العملُ، وقد بذَلتُ في هذا الشهر جُهودًا مضاعفةً واضعًا نُصبَ عينيَّ قولَهُ تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}، ومردِّدًا قولَ الشاعر:

ومَنْ يَتَهَيَّبْ صُعُودَ الجِبالِ يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَينَ الحُفَرْ

ولم يَحِن آخرُ الشهر إلا وقد سدَّدتُ المبلغَ كاملاً (ستَّ مئة ألف ريال) للبنك الأهليِّ، دونَ أن أعرِّضَ أخي مبارك باعَارِمَة إلى أيِّ مساءلة أو أضعَهُ في موقف محرج. وفي الوقت نفسه باشرتُ في أداء الأقساط الشهرية، وكنتُ حريصًا الحرصَ كلَّه على الالتزام بالاتِّفاق؛ لئلا أتسبَّبَ لكفيلي الأخ حَمَد الحَنطيِّ أيضًا بأيِّ إحراج.

وبانقضاء العام كنتُ قد استوفَيتُ أداءَ ما عليَّ للشيخ محمد المشْعَل، وانتقلتْ — بفضل الله تعالى – ملكيةُ مؤسَّسة بيت الرياض كاملةً إليَّ وحدي، وذلك سنةَ ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)، والحمدُ لله المعطي الكريم الذي لا تُعَدُّ نِعَمُهُ ولا تُحْصى.

وبذلك انتهَت شرْكَتي مع الشيخ المشعل دون أن تثيرَ أيَّ عواقب؛ لأن النفوسَ كانت راضيةً، ولم يكن ثَمَّةَ ضغينةٌ أو حقدٌ من طرَف على آخَر، وقد استفَدتُّ من تلك الشِّرْكَة أمورًا كبيرة؛ من أهمِّها موقفُ الشيخ وقرارُه باستمرار العمل برغم الخسائر التي تكبَّدناها في البداية، وقد كان الشيخُ المشعل مثالاً لرجل الأعمال الناجح، رحِمَهُ الله رَحمةً واسعة».

إلى عالَم التقنية

لقد بدأ والدي حياتَهُ صبيًّا بأجر قليل، ثم شَريكًا بنسبة مقبولة، ولكن لم يَدُر في خَلَده يومًا أن يكونَ تاجرًا مُستقلاً بنفسه، فمن رحِم الخلاف بين الشريكين وُلِدَتْ أعظمُ فرصة في حياته، وهكذا اقتضَت مشيئة الله فكان بعد العُسر يُسرٌ.

يقولُ والدي حفظه الله:

«كان انتقالُ مؤسسَّة بيت الرياض إلى ملكيَّتي الكاملة توفيقًا من الله عزَّ وجلَّ، وفي الوقت ذاته كان مسؤوليةً كبرى أُلقيَتْ على عاتقي، لكنها لم تُخِفْني إطلاقًا؛ لأنني كنتُ واثقًا بقُدُراتي وامتلاكي مفاتيحَ النجاح، وأوَّلُها إحسانُ الظنِّ بالله، والتوكُّلِ عليه، ثم توافُرُ الهمَّة والعزيمة والإصرار على النجاح.

الجريسي في الوسط وعن يساره راشد الهويمل ثم السيد والتي مدير صيانة بيت الرياض وآخرون

منظر لإحدى الدورات التدريبية على استخدام الآلة الكاتبة في الرياض في ستينيات القرن الماضي الميلادية

أخذت مؤسسة بيت الرياض منحًى جديدًا إذْ تحولت إلى بيع الأثاث المكتبيِّ وكان ذلك عن طريق المصادَفَة؛ حيثُ أحضرَ لي أحدُ الأصدقاء مكتبَه الخاصَّ وطلب منِّي مساعَدَتَهُ في بيعه، فعرَضتُه في مَعرِض (بيت الرياض) للبيع، وفوجئتُ بكثرة المُقْبلينَ على شرائه، عندها رأيتُ أن أجرِّبَ هذا المجالَ فكان لي فيه نجاحاتٌ جعَلَتني أتوجَّه إليه بالكلِّية.

وفي إحدى زياراتي إلى البحرين لفتَ نظَري آلةٌ حاسبةٌ فقُمتُ بشرائها وعَرضها في مؤسسة بيت الرياض أيضاً، فوجَدتُّ إقبالاً واسعًا على هذا الصِّنف من البضائع، ولـمَّا كانت الآلاتُ مُكَمِّلَةً للأثاث المكتبيِّ ولصيقةً به؛ قمتُ بمخاطبة الشَّركات المنتجة لها، وعملتُ على إقناعها أن أتولَّى تسويقَ مُنتجاتها في السُّوق السعودية، وتمَّ لي ذلك بفضل الله، فأدخلتُ الآلاتِ الكاتبةَ وأدواتِ رسم الخرائط وآلات النَّسْخ.

وكانت أولى الوكالاتِ التي أحصُل عليها لشركة دانمركيَّة اسمُها (ريكس روتاري)، ثم حصلتُ على وكالة شركة (أولمبيا) للآلات المكتبية الألمانية الصنع، وكنَّا نُحضرُ المنتجاتِ بالشحن الجويِّ في طائرات (شارتر)، وقد نجَحنا في تسويق هذه المنتجات، ووصلت حصة تسويقنا لها في السُّوق السعودية إلى ٧٠٪، وبذلك ألغَينا كلَّ ما يتعلَّقُ بالأواني المنزلية.

ثم كانت النُّقْلَة الثانية بدُخول عالم الحاسبات الآليَّة الإلكترونيَّة، وأقولُ مفتخرًا بخدمة وطني، وبكلِّ تواضع: إنني أولُ من أدخل أجهزةَ الحاسوب إلى أسواق المملكة عن طريق شركتَيْ (وانج) و(أبل ماكنتوش)؛فكانَ جهاز (Mini Computer) أول جهاز من شركة (وانج) وكانَ يعمل على برنامج معالج الكلمات (Word Processing)، وكان جهاز (Perconal Computer) هو أول حاسوب شخصي من شركة (ماكنتوش)، وبذلك اتجهَتْ مؤسَّسةُ بيت الرياض إلى الاهتمام بالتِّقْنيَة المكتبية؛ لإدراكي مَدى حاجة مجتمع الأعمال السعوديِّ حينها إلى شركاتٍ وطنيَّة، تكونُ نافذةً مُشرَعةً يُطلُّ منها المجتمعُ على عالم التقنية».

ويحدِّثنا الوالدُ عن بدايات الاستيراد قائلاً:

«كنا نستوردُ من الدول المجاورة، خصوصًا البحرين ولبنان، ومع التطوُّر التجاريِّ بدأ التجَّارُ السعوديون يتَّجهون للتعامُل مع اليابان وألمانيا وأمريكا والدنمارك وإيطاليا. وكان الوُسَطاء بين التجَّار والمورِّدين يكسبونَ من التجَّار الكثيرَ، فتزدادُ التكلفة عليهم، إلى أن تجاوزَ التجَّارُ الوُسَطاء وأقاموا نشاطَهُم التجاريَّ مع المورِّدينَ مباشرة، فأصبحَت التكلفةُ أقلَّ، على التجَّار وعلى المستهلك.

لقد تزامنَ إنشاءُ مؤسَّسة بيت الرياض مع انطلاق نهضة تحديثيَّة واسعة النِّطاق في البلاد، فعندما تولَّى جلالةُ الملك فيصل بن عبد العزيز- رحمه الله- الحكمَ، في عام ١٩٦٥م أُعدَّت خطةُ التنمية الأولى للمملكة العربية السعودية الحديثة، ودارت عجلةَ البناء والإعمار في عهده لتُقيم صُروحًا لم نزَلْ نفخَرُ بها حتى الآنَ،

الجريسي في مكتبه بشارع الوزير

وكانت سياسةُ الملكِ فيصلٍ تتَّجهُ في المقام الأولِ إلى تسخيرِ الموارد لتنمية المواطنِ السعوديِّ. ثم إن الطَّفرةَ الاقتصاديةَ التي صاحبت ارتفاعَ أسعارِ النِّفْطِ في عقْد السبعينيَّات قد أنتجَتْ آلافَ الفُرَصِ المغريةِ لرجالِ الأعمال السعوديين وشُرَكائهم الأجانبِ، وكنتُ أحدَ المستفيدينَ من تلك الفرصِ التي أُتيحَتْ للجميعِ على حدٍّ سواء.

لم أكن متابعًا للمتغيِّرات المحلية فحسب، بل كنتُ أتابع باهتمام المتغيِّرات العالمية، حيثُ كنت أبحثُ عن آخرِ ما توصَّل إليه التخصُّصُ الذي أزاولُه، وهذا يتطلَّبُ مني أن أبقى على اتِّصالٍ دائمٍ بالعالم الحديث».

النُّقْلَةُ الكُبرى

هكذا عن طريق المُصَادَفة دخل والدي ميدانَ الأثاث المكتبيِّ، ثم الأجهزة المكتبيَّة فالحاسباتِ الآليَّة، واقتحم بعد ذلك مجالَ خدمات الإنترنت، ليصبح أكبر رُوَّاد تقنية المعلومات والتجهيزات المكتبية في المملكة.

وجدير بالذكر أن كثيرًا مما نراهُ من صناعاتٍ ومنتجات في العالم المعاصر إنما نَشَأ عن طريقِ المصادفَة، ولكنَّ الذين يرَون في المصادفَةِ فُرصًا عمليةً تُستثمَرُ وتحوَّلُ إلى مُنتجٍ مفيدٍ أو سلَعٍ نافعة، قليلونَ؛ بل نادرونَ جدًّا، لقد فاخرَتْ شركة (جونسون آند جونسون) يومًا ما بأنَّ ٥٠٪ من مُنتَجاتها اكتُشفت بالمصادفَة، ولم تُعرَف شركة فتحَتْ مجالاً لتحويل المصادَفاتِ إلى منتجاتٍ استهلاكية أكثرَ منها؛ فعن طريق المُصادَفة قدمت لاصقَ الجروح، ومسحوقَ الجسم (البودرة)، وغيرها.

انفرادٌ بالأوليَّة

إنَّ من نِعَم الله سبحانه على الوالد أن وفَّقَهُ ليكونَ سبَّاقًا في مجالاتٍ شتَّى؛ فهو أولُ من أدخل إلى السعوديةِ عددًا من الأجهزةِ المهمَّة، منها: الآلةُ الكاتبةُ، والآلةُ الحاسبةُ، وجهازُ الناسوخ (الفاكس)، وجهازُ الحاسوب (الكمبيوتر)، وجاء توجُّهُه إلى الاستثمارِ في هذا المجال، وتوفيرِ هذه الأصنافِ من الأجهزة في المملكة، من اطِّلاعه على التطوُّر المتسارع في العالم الخارجيِّ، في أسفاره ورحلاته التجارية، ومُتابعته لكلِّ جديدٍ وحديثٍ في أسواق الدول المتقدِّمة علميًّا وتقْنيًّا وصناعيًّا وتجاريًّا على الأصعدةِ كافَّة، وحضوره المكثَّفَ للمؤتمَرات والنشاطات في مُختلَف دول العالم.

لقد نشأت عنده قناعةٌ راسخةٌ أن هذه الأجهزةَ والآلاتِ الإلكترونيةَ سيكون لها أهميَّةٌ بالغةٌ في السُّوق، وفي حياةِ الأمَّة عمومًا؛ في السعودية وخارجها.

الجريسي في الوسط وعن يمينه: راشد الهوبل يليه رجل الأعمال المصيريعي. وعن يساره: رجل الأعمال البحريني تقي البحارنة ورجل آخر

الجريسي مجتمعا ببعض الموردين الأوروبيين أثناء إحدى زياراته الأولى لمعرض هانوفر في ألمانيا

وكانت تلك التقنية الحديثةُ من الأجهزة شيئًا غريبًا على السعوديين، إلا أنها انتشرَت وذاعَت بسُرعة كبيرة في مجتمعنا السعوديِّ، وصِرنا نطلُبُ منها أعدادًا كبيرةً تُشحَنُ بالطائرات من أمريكا واليابان خاصة.

أما أولُ جهاز حاسوب جلبَهُ الوالدُ فهو جهاز (وانج) على اسم العالم الأمريكيِّ ذي الأصل الصِّيني الدكتور وانج. وقد لاحظ بعضُ التجَّار في المملكة الطلبَ المتسارعَ على هذه الأجهزة فقرَّر ثلاثةٌ منهم الدخولَ في هذا الميدان، وكان ذلك بعدَ دخول الوالد بسنوات.

ومما يمتازُ به والدي: المرونةُ العالية في التفكير؛ فهو على استعداد أن يجري تغييرات جذرية تتسم بالجرأة بما يتناسب مع ما يتضح له من رؤية المستقبل، فقد بدأ تاجرًا تقليديًّا في الستينيَّات الميلادية يبيعُ ويشتري في مجال الأواني المنزليَّة، وفي السبعينيَّات تحوَّل تحوُّلاً تامًّا إلى تجارة الأثاث المكتبيِّ والآلات والأجهزة المكتبية والحاسب الآلي، وفي الثمانينيَّات دخل مجالَ التصنيع والاتصالات، وفي التسعينيَّات الميلادية كان من الروَّاد الذين عملوا في تطوير نظم المعلومات وتزويد السوق بحلول متقدمة، وفي مطلَع الألفيَّة الثالثة باتَ أحدَ أهمِّ مزوِّدي خدمات الإنترنت وما يترتب عليها من حلول متقدمة.

ثمرةُ الجدِّ

لم يقف الوالدُ عندَ حدود ما حقَّقَ من إنجازات، لكنَّه مضى في مضمار العمل التجاريِّ بعزيمة وإصرار، ودَأَب وهمَّة، مُستفيدًا من الطَّفرَة العظيمة التي غيَّرت صورةَ البلاد، وطَوَت صفحةً ماضيةً من تاريخ المملكة؛ لتعيشَ نهضةً عصريةً ضخمةً على جميع المستويات.

وكان لا بدَّ للتاجر الألمعيِّ عبد الرحمن الجريسيِّ أن يُكلِّلَ سيرةَ كفاحه بنُقْلَة كبرى، يُحاكي بها التقدُّمَ الحاصلَ، فمن النواة الأم، مؤسسةُ بيت الرياض، أسَّس: (شركةَ مجموعة الجريسيِّ القابضة)، التي تبنت مفهومَ (الحل الشامل للمكتب) وهو الشِّعارُ الذي رفعَهُ والدي، والرؤيةُ التي حَرَصَ أن يوصِلَها إلى جميع العاملينَ معه.

ومن أهمِّ ما اتجه إليه العملُ في المجموعة:

الأثاثُ المكتبيُّ على اختلاف أنواعه ومستوياته، بدءًا بتهيئة المكاتب، التي لا تكتملُ دونَ اختيار قواطعَ متناسقة، تحقِّقُ الاستفادةَ القُصوى من المساحة المتاحة.ثم تجهيزها بالآلات المكتبية اللازمة، وأجهزة الحواسيب وما يلحَقُ بها من برامجَ متنوِّعة، وأجهزة الأرشَفَة، وأنظمة المعلومات والاتِّصالات المتطوِّرة؛ لرفع مُستوى الأداء في العمل، اعتمادًا على مَهارة الارتباط والاتِّصال بالقريب والبعيد.

فضلاً عن الاعتماد على التِّقْنيَّات الحديثة في تسريع العمل وتيسيره وإنجاحه، إضافة إلى ما تتطلَّعُ إليه المصارفُ والبنوكُ من تقنيَّات وأنظمة مصرفيَّة، وكذلك ما تتطلَّبُه المطابعُ من تجهيزاتٍ متنوِّعة، وما تحتاجُ إليه بعضُ المنشآت من أنظمة الأمن والسلامة.

وبذلك فإنَّ الحلولَ المبتكَرةَ والشاملةَ التي تُتيحُها المجموعةُ للمكتب لا تقفُ عندَ حدود المكتب المثاليِّ العصريِّ، لكنَّها تتجاوَزُهُ إلى استشراف آفاق المستقبَل الرَّحبة، فانصبَّ اهتمامُ الشركة على تقديم خدمات رفيعة المستوى، تهدفُ إلى إرضاء العُمَلاء، مع الحرص على الإسهام المتميِّز، والمشاركة الفاعلَة في دعم تطوير المملكة العربية السعودية.

صورة لرحلة نظمتها إحدى الشركات إلى باريس لموزعيها، ومن ضمنهم بيت الرياض ويمثلها عبدالرحمن الجريسي الذي يظهر في الصورة (السابع من اليمين)

آلة صندوق فيكتور

آلة تصوير ميتا بالرول

آلة تصوير يوبكس بالماستر

كمبيوتر أبل ماكنتوش

آلة حاسبة كهربائية من فيكتور

آلة حاسبة يدوية من فيكتور

آلة تصوير ريكس روتاري

جهاز فاكس ريكو

كمبيوتر واغ

بعض المنتجات التي كانت مؤسسة بيت الرياض سباقة في إدخالها لسوق المملكة وذلك في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين

الجريسي في اجتماع مع إحدى
الشركات اليابانية في مدينة طوكيو

الجريسي يرتدي الزي التقليدي الياباني

الجريسي في زيارته إلى مصنع آلات
التصوير يوبكس

الجريسي في إحدى زياراته لليابان

الفصل الخامس

مجموعة الجريسي

مجموعة الجريسي؛ فروعٌ مزهرةٌ، لأصلٍ طيِّبٍ

شركة مجموعةُ الجريسي هي الشركةُ القابضَةُ المؤلَّفةُ من عددٍ من الشركاتِ والمصانع، وهي فضلاً عن ذلك تقومُ ببعضِ الأعمالِ الاستثمارية، بعيدًا عن مجال تلك الشركات؛ وذلك بتنميةِ الاستثماراتِ العقاريةِ والمساهماتِ الماليةِ المتنوِّعة للمجموعة.

ولا تكتملُ الصورةُ إلا بجولةٍ سريعةٍ نزورُ فيها شركاتِ المجموعةِ، التي بلغت عشر شركاتٍ متنوعةِ التخصُّصاتِ؛ لنقفَ عن كثبٍ على توجُّهِ كلٍّ منها، وتخصُّصِها، وما تقدِّمُهُ من خدماتٍ للمجتمعِ والوطنِ.

أولى شركاتِ المجموعة: **بيت الرياض**:

وقد عرفتَ أيها القارئُ الكريمُ قصةَ ولادتِها بحذافيرِها، يوم كانت تعملُ باسمِها القديم (مؤسسة بيت الرياض الجريسي)، وما بذلَ الوالدُ من جُهدٍ حتى استوَت على سُوقِها، وقد وافق إنشاؤُها حركةَ التطوُّرِ والبناءِ والتنميةِ في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ، فخطَّت الشركةُ منذ ذلك الوقتِ طريقًا لنفسِها عُنوانُهُ المشاركةُ الفاعلةُ في عمليَّةِ البناءِ والتطويرِ. وأدركتْ أن المستقبلَ سيضعُها أمامَ تحدِّياتٍ كبيرةٍ تفرضُ عليها الاستعدادَ الدائمَ لمواكبةِ كلِّ جديدٍ، وإحسانَ توظيفِه فيما يضمنُ لها دوامَ الاستمرارِ في تقديمِ حُلولٍ مكتبيَّةٍ من الآلاتِ والأجهزةِ والأثاثِ، تنسجم مع شعارِها المعروف (الحل الشامل للمكتب).

وبفضلِ هذا الإدراكِ الواعي والاستعدادِ الدائم، استَطاعَ الوالدُ تكوينَ رؤيةٍ شاملةٍ لما سيكونُ عليه مكتبُ المستقبلِ، وصارت شركة بيتُ الرياضِ بيتًا حقيقيًّا للجَودةِ، ومَوئلاً للخبرةِ والاستشارةِ؛ إذْ تقدِّمُ بفروعِها المنتشرةِ في جميعِ مدنِ المملكةِ حلولاً متكاملةً توفِّرُ للجميعِ بيئةَ عملٍ مثاليَّةً.

وقد تطوَّرت الشركةُ تطوُّرًا مطَّردًا؛ إذ اعتمدَ فيها الوالدُ عند إنشائها على موظَّفٍ واحدٍ، ثم ضمَّ إليه موظَّفًا آخرَ، وما زال عددُ الموظَّفين في ازديادٍ حتى بلغَ أكثرَ من ألفٍ وسبعِ مئةِ موظَّفٍ، على مدارِ أكثرَ من خمسينَ عامًا من العطاء، منذ تأسيسها عام ١٣٧٧هـ، وقد كان العمّ محمد عمر باقَيْس والعمّ صالح المُزَيْعِل من أوائل الموظَّفين الذين عملوا مع الوالد بالمؤسَّسة في تاريخ مبكر من إنشائها، واستمرَّ عملهم فيها بكلِّ تَفانٍ وإخلاص، وتدرَّجا في مناصبها العُليا حتى وقتٍ قريب حين تقاعدا عن العمل.

هذا الامتدادُ والتوسُّع في عمل الشركةِ لم يأتِ من فراغٍ، وإنما بسياسةٍ منهجيَّةٍ مدروسة، تعتمدُ على التعامُلِ مع الإداراتِ الحكوميَّةِ والوزاراتِ، والفوزِ بثقتِها بتقديمِ خدماتٍ ما بعد البيعِ من صيانةٍ وغيرها، وافتتاحِ فروعٍ في مدنِ المنطقةِ الكبرى؛ جُدَّة والدمَّام والمدينة المنورة والخُبَر ودولة البحرين، واستمرَّ افتتاحُ الفروعِ حتى بلغَت – بفضلِ الله – ثلاثينَ فرعًا في السعودية وخارجها.

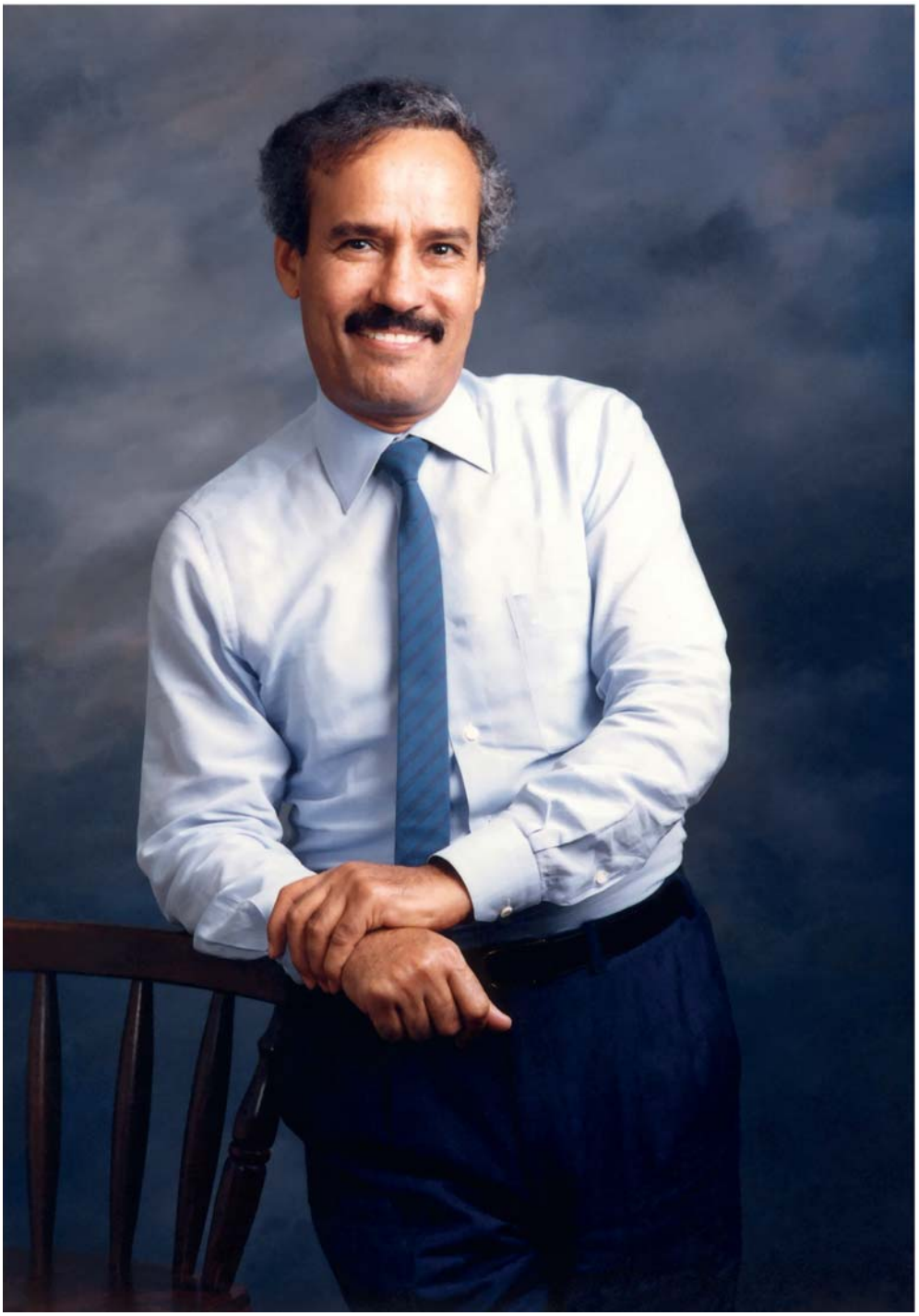

الجريسي في إحدى رحلاته إلى الولايات المتحدة الأمريكية

عبد الرحمن بن علي الجريسي

رئيس مجلس الإدارة

علي الجريسي

عضو مجلس الإدارة
رئيس مجموعة الجريسي

د. خالد الجريسي

عضو مجلس الإدارة
الرئيس التنفيذي لشركة بيت الرياض
ورئيس شركة الجريسي لخدمات الكمبيوتر
وشركة الجريسي للخدمات الإلكترونية
ومصنع الجريسي للأثاث

فهد الجريسي

عضو مجلس الإدارة
نائب الرئيس التنفيذي
لشركة بيت الرياض
و شركة الجريسي لخدمات الكمبيوتر

زياد الجريسي

عضو مجلس الإدارة
مدير عام مجموعة الجريسي

ياسر الجريسي

عضو مجلس الإدارة
مساعد الرئيس لشركة
الجريسي لخدمات الكمبيوتر

عمر الجريسي

عضو مجلس الإدارة
رئيس مجلس إدارة مدارس المناهج

محمد الجريسي

طالب جامعي

جريسي الجريسي

طالب جامعي

بيت الرياض
RIYADH HOUSE

مصنع الجريسي لتقنية البطاقات
JERAISY CARDTECH FACTORY

الجريسي لخدمات الكمبيوتر والاتصالات
JERAIRSY COMPUTER & COMM. SERVICES

مصنع الجريسي للأثاث
JERAISY FURNITURE FACTORY

الجريسي لخدمات الطباعة
JERAISY PRINTING SERVICES

مجموعة الجريسي
JERAISY GROUP

الجريسي للخدمات الإلكترونية
JERAISY ELECTRONIC SERVICES

معهد الجريسي للتدريب
JERAISY TRAINING INSTITUTE

SJL
مصنع ستيلكيس الجريسي
STEELCASE JERAISY FACTORY

مدارس المناهج
Al manahij Schools

مركز الأريبة للمهارات النسائية
AL-AREEBA FOR LADIES SKILLS

lenovo
JERAISY GROUP
مجموعة الجريسي
ora

وقد أسند إليَّ والدي حفظه الله مهمَّةَ إدارة (شركة بيت الرياض) في وقت مبكِّرٍ نسبيًّا، فخالجَني شعورٌ متناقضٌ؛ يراوحُ بين الرَّهبَة من إدارة شركة كُبرى لها مكانةٌ خاصَّة لدى مؤسِّسها، وتتمتَّع بثقة عالية عند العُمَلاء في السوق المحليَّة والعالمية، وبين السُّرور بالعمل تحت إدارة والدي، ومنحي هذه الفرصةَ المهمَّة لتطبيق ما تعلَّمتُه من نظريات ومبادئَ إدارية أثناء دراستي الجامعيَّة. وقد استعنتُ بالله وعزَمتُ على تحمُّل المسؤولية، شاكرًا لوالدي ثقتَهُ الغاليةَ بي، وقد التمَستُ منه النُّصحَ والتوجيهَ المستمرَّين، وكان لذلك أثرٌ عميقٌ في اكتسابي خبراتٍ غنيةً، وإثراء معرفتي بالسُّوق المحلية والخارجية على نحوٍ لا يكادُ يتوافَرُ في غير شركة بيت الرياض، وعند موجِّه ومديرٍ غير سيِّدي الوالد.

وقد منحَني والدي الصلاحيَّات الكاملةَ لإدارة بيت الرياض؛ منذُ تولَّيتُ رئاستَها قبل عشرينَ عامًا تقريبًا، فكان هذا حافزًا لي لأبذل طاقتي في النهوض بها، حتى شهدَت الكثيرَ من التغييرات التي طوَّرت صورتَها الذِّهنيةَ لدى العملاء والعاملينَ فيها فضلاً عن المورِّدين والتجَّار. وبتوجيهات من الوالد تم اتِّخاذُ كثيرٍ من القرارات التنظيميَّة والإصلاحات الداخلية التي دفعت بالشركة خطواتٍ واسعةً إلى الأمام، سواءٌ في الإنتاج أو الجَودَة أو التخصُّصات أو العائدات.

بعد تحقيقنا النجاحَ في تنفيذ الإصلاحات الداخلية للشَّركة، بدأتُ – بمساعدة المستشارينَ وفريق العمل – في السعي إلى إنجاز خطواتٍ تطويرية تساعدُ الشركةَ على النَّجاح في المنافسة المحمومَة القائمة في السُّوق السعودية، لذلك حَرَصنا على الحصول على شهادة الآيزو، التي توفِّر على الشركة الكثيرَ من الوقت والجهد عند تواصُلها مع المورِّدين العالميِّين؛ للثقة التي تحوزُها بتحصيلها شهادةً عالميةً تعني التزامَها بسياسة جَودة عالية محدَّدة، وقد ساعد الحصولُ على هذه الشهادة في تنظيم كثيرٍ من عمليَّات (بيت الرياض)، وتطوير الثقافة الإدارية لدى منسوبي الشركة.

ثمَّ قمنا بتطبيق نظام المعلومات (أوراكل)، الذي حقَّقَ لـ (بيت الرياض) نُقْلةً نوعيَّةً في نظام المعلومات، وقد استفادَت الشركةُ منه في زيادة درجة التنظيم الداخليِّ، ورفع مُستوى الانسيابيَّة والسهولة في العمل، وقد تجلَّى ذلك في صورٍ إيجابيَّةٍ في الخدمات التي تقدِّمُها الشركةُ لعملائها.

وقد واكبَ التوسُّعَ الضخمَ في نشاطات الشركة، والنجاحَ المصاحبَ له، قرارٌ اتَّخذناهُ بإعادة رسم هُويَّة (بيت الرياض)؛ لأنها جُزءٌ من العملية التسويقيَّة، وحرصًا على مواكبة الهُويَّة لنشاطات الشركة المتجدِّدة دومًا، فكلَّفتُ فريقًا متخصصًا خبيرًا دراسةَ هُويَّة الشركة في صورتها القديمة، واقتراحَ هُويَّة جديدة تمثِّل رؤيتَنا، وانتهَينا إلى اعتماد تطوير هُويَّة (بيت الرياض) وتوحيدها، بالإبقاء على جَوهر الهُويَّة القديمة مع إجراء تعديلات أكسبَت الصورةَ مزيدًا من الحداثة والعصرية، بالإفادة من التطوُّرات الفنية والتقنية الحديثة. وكان والدي حفظه الله قريبًا جدًّا من كلِّ هذه التغيُّرات والتطوُّرات، وكان يلتزمُ الحيادَ تجاهَ قراراتنا،

الإدارة العامة لمجموعة الجريسي بمدينة الرياض

لكنني كنتُ أستشفُّ منه دومًا أنَّ ما نُصْدرهُ من قرارات تمثِّلُ رؤيتَه وتوجُّهَه، لذلك كان دائمَ التشجيع لنا، والتتبُّع لجديدنا، مع منحنا الثقة والصلاحيات الكاملة وهذا دليلٌ على بُعد نظره وحُنْكَته في إدارة الأعمال وتفويض السلطة بمفهومها الحديث، ولا يخفى ما في ذلك من دعمٍ معنويٍّ لنا كنَّا بأمسِّ الحاجة إليه، جزاه الله عنا خيرًا.

وثاني شركات المجموعة: **الجريسيِّ لخدمات الكمبيوتر وأجهزة الاتِّصالات**:

بمتابعة الوالد لقطاع الحواسيب رأى أنه يتَّسعُ بسرعة عالية، وأنه يحتاجُ إلى اهتمام خاص؛ لذا أُسِّست هذه الشركةُ في عام ١٤٠٤هـ، لتُعنى بشؤون الحاسوب والحلول الشاملة للتِّقنية والبرمجيات والتشغيل والصِّيانة والمستلزَمات، ويحدِّثُنا الوالدُ عن مرحلة التأسيس قائلاً:

«لقد قابلتنا عَقَباتٌ كثيرة، تمثَّلت في حدَّة المنافسة في هذا المجال الذي كان جديدًا في السُّوق السعودية، والحاجةُ إليه كبيرةٌ، وفي الوقت نفسه كانت السوقُ تعاني نقصًا كبيرًا في الفنيِّين الخبراء، والمتخصِّصين ذوي الكفايَة، الذين يُنتظَر منهم القيامُ بالتشغيل والصِّيانة. ومن ثَمَّ كان ولوجُنا في هذا المجال – مبكِّرًا – ضربًا من المخاطَرَة، حيث إن هذه التقنيةَ تتغيَّرُ وتتطوَّرُ باستمرار، ولكننا مع ذلك لم نفكِّر لحظةً بالتراجُع أو النكوص، وإنما قَبِلنا التحدِّيَ، واستقطَبنا ذوي الخبرة والمعرفة والكفاية من جميع أنحاء العالم، إضافة إلى

منظور المبنى الرئيس لشركة بيت الرياض في مدينة جدة في المنطقة الغربية بعد التجديد

المبنى الرئيس لشركة بيت الرياض في مدينة الدمام في المنطقة الشرقية

الكفاءات الإدارية الوطنية، وحقَّقنا نجاحًا متميِّزًا في هذه الشركة؛ لتصبحَ اليومَ إحدى كبرى الشركات العاملة في مجال تقنية المعلومات في المملكة العربية السعودية، وقد اشتُهرتْ بتقديم حُلولٍ تِقْنيَّةٍ عالية المستوى، في مجال الحواسيب والبرامج والاتِّصالات».

ومن أهمِّ أهداف هذه الشركة: المحافظةُ على مركزها المتقدِّم بين كبرى الشركات العاملة في مجال تقنية المعلومات في المملكة، ومتابعةُ التطوُّرات في هذا المجال باستمرار، وإجراءُ كلِّ ما يلزمُ لخدمة هذا التطوُّر؛ من دعم الخبرات وإثرائها، إلى تقديم المنتَجات والخدمات الجديدة دائمًا، وتقديم خدمات متميِّزة متفرِّدة بنوعها، والمحافظةُ على بيئة عملٍ راقية ومتقدِّمة، يستفيدُ منها القِطاعُ الحكوميُّ، والقِطاعُ الخاصُّ والشركاتُ الكبيرةُ، ومزوِّدو الخدمات.

وثالثُ شركات المجموعة: **الجريسيِّ للخدمات الإلكترونية المحدودة:**

أُسِّست هذه الشركةُ عامَ ١٤٢١هـ، تحت اسم: شركة بتلكو الجريسي لخدمات الإنترنت (أثير) قبل أن يتغير إلى الاسم الحالي، ويقولُ عنها الوالدُ: إنها أولُ شركة دخلت مجالَ الإنترنت وحصلَتْ على التصريح به، وكان ذلك عن قناعة منَّا بأهميَّة الإنترنت في حياتنا المعاصِرَة؛ إذْ أصبحتْ ضرورةً مُلحَّة، وقد مضى أكثر من عشرِ سنواتٍ على تأسيس الشركة، وتهيَّأ لها فريقٌ خبيرٌ ذو قدراتٍ علميةٍ وتقنيَّةٍ من مُختَلِف أنحاءِ العالم.

وتتميَّزُ الشركةُ بتقديم خدمات ذات جَودة عالية للمؤسَّسات الحكومية والشركات والأفراد، داخلَ المملكة العربية السعودية وخارجَها، ومن أهمِّ الخدمات التي تقدِّمُها: خدمةُ الإنترنت عن طريق الخُطوط المؤجَّرة والخطوط الهوائيَّة، وخدماتُ المشتركينَ الرَّقْميَّةُ، أو ما يسمَّى باتصال DSL وخدمة الاتصال الهاتفي (إيزي نت)، وخدماتُ البريد الإلكترونيِّ، وخدماتُ استضافة مواقعَ وتطبيقات، وخدماتُ حكومات إلكترونيَّة، وخدماتُ الرَّبط الدَّوليِّ، وخدماتُ نُظُم الردِّ الآليِّ، وخدماتُ برامج الدعم الفنِّيِّ، وغيرُها من البرامج الرائدة في مجال خدمات الإنترنت.

وفي عام ٢٠٠١م تم إدخال نشاط الخدمات الإلكترونية للحج والعمرة تحت اسم نظام «طواف» وهذا النشاط متخصص في خدمات الحجِّ والعُمرَة، وقد شكل ذلك انطلاقة لدخول شعيرتَي الحجِّ والعُمرَة آفاقَ التقنية الحديثة، باستخدام نُظُم آلية راقية المستوى آمنة الاستخدام، توفِّرُ للعملاء جميعَ المعلومات المتعلِّقة بالمعتمرينَ، من بَدْءِ تسجيلهم في بلدهم حتى عَودتهم إليها، مرورًا بأدائهم المناسكَ. ويمتازُ نظامُ (طواف) بتكوينه بيئةً متكاملةَ الصلاحيَّات والخيارات تلبِّي جميعَ احتياجات العميل، وينفِّذُها بطريقة آلية ذات خُطوات عمليَّة سهلة الاستخدام، وتمنحُهُ نتائجَ واسعةَ النطاق، وتتميَّزُ الصلاحياتُ بالتحكُّم الذاتيِّ من قِبَل العميل، وتمكِّنُهُ من الاستخدام الفنِّيِّ للنظام ومتابعة عملياته وتنفيذها دونَ الرجوع إلى جهات فنيَّة أخرى.

وينطلق نظام (طواف) من رؤية واضحة غايتُها إيجادُ سوق إلكترونيَّة متكاملة، تربطُ شركات العمرة ووكلاءَها في الخارج بمزوِّدي الخدمات؛ سعيًا للارتقاء بالخدمات المقدَّمة، وتحقيقًا لمبدأ خدمات العمرة الإلكترونية، التي تتكاملُ مع نظام الحكومة الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية، باستخدام كلِّ أدوات التقنية المتطوِّرة التي تدعمُنا بها حكومةُ خادم الحرمين الشريفين؛ سَعيًا إلى تحقيق راحة المعتمرينَ وحجَّاج البيت الحرام، وتسهيلاً لما قد يعترضُهم من مَصاعبَ.

ورابع شركات المجموعة: **الأريبة للمَهارات النِّسائية:**

أُنشئَت هذه الشركةُ برغبة مشتركة بين والدي وأختي هُدى، وذلك إيمانًا من الوالد بضرورة إعطاء المرأة الفُرصةَ الكاملةَ في المجالات التي تُحسنُها، وأختي هُدى متخصِّصةٌ في الترجَمة، ولديها اهتمامٌ بقضايا التدريب والتعليم وطموحٌ في تطوير مهارات الفتاة السعودية، فكان تأسيسُ هذه الشركة في عام ١٤٢١هـ، تلبيةً لهذا الطموح. وشركةُ الأريبة: مركزٌ نسويٌّ متخصِّصٌ في التدريب على جميع برامج الحاسوب، وتعليم اللغة الإنكليزية لجميع المستويات والمراحل، والتدريب على مهارات التسويق والسكرتارية والمحاسبة، وغيرها من دورات الإدارة. ويهدفُ تأسيسُها إلى الارتقاء بالمرأة العربية عمومًا والسعودية خصوصًا، وتنمية مهاراتها في جوانبَ مختلفة، وذلك بإشراف المؤسَّسة العامَّة للتعليم الفنِّيِّ والتدريب المهنيِّ. وقد

أعدَّت الأريبةُ برامجَ تدريبيةً متميِّزةً، يتولى التدريبَ فيها فرقُ عملٍ متخصِّصةٌ ذاتُ خبراتٍ عاليةٍ.

وأما خامسُ شركاتِ المجموعةِ فهي: **مصنعُ الجريسيِّ للأثاث**:

منذُ عهدٍ بعيدٍ والأثاثُ المكتبيُّ والمنزليُّ مرتبطٌ بأسماءِ مدنٍ عالميَّةٍ، مثلِ: ميلانو، وباريسَ، ومدريدَ.

يقول الوالد:

«وجدنا أن فكرةَ إقامةِ مصنعٍ في الرياضِ يلبِّي حاجاتِ الشركاتِ والوزاراتِ في مناطقِ السعوديةِ كافَّةً أمرٌ مهمٌّ جدًّا، فأسَّسنا هذا المصنعَ في المنطقةِ الصناعيةِ الثانية، وقد خَضعَ لتوسعةٍ كبيرةٍ في عام ١٤٣١هـ، ويعدُّ أكبرَ مصنعِ أثاثٍ في المملكةِ يقوم بتصنيعِ الأثاثِ المكتبي بجميعِ أنواعه؛ من مكاتب وطاولات اجتماع وكراسي وكنب وقواطع خشبية، واعتمد شعاره: (صناعة سعودية بمواصفات أوروبية).

وكان إنشاءُ المصنعِ عام ١٤٠٨هـ، على مساحةِ ٤٥ ألفَ مترٍ مربعٍ، وتبوَّأت الرياضُ به مكانةً متألقةً في عالمِ الأثاث؛ إذْ نجحَ – في مدَّةٍ وَجيزةٍ من عمُرِه– في اكتسابِ خبرةٍ عاليةٍ ومهارةٍ فائقةٍ، وتوِّجَ هذا النجاحُ بعددٍ من جوائزِ التكريم، فحاز المصنعُ (جائزةَ الملكِ فهد للمصنعِ المثاليِّ)، لعامين متتاليَيْن، وأُدرجَ ضمنَ أفضلِ عشَرةِ مصانعَ في المملكة، وحصل أيضًا على المركزِ الأولِ لـ(جائزةِ الملكِ عبدِ العزيزِ للمصنعِ المثاليِّ) عامَ ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م، ونالَ شهادةَ (آيزو ٩٠٠١) عامَ ١٩٩٤م، ثم عامَ ٢٠٠٤م».

مبنى إدارة
مصنع الجريسي للأثاث

وسادس شركات المجموعة: **شركةُ ستيلكيس الجريسيّ المحدودَة:**

في عام ١٤١٤هـ، أقيمَتْ شَرَاكَةُ عملٍ بين شركة مجموعة الجريسيِّ وشركة (ستيلكيس) الأمريكيَّة؛ لإقامة مصنع (ستيلكيس الجريسي) داخل المملكة العربية السعودية؛ لإنتاج أثاث مكتبي سعودي بمواصفات وجودة أمريكية. وذلك تتويجًا لعلاقة تعاون طويلة ومثمرة بين هاتين الشركتَين الرائدتين. وتعدُّ شركةُ ستيلكيس من أكبر الشركات المصنِّعة للأثاث المكتبيِّ، وأشهرها في العالم، وشركةُ مجموعة الجريسيِّ رائدةٌ في مجال الأثاث المكتبيِّ والتِّقْنيَّة المكتبيَّة في المملكة العربية السعودية.

ينبسطُ مصنعُ شركة (ستيلكيس الجريسيّ) على مساحة قدرُها ٢٢ ألفَ متر مربع، في المنطقة الصناعيَّة الثالثة بمدينة الرياض، وهو مزوَّدٌ بأحدث الأجهزة اللازمة لصناعة الأثاث المكتبيِّ وأدقِّها وأرقاها، وتُطبَّقُ فيه أعلى معايير ضبط الجَودة صرامةً، والمتوافقة مع التحكُّم بالجَودة (آيزو/ ٢٠٠٠: ٩٠٠)، وتطبيق معايير المحافظة على البيئة.

وقد نجحَتْ شركةُ (ستيلكيس الجريسيِّ) المحدودةُ في إرضاء عملائها في المملكة العربية السعودية، مقدِّمةً لهم خيارات مختلفةً ووافرةً من الأنظمة المكتبيَّة المتكاملة، التي تشمَلُ وَحدات العمل، والقواطعَ، ووَحدات تخزين الملفَّات، والكراسيَّ.

وسابعُ شركات المجموعة: **مصنعُ مجموعة الجريسي لتقنية البطاقات:**

كان تأسيسُ المصنع في سنة ١٤٢١هـ؛ تلبيةً للاحتياجات المحلية، بيدَ أنه نجح في أن يكونَ شركةً عالميةً

مصنع ستيلكيس الجريسي

رفيعةَ المستوى، برغم التنافُس الشديد في السوق العالميَّة للبطاقات البلاستيكية. وتمكَّنت الشركةُ في وقت مبكِّر من سدِّ حاجة السوق الخليجيَّة الضخمة، وأصبح مصنعُ الجريسيِّ لتقْنيَّة البطاقات في وقت وجيز رائداً في تصنيع البطاقات الذكيَّة والمُمَغنَطة التي تعتمدُ عليها البنوك في إصْدار البطاقات الائتمانية (فيزا، ماستر كارد)، وبطاقات الصراف الآلي، وكذلك تزويد السوق السعوديَّة والإقليميَّة والعالميَّة بما تحتاجُ إليه من تلك البطاقات، على اختلاف أنواعها واستخداماتها. وقد نجحَ المصنعُ في تصدير منتجاته لأكثر من خمسٍ وعشرين دولة.

وثامن شركات المجموعة: **شركة إنتاج ورق الكمبيوتر**:

أقيمَتْ هذه الشركةُ في عام ١٤٠٦هـ؛ بغرض تلبية الطلَب المتنامي على مختَلف نماذج الطباعة، في السوق المحليَّة والإقليميَّة، وتعملُ الشركةُ حاليًّا بطاقة إنتاجية تزيدُ على أربعة آلاف طنٍّ من الورق سنويًّا، مستخدمةً أحدثَ تقْنيَّات التصميم والمونتاج وفرز الألوان، وتسعى إلى توطين صناعة الورق وتحقيق الاكتفاء الذاتيِّ منها، وتلك خطوةٌ مهمَّةٌ ستعودُ بالنفع على الاقتصاد الوطنيِّ.

وتاسع شركات المجموعة: **معهد الجريسي الثقافي للتدريب**:

ضمنَ خطة الشركة الاستراتيجية لتوطين الوظائف أسس هذا المعهد في شهر محرم عام ١٤٣١هـ؛ ليقوم بدَور فاعل في تدريب الشباب السعودي على اكتساب جملة من المهارات الإدارية والفنية تؤهله للقيام بدوره المأمول في البناء والتنمية، مما يسهم في توطين الوظائف وخدمة المجتمع، ويولي المعهد اهتماماً بالغاً

مصنع تقنية البطاقات
وشركة إنتاج ورق الكمبيوتر

بإعداد البرامج التدريبية المتميزة من خلال:

- اختيار عناصر التدريب المؤهِّلة ذات الخبرة والمهارة.

- إعداد المواد التدريبية المتكاملة بشقَّيها النظري والعملي.

- الأخذ بأسلوب التدريب التطبيقي البعيد عن الأساليب الأكاديمية البَحْتة.

وآخر شركاتِ المجموعةِ: **مدارس المناهج**:

في سَعيه للإسهام في أوجُه التنمية المتعددة قام الوالد بالاستثمار التعليمي من خلال شراء مدارس المناهج الأهلية عام ١٤٢٩هـ، حيث إن التعليم رسالة مهمة تتجلّى في أثرها الكبير في بناء الشخصية المتكاملة المتوازنة للإنسان لأعداده للمشاركة في صناعة التغيير وقيادة التطوير في المجتمع، وهي تشتمل على قطاعين الأول للبنين والآخر للبنات؛ بدْءًا من مرحلة رياض الأطفال إلى المرحلة الثانوية وقد تَمَّ تجهيزهما بكافة الوسائل التقنية التعليمية الحديثة.

وتركز إدارة مدارس المناهج رؤيتها في (الرِّيادة في تعليم العلوم والرياضيات) وهي رؤية رِياديّة تَنُمُّ عن فِكر ووَعي بمتطلبات العصر الذي نعيش فيه، وها هي الآن في عامها الخامس تحقق العديد من الإنجازات إذ اختيرت المدارس لمبادرة الشراكة مع مَوْهِبة في القسمين الابتدائي والمتوسط، كما اعتمدت المدارس لأول مرة على مستوى المملكة لتطبيق شهادة البكالوريا العربية الدولية بالمراحل الثانوية.

وتكليلاً لجميع الجهود التي تُبذل لتقديم تعليم نَوعي متمَيِّز تسعى المدارس للحصول على شهادة الأيزو من خلال تحقيق أعلى معايير الجودة الشاملة في العمليتين الإدارية والتعليمية.

الجريسيُّ وعالم التقنيَّة

تعاملَ والدي الشيخُ عبدُالرحمن الجريسيُّ عبرَ مجموعة الجريسي مع عددٍ كبيرٍ من الشركاتِ العالميةِ من أشهرِها شركة (وانج) التي كانت قديمًا أكبرَ شركاتِ الحواسيبِ في العالَم، وقد أنجزَ بالتعاونِ معها الكثيرَ من المشاريعِ الكبرى.

وكان للجريسيِّ تاريخٌ طويل مع حواسيب (آبل) التي منحت الشركةَ سمعةً طيِّبةً، وعُدَّت مرحلةُ التعاون مع (آبل) مرحلةً ذهبيةً شديدةَ التميُّزِ في تاريخِ الشركة؛ لما امتاز به الجهازُ من تقنيَّةٍ عالية، ولِرُقيِّ فِرَقِ البيع والتسويق والخِدْمة التي شكَّلها الجريسيُّ.

إن هذا النجاحَ الكبيرَ في مجالِ الحواسيبِ جعل اسمَ الجريسيِّ يرتبطُ بعالم التقنيَّة، حتى اشتُهر أنه المزوِّدُ

الأولُ والرئيسُ للحواسيبِ في المملكة، وكان لهذه الشهرةِ أصداؤها فاختارتهُ شركةُ (أرامكو) مستشارًا لها في تقنيَّةِ المعلومات، فكانَ يُبدي رأيهُ في جميعِ قراراتِ (أرامكو) المتعلِّقةِ بتوفيرِ أجهزةِ الحاسوبِ وأنظمتِها وكلِّ ما يتصلُ بها.

وفي عام ٢٠٠٣م قامت مجموعة الجريسي بالتعاونِ مع شركةِ هيولت باكارد (hp) بإنشاءِ مصنعٍ للحواسيبِ بلغت قدرتُه الإنتاجيةُ مئةً وعشرين ألفَ حاسوبٍ في السنةِ، وبعد عشرة أشهر من افتتاحهِ حصل على شهادة الآيزو ٢٠٠٠-٢٠٠١، وقد أغلق هذا المصنع عام ٢٠٠٨م بعد ما رُفعت الرسوم المفروضة على استيراد الأجهزة فأصبحت المنافسة صعبة حينها، وبغضِّ النظَر عمَّا آل إليه هذا المصنعُ، فإن مرحلةَ عملِه تميَّزت بإنتاجٍ عالٍ، حقَّق للجريسيِّ حينها قَفَزاتٍ نوعية.

ولم يقتصِر نشاطُ الجريسيِّ على التوسُّعِ في المملكة العربية السعودية، فقد أسَّس فرعًا لـ(بيت الرياض) في البحرين، وكان ذلك عامَ ١٩٩٩م، ولَا زال الفرعُ يعملُ بكفاءةٍ.

ويلحَظُ القارئُ منذ الوَهْلَةِ الأولى أن الوالدَ قد جعلَ مسارَ التقنيَّةِ خيارًا إستراتيجيًّا لأعماله، وفي كلِّ يوم يتغيَّرُ الكونُ ويكون محورُ ارتكازِ تغيُّرِه عاملَ التَّقْنيَّة، وليس مُستغربًا أن تتهافتَ الشركاتُ على خدماتِ التقنيَّةِ وأجهزةِ الحواسيبِ اليومَ، ولكنَّ المستغرَبَ حقًّا أن يدخلَها شابٌّ من أرياف نجد في وسَطِ مجتمعٍ لم يكن يسمَعُ بالحواسيبِ في السبعينيَّاتِ الميلادية! إن توجُّهَ والدي منذ ذلك الوقتِ المبكِّرِ للاستثمارِ في مجالِ التقنيَّة، وتطويرَهُ للعملِ مع تطوُّرِ التقنية يُعدُّ عملاً ريادِيًّا سبَّاقًا، ورؤيةً للفُرَصِ بعُيونٍ فاحصَة، واستشرافًا للمستقبلِ مبنيًّا على أُسُسٍ سليمةٍ، قائمةٍ على الفِراسَة والإدارة المحنَّكةِ بالفطرةِ لا بتعلُّمِ النظريات!

وحين سُئلَ والدي عن سببِ دخولِه في مجالِ الحاسوبِ ومُستلزَماته، قال:

«لا أبالغُ إن قلتُ: إنَّ الاستثمار في قطاعِ الحواسيبِ يُعدُّ من أصعبِ المجالات التجاريةِ التي قد يختارُها رجلُ الأعمال؛ وذلك لكثرةِ المتغيِّراتِ وسُرعةِ المستجدَّاتِ في هذا المجال، ومن ثَمَّ يتطلَّبُ من رجلِ الأعمالِ أن تكونَ لديه القدرةُ على مُجاراةِ تلك المتغيِّراتِ المتسارِعَة، وإن لم ينجح في ذلك وجدَ نفسَهُ خارجَ دائرةِ المنافسة، ثم خارجَ السوق! لأن المنافسةَ بين المستثمرينَ في قطاعِ الحواسيبِ منافسةٌ شديدةٌ جدًّا، وهي أقوى من المنافسةِ في غيرِها من المجالاتِ الاستثمارية، وإني لأرجو جميعَ رجالِ الأعمالِ الشبابِ الراغبينَ في الاستثمار في عالمِ الحواسيبِ أن يضعوا هذه الملاحظاتِ في اعتبارِهم».

ولا بدَّ أن نشيرَ أخيرًا إلى أنَّ هذا النشاطَ المتميِّز كان له أثرُه الكبيرُ في منحِ اسمِ الجريسيِّ طابعًا إيجابيًّا، أكَّدتهُ إحدى الشركاتِ المتخصِّصةِ بدراسةِ السوق؛ إذ قامت بدراسةِ تقييمٍ للصورةِ الذهنيَّةِ لكلمة (الجريسي) لدى عيِّنة مختارَة للبحث، وكانت النتيجةُ إفادة ٩٧٪ من العيِّنة بأن اسمَ (الجريسيّ) يعني تقنيةَ المعلوماتِ، وليس الأثاثَ أو الأجهزةَ المكتبيةَ فحسب.

الفصل السادس

في الغرفة التجارية الصناعية

تتويجٌ مُستَحَقٌّ

مسيرةٌ حافلةٌ بالنجاحِ وتحقيقِ الإنجازات، تلك التي وُفِّق والدي – بفضلِ الله – إلى سيرِها بجدٍّ ونشاط، وشعورٍ بالمسؤولية، واضعًا نُصبَ عينيه خدمةَ الوطنِ والإسهامَ في نهضته، وقد كُلِّلت جهودُه الكبيرةُ في مَيدانِ العملِ التجاريِّ والصناعيِّ بولوجِ ميدانٍ جديدٍ كان نُقلةً كُبرى في حياتِه العمليَّة، وأشبهَ بتتويجٍ له جزاءَ إنجازاته، ففي الدورةِ العاشرةِ لإدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض (١٤٠٩-١٤١٣هـ) انتُخبَ الوالد نائبًا للرئيس، ثم في الدورةِ التاليةِ الحاديةَ عشرةَ تقلَّدَ رئاسةَ الغرفة ، وما يزالُ إلى الآنَ رئيسًا لها، وبانتهاءِ الدورةِ الحاليةِ الخامسةَ عشرةَ في عام ١٤٣٣هـ القادم يكونُ قد أمضى عشرينَ عامًا في رئاسةِ الغرفة.

ومن الجدير ذِكْرَهُ بكلِّ فخرٍ؛ أنَّ الوالد يُعدُّ أول من تَسنَّم منصب رئاسة الغرفة التجارية الصناعية عن طريق الانتخابات التي كانت الأولى من نوعها في المملكة العربية السعودية. وأول شخصية تمارس عملية الترشيح والانتخابات وتفوز به في المملكة، ولم يُسبق في ذلك في أيٍّ من القطاعات.

وهو أولُ من مدَّ الجسورَ بين رجالِ الأعمال وولاةِ الأمر، إذْ قامَ بعدَ فوزِه برئاسةِ الغرفةِ التجارية في المرةِ الأولى بالتوجُّهِ للقاءِ خادمِ الحرمينِ الشريفينِ الملك فهد بن عبدالعزيز، وألقى بينَ يديه كلمةً بيَّنَ فيها الدورَ المَنُوط برجالِ الأعمال في البناءِ والتنميةِ الوطنية.

أمَّا على الصعيدِ الدولي فهوَ أولُ من فتحَ أبوابَ الغرفةِ التجارية، وجعلها مُشرَّعةً أمامَ كبارِ الشخصياتِ من الزعماءِ والوزراءِ الذينَ يزورونَ المملكة، حيثُ كانَ يدعُوهم لزيارةِ الغرفةِ التجارية؛ للقاءِ رجالِ الأعمال والحديثِ معهم وذلك لتمتينِ أواصرِ العلاقةِ التجاريةِ بين المملكة العربية السعودية والدولِ الأخرى.

وعن هذه المرحلةِ يَبوحُ لنا الوالدُ قائلاً:

«إن أولَ ما يجبُ أن يُذكرَ عن الغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ هو أن قيامَها يُعَدُّ إنجازًا وطنيًّا مهمًّا، لم يكنْ ليتحقَّقَ لولا فضلُ اللهِ أولاً، ثم جهودُ حكومتنا الرشيدة، ودعمُ الراعي الأولِ للغرفةِ منذُ نشأتِها عام ١٣٨١هـ صاحبِ السموِّ الملكيِّ الأميرِ سلمانَ بنِ عبد العزيزِ ولِيِّ العَهد نائب رئيس مَجلس الوزراء وزير الدِّفاع وأميرِ منطقةِ الرياضِ آنذاك، فهو الداعمُ الأولُ والمحرِّكُ الرئيسُ لأنشطتِها، والعمادُ والأساسُ في رُقيِّ إنجازاتِها، ولا يمكنُ أن ننسى أبدًا – نحنُ أعضاءَ مجلسِ إدارةِ الغرفةِ في دوراته المتعاقبة – مواقفَهُ الداعمةَ لقطاعِ الأعمال، والمساندةَ لعواملِ النموِّ الاقتصاديِّ والحضاريِّ. ولعلَّ في مركزِ الرياضِ الدوليِّ للمعارضِ– الذي يُعَدُّ من أبرزِ المنجزاتِ العمرانيةِ والحضاريةِ في مدينةِ الرياضِ– خيرَ شاهدٍ على دعمِه الكريمِ لأعمالِ الغرفة».

ازدحام على التصويت في إحدى الجولات الانتخابية في الغرفة التجارية الصناعية

الغرفة التجارية الصناعية
CHAMBER OF COMMERCE & INDUSTRY

الجريسي بعد فوزه في انتخابات الغرفة
التجارية يلقي كلمة أمام خادم
الحرمين الشريفين الملك
فهد بن عبد العزيز رحمه الله

ويقولُ الوالد عن بداية التحاقه بعضوية الغرفة:

«لم أفكِّر أبدًا في دخولِ الغُرفة التجارية، ولم يكن دخولُها – قديمًا – عن طريقِ الانتخاب؛ إذْ كان الأمرُ اختياريًّا، وقد اتصلَ بي الأمينُ العامُّ للغرفةِ التجاريةِ في ذلك الوقتِ صالح الطعيمي وعرَضَ عليَّ الانضمامَ إليها وقَبِلتُ، فصرتُ عضوًا في مجلسِ الإدارة، وكانت الغرفةُ التجاريةُ بحاجةٍ إلى انضمامِ رجالِ الأعمالِ ودعمِهم، والتعاونِ معًا لدعمِ الاقتصادِ الوطنيِّ دعمًا كبيرًا، وكان مقرُّها في شارعِ الثميري، ولم تكن حينها سوى مكتبٍ صغيرٍ، ولكنَّ له أثرًا فاعلاً في تقديمِ الخدماتِ للتجَّارِ، وتنميةِ العلاقاتِ مع الوزاراتِ، والمرجعيةُ الأولى للغرفةِ هي وزارةُ التجارة.

كانت السعوديةُ تمرُّ بمراحلِ تطوُّرٍ كبيرةٍ في مُختَلفِ المجالات، خصوصًا في المجالِ التجاريِّ، وعددُ أعضاءِ الغرفةِ اثنا عشرَ عضوًا في مجلسِ الإدارة، ويرأسُ الغرفةَ في ذلك الوقت الشيخ عبدالعزيز المقيرن، يرحمه الله. وفي ذلك الوقتِ لم يكن ثَمَّةَ أشغالٌ كثيرةٌ مقارنةً بالوقتِ الحالي، ولكنَّ المسؤوليةَ والأعباءَ كانت تزدادُ سنةً بعد سنة، ولا سيَّما زياراتِ الوفودِ الأجنبيَّةِ إلى المملكة، وزيارةِ الوفودِ السعوديةِ لبعضِ الدُّوَلِ الأجنبيَّة. وقد توثَّقتِ العلاقةُ فيما بيننا وبين الوزاراتِ والوزراء، وشُكِّلَت اللجانُ المتخصِّصة، وكلُّ تلك الأمورِ تعدُّ عبئًا إضافيًّا على المرءِ عمومًا، ومسؤوليَّةً كبيرة يحملُها العضوُ على عاتقه».

وعن تولِّيه رئاسةَ الغرفةِ يقول: «إنَّ رئاستي لغرفةِ تجارةِ وصناعةِ الرياض جاءت بقناعةِ الأعضاء وثقتِهم بي وبقُدرتي على الإدارة، بعد اعتذارِ الرئيسِ الأسبق.

إن تولِّي رئاسة الغرفةِ أضاف إليَّ الكثيرَ، وذلك بلقاءِ كبارِ المسؤولينَ والتواصُلِ مع القيادة، وكان هذا التواصُلُ يبدأ من الغُرفةِ أو بتوجيهٍ من القيادةِ والحكومة، ومسؤوليةُ الغرفةِ وإدارتُها لم تكن بالأمرِ السهل، إذ إنها تشغَلُ الإنسانَ عن التفرُّغِ لعمله الخاصِّ وعن تواصُلِه مع عائلته، فهي عِبءٌ ثقيلٌ جدًّا، ولكن هل يُثمرُ عملٌ ما ويُؤتي أُكُلَه إلا بالتعبِ والإصرارِ والإخلاص.

ثم صار للغرفةِ كيانٌ كبيرٌ ووزنٌ ثقيلٌ في نظرِ الحكومةِ وأصحابِ القرار، وعلى مستوى العالم أيضًا، وشرَّفَ خادمُ الحرَمَينِ الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله الغرفةَ في كثيرٍ من مناسباتها، ووجَّهَ رجالَ الأعمالِ في لقاءاته بهم مرَّات عديدة، وأتاحَ لنا أن نلقى رؤساءَ كثيرٍ من الدولِ في الديوانِ الملكيِّ، خصوصًا بعد تطوُّرِ الاقتصادِ السعوديِّ واحتلاله منزلةً رفيعةً بين أهمِّ اقتصاداتِ العالم، وقدرتِه على استقطابِ الشركاءِ العالميينَ لدخولِ السوقِ السعودية».

ومن أبرزِ إنجازاتِ الوالد في الغُرفَةِ التجارية:

– مُنتدى الرياضِ الاقتصاديُّ:

كانت الدورةُ الثالثةَ عشرةَ في مسيرةِ الغُرفةِ برئاسةِ الوالد، بدايةَ انطلاقِ غرفةِ الرياض نحوَ أفقِ الرؤيةِ الكليَّةِ للاقتصادِ الوطنيِّ؛ إذ شهدت ميلادَ (منتدى الرياضِ الاقتصاديِّ) الذي كان له الأثرُ الكبيرُ في نفوسِ رجالِ الأعمالِ والشركاتِ والقياداتِ عمومًا.

– فروعُ الغرفةِ في المحافظات:

من الإنجازاتِ المهمَّةِ التي تُحسَبُ للغرفةِ التجاريةِ بالرياض برئاسةِ الوالد، تلك الامتداداتُ الجديدةُ للغرفة، وتشعُّبُها الخِدْميُّ في عددٍ من المحافظاتِ التابعة لمنطقة الرياض. فضلاً عن فروعٍ ومكاتبِ خدمةٍ جديدة في عددٍ من أحياء الرياض. وقامتِ الغرفةُ بتوفيرِ قنواتِ الربطِ الإلكترونيِّ بينها وبينَ هذه المراكزِ والفروع؛ لتكونَ وحداتٍ قادرةً على القيامِ بكثيرٍ من الخِدْماتِ الموجَّهةِ للمُنتسبين، وتسهيلِ الانتقالِ والسفَرِ إلى الرياض من دونِ مشقَّةٍ لإنجاز بعضِ الخِدْماتِ والمهمَّات.

– الفرعُ النسائيُّ:

كان إنشاءُ فرعٍ نسائيٍّ في غرفةِ الرياضِ حُلمًا يراودُ الوالدَ وأعضاءَ الغرفة وفئةً واسعةً من سيِّدات الأعمال، إلى أنْ أصبحَ حقيقةً وواقعًا مستقلاًّ عن مركزِ الغرفة، كسائرِ الفروعِ الأخرى. ويعدُّ هذا الإنجازُ واحدًا من أهمِّ المحطَّاتِ الاستثنائيَّةِ لمبادراتِ الدورة الثالثةَ عشرةَ برئاسةِ الوالد، وهو يُفصِحُ عن حاجةٍ حقيقية إلى متطلَّباتِ خدمةِ الغرفة لقاعدةٍ عريضةٍ من المنتسبات، ويجسِّدُ حقيقةً ظَلَّت تؤكِّدُها وفودُ الغرفةِ في كلِّ لقاءاتِها الخارجية، وفي لقاءاتِها بالوفودِ الزائرة، وهي أن المرأةَ السعوديةَ حاضرةٌ وشريكةٌ أصيلةٌ في جميعِ ميادينِ العملِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، مع حرصِها على التمسُّكِ بخصوصيَّتِها ومُقتضَياتِ الضوابطِ الشرعيَّة، وأتاحَ الفرعُ النسائيُّ إمكانَ استقبالِ الوفودِ النسائيةِ لسيِّداتِ الأعمال من دولٍ شقيقةٍ وصديقة، وحرِّيةَ التواصُلِ معها في بيئةٍ مريحةٍ مستقلَّةٍ عن الرجالِ.

والجدير بالذكر أن الأخت هُدَى الجريسي قد أصبحت – من خلال انتخابات وتصويت عضوات اللجنة النسائية لمجلس الغرف – رئيسة اللجنة الوطنية النسائية لمجلس الغرف السعودية بأغلبية الأصوات للدورة الثالثة عام ٢٠١١م، ولمدة ثلاثة سنوات. وقد فازت أيضاً قبل ذلك بذات المنصب عام ٢٠٠٧م.

الجريسي يلقي كلمة أمام خادم
الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز
حفظه الله

صورة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز
حفظه الله أثناء زيارته للصين عام ١٩٩٨م عندما كان
وليًّا للعهد وعلى يمينه معالي رئيس الجانب الصيني
في جمعية الصداقة السعودية الصينية وبعدهم
عبدالرحمن الجريسي رئيس الجانب السعودي فيها

الجريسي في أحد لقاءاته مع صاحب
السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز
رحمه الله

– الغرفةُ «أون لاين»:

ومن الخطواتِ المهمَّةِ التي شَهِدَتها الدورةُ الثالثةَ عشرةَ من عمُرِ الغرفةِ، إطلاقُ بوابةِ «الغرفة أون لاين» التي تعدُّ مدخلاً إلى مشروع (الغرفة الإلكترونية)، وهي تقدِّمُ خدمةً شاملةً على الإنترنت، لتسهيلِ تدفُّقِ المعلوماتِ، وإتاحةِ قواعدِ البياناتِ الإلكترونيَّةِ التي توفرُ الوقتَ والجهدَ في الوصولِ إلى المعلوماتِ الضروريةِ المطلوبة؛ من فرصٍ تجارية، ومناقصاتٍ، وقواعدِ المُعدَّات المعروضَةِ للبيعِ أو التأجيرِ، والمعارض، وبياناتِ المنتسبين، وبرامجِ التدريب والخِدْماتِ الاستشارية، وقاعدةِ إجراءاتِ التسجيل، والتراخيصِ، وغير ذلك من البياناتِ الضروريةِ والتكميلية.

– بنكُ المعلوماتِ الاقتصادية:

ظلَّت الغرفةُ في دوراتِها الماضية مشغولةً إلى حدٍّ بعيد بقضيَّةِ المعلوماتِ وأهميَّتِها، التي كانت على الدَّوامِ إحدى التوصياتِ الرئيسةِ الصادرةِ عن المؤتمراتِ والمنتدياتِ القطاعية والعامَّة، ومن هنا انبثقَتْ فكرةُ إنشاءِ بنكٍ للمعلوماتِ الاقتصاديةِ، يسدُّ الفراغَ ويستكملُ النقصَ الكبيرَ في المعلوماتِ المطلوبة، ويساعدُ على الوصولِ إلى المعلوماتِ واسترجاعِها خدمةً للأوساطِ الاقتصاديةِ والتجارية، وقام البنكُ حتى الآنَ بإنجازِ

الجريسي في أحد لقاءاته مع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رحمه الله

قواعد بياناتٍ حديثةٍ للقطاعاتِ الصناعيةِ والعقاريةِ والفنادقِ والوحدات السكنيَّةِ المفروشة، وما يزالُ العملُ قائمًا في إعدادِ قواعدِ بياناتِ التجارةِ والزراعةِ والمقاولين.

– الغرفة وشباب الأعمال:

من الأفكارِ البَديعَة التي تبنَّتها الدورة الثالثةَ عشرةَ برئاسة الوالد فكرةُ التواصُلِ بين أجيالِ أصحابِ الأعمالِ، بإنشاءِ (لجنةِ شبابِ الأعمال)، التي تُتيح لجيلِ الشبابِ التواصُلَ مع جيلِ الآباء، وإفادةَ الوارثينَ من المؤسِّسين. وقد انطلقَت فكرةُ هذه اللجنة من إدراك عميقٍ لخصوصيَّة البناءِ المؤسَّسيِّ لمنشآتِ الأعمالِ السعوديةِ التي يغلبُ عليها الصِّيَغُ الأُسْرِيَّة، ورأت الغرفةُ أن تيسيرَ تدفُّقِ الخبرةِ وانتقالها من الآباءِ إلى الأبناءِ يكون له أثرٌ إيجابيٌّ عميقٌ في دعمِ هذه المنشآتِ والارتقاءِ بها في مسيرةِ الأعمال، وشهدت الملتقياتُ التي نظَّمَتْها اللجنةُ حتى الآنَ وعرضَت فيها نُخبةً من التجاربِ الحيةِ والناجحةِ حضورًا كبيرًا، يدلُّ على الاهتمامِ والرغبةِ الحقيقيةِ في الاستفادةِ من هذه التجارب، سواءٌ في تأسيسِ أعمالٍ جديدة، أو اكتسابِ مزيدٍ من الخبرات لمعالجةِ ما يعترضُ من تحدِّياتٍ وصعوباتٍ في أعمالٍ قائمة.

– الغرفة والعمل الخيريُّ:

حَرَصَ الوالد في إبَّانِ رئاسته للغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ على تفعيلِ وتعميقِ أثرِ الغرفةِ وإسهاماتِها الاجتماعيَّةِ

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير نايف بن عبدالعزيز
رحمه الله

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير نايف بن عبدالعزيز
رحمه الله

والخيريَّة، فأُنشِئ عددٌ من اللجانِ وفرقِ العملِ الطَّوْعيَّة التي شَمِلَت بعطاءاتها وبرامجها مجالاتٍ وجمعيات ذاتَ فائدةٍ عظيمةٍ في المجتمع، مثل: أصدقاءِ المَرضى، ومركزِ الأميرِ سلمانَ الاجتماعيِّ، وجمعيةِ رعايةِ المَعُوقين، والجمعياتِ الخيرية، وغيرها.

ورأى القائمونَ على الغرفةِ ضرورةَ دعمِ هذا الميدان وتطويره، وتأسيسِ المزيدِ من اللجانِ الخيرية؛ مثل: أصدقاءِ الهلالِ الأحمر، واللجنةِ الطَّوْعيَّة، والجمعيةِ الخيريةِ للأيتام، وجمعيةِ الإعاقةِ السمعيَّة، وتأهيلِ نُزَلاءِ السُّجونِ وتشغيلِهم، ومركزِ الملكِ فهدٍ لجراحةِ الأوعيةِ الدَّمَوية، ودعمِ مَرضى الفَشَلِ الكُلوي، وتبنِّي جائزةِ الغرفةِ لخدمةِ المجتمع، ودعمِ مشاريعِ تحسينِ البيئة، وإنشاءِ الحدائقِ والمتنَزَّهات، وتنظيمِ المناسباتِ الاجتماعيةِ بوساطةِ لجنةٍ جديدةٍ أُنشِئت لتنظيمِ المهرجاناتِ والنشاطاتِ المشابهةِ في الأعيادِ والإجازاتِ والمواسم.

– الغرفة والمدينةُ الصناعيةُ في «سدير» ومشاريعُ أخرى:

على المستوى الصناعيِّ تبنَّت الغرفةُ مشروعَ إنشاء (مدينة سدير الصناعية)، ووضعت الغرفةُ حجرَ الأساسِ لكليةِ الرياضِ للأعمال، التي ستصيرُ فيما بعدُ جامعةً للعلومِ التطبيقية. وتبنَّت حملةً منظَّمةً جادَّةً

الجريسي مع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ولـيّ العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والأمير سلطان بن سلمان رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار

دامت أربعةَ أعوامٍ لمصلحةِ مُنتجي التُّمور، أسفَرَت عن حُلولٍ ومشاريعَ تسويقيَّةٍ واعدَةٍ داخليةٍ وخارجيةٍ. فضلاً عن كثيرٍ من المشاريعِ العقاريةِ والتمويليةِ، وقضايا توطينِ العمَّال في القطاعِ الخاصِّ، وغيرها.

– أنشطته الخارجية مع الغرفة:

يشهَدُ النشاطُ الخارجيُّ الذي يقومُ به الوالدُ على حرصِه الدائمِ والمستمرِّ لتوثيقِ عُرى العلاقاتِ التجاريةِ والاقتصاديةِ بين المملكةِ ودولِ العالم، فهناك سلسلةٌ من الزياراتِ الرسميَّةِ المهمَّةِ التي مثَّلَ بها مجتمعَ الأعمالِ والقطاعَ الخاصَّ السعوديَّ؛ تلبيةً لدَعَواتٍ رسميَّةٍ، في إطارِ السعيِ المستمرِّ الذي تبذُلُه الغرفةُ لرفدِ حركةِ الأعمالِ بأسبابِ القوةِ، وتعزيزِ العلاقاتِ الاقتصاديةِ والتجاريةِ والاستثماريةِ مع دولٍ وأسواقٍ متقدِّمةٍ وقويةٍ ومهمَّةٍ لتطويرِ قطاعاتِنا الصناعيةِ والإنتاجية والنهوضِ بها.

شهادةُ عارفٍ

ويحدِّثنا الأستاذُ حميد العنزي[1] عن مسيرةِ الوالدِ – حفظه الله – في الغرفةِ فيقول:

«الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الجريسيُّ هو أحدُ أصحابِ أطولِ إسهامٍ وحضورٍ في عضويةِ ورئاسةِ

١. رئيس تحرير مجلة الغرفة التجارية.

منظومات نُخَب الأعمال التي قادت الغرفةَ التجاريةَ الصناعيةَ بالرياض ومسيرةَ الغرف في المملكة، التحقَ الجريسيُّ بعضوية الدورة السادسة لمجلس الإدارة (١٣٩٥-١٣٩٨هـ)، وظلَّ عضوًا في مجالس إدارات الغرفة للدورات التالية: السابعة والثامنة والتاسعة (١٣٩٨-١٤٠٩هـ).

وقد شهدت مسيرةُ الغرفة في تلك الحقبة: صدورَ المرسوم الملكيِّ ذي الرقْم ٦ بتاريخ ١٤٠٠/٤/٣٠هـ الذي قضى بزيادة عدد أعضاء مجلس الإدارة من اثني عشرَ عضوًا إلى ثمانيةَ عشرَ عضوًا، مع تمديد أمد دورة مجلس الإدارة من ثلاث سنوات إلى أربع، وأصبح لرئيس مجلس الإدارة نائبان بدلاً من نائبٍ واحدٍ ».

عَطاءاتٌ أُخرى

سُئِلَ والدي – حفظه الله – عن الخدمات التي تقدِّمُها الغرفةُ لرجال الأعمال في المملكة، فلخَّصَ مهمَّات الغرفة في الإجابة الآتية:

«تنهضُ الغرفةُ التجاريةُ الصناعيةُ بالرياض بتقديم كثيرٍ من الخدْمات لرجال الأعمال، ومن ذلك مثلاً: إبلاغُ التجَّار والصُنَّاع بكلِّ ما يصدُر من أنظمة ولوائحَ وتعليمات تَمَسُّ أمورَهُم التجاريةَ والصناعية، وإرشادُ رجال الأعمال إلى أهمِّ البلدان التي يستوردونَ منها أو يُصدِّرونَ إليها، وحصرُ جميع المشاكل المتعلقة بهم ومناقشتُها؛ تمهيدًا لعرضها على الجهات الحكوميَّة المختصَّة، وفضُّ المنازعات التجارية والصناعية بالتحكيم داخلَ الغرفة، وكشفُ مُختَلف الفُرَص الاستثمارية المتاحة أمام التجَّار والمصنِّعين، وإقامةُ المعارض والأسواق ومراكز التدريب الفنية، وكلِّ ما يُسهِمُ في تقدُّم التجارة والصناعة وتطوُّرهما، وإعدادُ شتَّى أنواع الدِّراسات والبحوث المتعلِّقة بالتجارة والصناعة، والتصديقُ على كلِّ الشهادات والمستندات المتعلِّقة بالتجارة والمصنِّعين. هذا غيضٌ من فيضٍ لا يتَّسعُ المجالُ لحصره».

ويؤكد الوالد القول بأن عملَ الغرفة «هو عملٌ جماعيٌّ، وجميعُ أعضائها هم من نخبة رجال الأعمال، ولديهم الحسُّ الوطنيُّ العالي، والحرصُ على مصلحة الاقتصاد الوطنيِّ. وما إنجازاتُ الغرفة إلا ثمرةٌ طيِّبةٌ من ثمار هذا العمل الجماعيِّ، ومن هنا فإني أتقدَّمُ بوافر الشكر إلى جميع الإخوة أعضاء الغرفة؛ لما قدَّموه لي على الدَّوام من دعمٍ ومساندةٍ ونُصحٍ في اتِّخاذ القرارات التي تحقِّق مصلحةَ وطننا العزيز».

حُنكةٌ في زمنِ الأزَمَات

الجريسي مع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ولـيّ العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع

يواصلُ الأستاذُ حميد العنزي حديثَه عن الوالد وأثرِه في الغرفة التجارية فيقول:

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير ماجد بن عبدالعزيز
رحمه الله

« شهدَت الدوراتُ الأربعُ التي رَأَس فيها الشيخُ الجريسيُّ الغرفةَ – ولا يزالُ – أحداثًا مهمَّةً كان لها أثرٌ بيِّنٌ في مسارِ تطوُّرِ القطاعِ الخاصِّ، وتمثَّلت في الحدَثِ الجلَلِ غزوِ القوَّاتِ العراقيةِ لدولةِ الكويت، ثم حربِ تحريرِ الكويت. ولم تكَدْ تهدأُ المنطقةُ حتى شبَّتْ أحداثُ الحادي عشرَ من سبتمبر، ثم حربُ احتلالِ العراق، التي ما تزالُ تداعياتُها مستمرَّةً حتى اليوم. وشهدَتْ تلك الآونةُ أيضًا انخفاضًا شديدًا في أسعارِ النِّفطِ أثَّر سلبًا في اقتصادِ المملكة.

هذه الأحداثُ كانت اختبارًا من نوعٍ جديدٍ لبرامجِ القطاعِ الخاصِّ وفعالياتِه عبرَ منظوماتِه بغرفةِ الرياضِ ومجلسِ الغرف، وقد نجح الشيخُ الجريسيُّ ومجموعتُهُ القياديةُ في جعلِ القطاعِ الخاصِّ ذا أثرٍ مهمٍّ في تبادُلِ الأدوارِ والشراكةِ مع برامجِ الدولةِ وخططِها، وتَحقَّق بذلك إنجازٌ كبيرٌ بكلِّ المقاييس، كان من أبرزِ ثمارِه استمرارُ تدفُّقِ السِّلَع، ومنْعُ حدوثِ فَجَواتٍ خِدْميةٍ في أيِّ قطاعٍ.

وإن تلك الأحداثَ وأمثالَها – على جَسامتِها – رفَدَت الغرفةَ ورجالَها بمزيدٍ من الخبرة، وأبرزَت سماتِ الشخصيَّةِ القياديةِ للشيخِ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ الذي قاد واجباتِ القطاعِ الخاصِّ بكلِّ اقتدارٍ وحُنكةٍ ودرايةٍ عاليةٍ، بمعاونةِ إخوانِه في مجلسِ إدارةِ الغرفةِ والأمانةِ العامة، وبمؤازرةِ القاعدةِ العريضةِ من منتسبي الغرفة.

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير سطام بن عبدالعزيز
أمير منطقة الرياض

وكان الشيخُ الجريسيُّ حريصًا على حضورِ جميعِ الفعالياتِ والأنشطةِ التي تنظِّمُها الغرفةُ ومُتابعتِها، وكان لاهتمامِه وآرائِه المتزنةِ أبرزُ الأثرِ في نجاحِ هذه اللقاءاتِ والفعاليات.

وتنامَتْ أدوارُ الغرفةِ شيئًا فشيئًا في كلِّ ما يتصلُ بواجباتِها وأهدافِها المرسومةِ بتلاقُحِ ديناميكيَّتِها الذاتيةِ واليوميةِ، التي انصَهَرتْ فيها طموحاتُ النُّخَبِ من أعضاءِ مجلسِ الإدارةِ واللجانِ والأمانةِ العامةِ، إلى جانبِ سَيلٍ من التفاعُلاتِ التي لم تنقطِعْ مع المحيطِ المحليِّ والإقليميِّ والعالميِّ عبرَ تدفُّقٍ كبيرٍ للوفودِ الزائرةِ من مُختَلَفِ دولِ العالمِ، وقد كان الشيخُ الجريسيُّ رجلَ العلاقاتِ الدوليةِ المقدَّمَ دائمًا للحديثِ باسمِ القطاعِ الخاصِّ من منُطلقاتٍ مهمَّةٍ وثوابتَ لا تتغيرُ، يدفعُهُ إلى ذلك وطنيتُهُ المتجذِّرةُ بعُمقٍ في داخلِه، وحبُّهُ الذي ليس له حدودٌ لخدمةِ وطنِه في جميعِ المحافلِ الدولية، ولم يكن حديثُهُ مع تلك الوفودِ يقتصرُ على الجانبِ الاقتصاديِّ فحسبُ، بل كان حريصًا على إيصالِ الصورةِ الحقيقيةِ عن بلادِنا ومجتمعِنا، وكثيرًا ما كان رؤساءُ تلك الوفودِ يؤكِّدونَ عقبَ زياراتِهم أنهم استَمَعوا لمعلوماتٍ كثيرةٍ على درجةٍ من الأهميَّةِ كانوا يجهَلونَها عن بلادِنا.

وظلَّتِ الغرفةُ طَوالَ الدوراتِ التي كان فيها الشيخُ الجريسيُّ – ولا يزالُ – مُمسكًا بزِمامِ القيادةِ؛ سندًا

الجريسي مع صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز رحمه الله

وعَضُدًا للخطاب الرسميِّ، ومفتاحًا مهمًّا للدبلوماسية الشعبية التي حملت جزءًا من هُموم الدولة في الكثير من مُنعطَفات السياسة الدولية والعلاقات بين الأمم والشعوب، وخاصةً في السنوات التي تلَتْ أحداثَ الحادي عشرَ من سبتمبر، فخرجَت وفودُ رجال الأعمال تحتَ مظلَّة غُرفة الرياض وشقيقاتها من الغُرَف الأخرى ومجلس الغرف، لتصحيح الكثير من المغالطات الثقافية والتاريخية وتقاطعات المصالح والدعايات التي اتَّسمَت بها تلك الحقبةُ.

أما على صعيد الإنجازات المباشرة التي حقَّقَتها الغرفةُ لمجتمع الأعمال، فهناك الكثيرُ من المشروعات التي تقفُ شاهدًا حيًّا على التغيير الكبير الذي أحدثَتهُ غرفةُ الرياض؛ في مقدمتها تقديمُ النموذج والرِّيادة في مجال إحلال الأيدي العاملة الوطنية محلَّ الأجنبية، وقد نالت في ذلك جائزةَ الدولة في الإنجاز. وحقَّقَت السَّبقَ في كلِّ دَوراتها بنَجاحها في توجيه آلاف الشباب للعُبور نحوَ الوظيفة بالقطاع الخاصِّ، وذلك باعتماد البرامج التأهيلية والتدريبية الفاعلَة. وأسهمَت الغرفةُ في صَقل الصورة الزاهية لمدينة الرياض بعدد من المشروعات النموذجيَّة، وفي مقدِّمتها: مركزُ الرياض الدوليُّ للمعارض، ومركزُ المنتَجات الوطنية، والإسهام في إنشاء (مُتنزَّه سلام الوطنيِّ)، وغيرُ ذلك من المشروعات».

في رئاسة مجلس الغرف السعودية

تقلَّد الوالد مَنْصِب رئيس مجلِس الغُرَف السعودية لدَورتَين في الفترة من (١٤١٤هـ - ١٤١٧هـ)، والفترة من (١٤٢٣هـ - ١٤٢٦هـ).

ويحدثنا الأستاذ فهد بن صالح السلطان[١] عن إنجازات الوالد في المجلس فيقول:

لقد تحقَّق أثناء تولِّي سعادة الشيخ عبدالرحمن الجريسي حفظه الله رئاسة مجلِس الغُرَف السعودية، ونيابة رئاستها: الكثير من الإنجازات الأساسية والمهِمَّة، نذكر منها – مثالًا لا حَصرًا – الآتي:

- الإسهام الفاعِل في حضور القِطَاع الخاص، على المستوى الوطني، ودَعْم مَطالبِه لدى القيادة.
- الإسهام في تعزيز العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع العديد من الدول، وتعريفها بطبيعة الاقتصاد السعودي، وفُرَص الاستثمار المُتاحَة فيه، والترويج لصادِرات البلاد غير النفطية.
- تمثيل مجلِس الغُرَف السعودية في العديد من اللِّجان السعودية الأجنبية المشتركة.

الجريسي مع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة

١. الأمين العام لمجلس الغرف السعودية.

ـ توقيع اتفاقيات تَعاوُن اقتصادي مع العديد من اتحادات الغُرَف في بلدان مختلفة.

ـ الإسهام في تأسيس المعهد السعودي للإلكترونيات والأجهزة المنزلية؛ وذلك باعتباره رئيسًا لمجلس الأعمال السعودي الياباني.

ـ التواصُل المستمرّ مع مسؤولي البَعْثَات الدِّبْلُوماسِيَّة لدى المملكة، للعمل على تذليل العَقَبات التي تُواجه أصحاب العمل السعوديين في بلادهم.

ـ الإسهام الفاعل في إقامة مَقَرّ مستقلّ لمجلس الغُرَف السعودية.

وهذا كلُّه نَزْرٌ يسير مما تحقَّق بفضل الله أثناء ترَؤُّسه للمجلس.

وقد ترَأَّس سعادته وُفودًا عديدة لرجال الأعمال السعوديين إلى بلاد عديدة منها:

الهند (أكتوبر ٢٠٠٣م)، وكازاخستان (يونيو ٢٠٠٤م)، واليابان (مارس ٢٠٠٥م)، وأوكرانيا (مايو ٢٠٠٥م)، وألمانيا (يونيو ٢٠٠٥م)، والدنمارك (يونيو ٢٠٠٧م)، والصين (مايو ٢٠٠٨م)، وهونج كونج (يونيو ٢٠٠٨م). كما التقى حفظه الله رئيس جمهورية تنزانيا والوَفد المُرافِق له (إبريل ٢٠٠٩م)، ووزير التجارة الخارجية المغربي في الشهر نفسه، ووزير الخارجية الأثيوبي (يوليو ٢٠٠٩م)، ووزير الخارجية الصيني (يناير ٢٠١٠م)، والوكيل المساعد لوزير التجارة الأمريكي ضِمْن فَعَّالية وَرْشة العمل الأولى للتعاوُن الاقتصادي السعودي الأمريكي (يناير ٢٠١٠م)، كما التقى سعادته رئيس وزراء الهند مُتَرَئِّسًا وَفْد رجال الأعمال السعوديين (فبراير ٢٠١٠م)، وكذلك رئيس جمهورية فيتنام (إبريل ٢٠١٠م)، ووزير التجارة والصناعة المغربي (أكتوبر ٢٠١٠م)، ونائب وزير التجارة الأمريكي (يونيه ٢٠١٠م).

دروسٌ في الاتِّزانِ والسَّداد

ما تزالُ أيامُ والدي في مجلس الغرف السعودية حاضرةً في أذهان كثيرٍ من مَنسوبيه، حيث سافر إلى عدد من الدوَل وجَرى له بعضُ المواقف الاجتماعية والاقتصادية الجديرة بالتوثيق، وقد ذكر بعضَها المهندسُ أسامةُ بن محمَّد مكِّي الكُردي[1] فيقول:

«من أهَمِّ مراحل حياتي مرحلةُ عمَلي في مجلس الغُرَف التِّجارية الصناعية السُّعودية، مساعدًا للأمين العامِّ، ثم أمينًا عامًّا في المرحلة ما بين (١٩٩٠م إلى ٢٠٠١م)، وقد اقتَضَت طبيعةُ العمل أنْ أتواصلَ مع سعادة الشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ في هذه السنوات العشر أو الإحدى عَشْرَةَ، خاصةً أنَّ جزءًا كبيرًا من عملي

١. الأمينُ العامُّ لمجلس الغُرَف السعودية سابقًا، وعضوُ مجلس الشُّورى.

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز
أمير المنطقة الشرقية

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
سعود بن نايف بن عبدالعزيز
رئيس ديوان سمو ولي العهد
والمستشار الخاص لسمو ولي العهد

الجريسي مع صاحب السمو الملكي
الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز

كان في الرِّياض، فيما يتعلَّقُ بنشاطاتِ الغُرَفِ، واستقبال الوُفُودِ، والسَّفرِ في مُهِمَّات مع وفودِ المجلسِ، وإنجاز المهامِّ التي تتعلَّقُ بنشاطاتِ رجالِ الأعمالِ، والاهتمامِ بهم، ولا سيَّما فيما يتَّصِلُ بالساحةِ الوطنيةِ.

وقد استفدتُّ من تعامُلي مع الشيخِ عبدِ الرحمنِ في خضمِّ هذه السنواتِ دروسًا، لعلي أستطيعُ أن أُبيِّنَ أهمَّها فيما يأتي:

الدرسُ الأولُ: حُسنُ الخُلُقِ:

إن كلَّ من شَرُف بالاتِّصالِ بالشيخ الجريسيِّ يعلم علمَ اليقينِ مَدَى دَماثةِ خُلُقِه، وحُسنِ تعامُلِه مع الآخَرين؛ فكنَّا نرى فيه دائمًا التجسيدَ العمليَّ لحديثِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم:

(إنَّ من أحبِّكم إلَيَّ وأقربِكُم منِّي مَجلسًا يومَ القِيامةِ: أحاسِنَكُم أخلاقًا).

و لم يقتصِر حُسنُ خُلقِه على فئةٍ دون فئة، بل كان كذلك مع الصَّغيرِ والكبيرِ، والجاهلِ والعالم، والعاملِ والمديرِ، والفقيرِ والغنيِّ. و لم أشهَدهُ طَوالَ سنواتِ عمَلي معه أغلظَ القولَ لأحدٍ، أو تَجاوَزَ النُّصحَ المهذَّبَ الرَّقيقَ الصادقَ، فما تَراهُ إلا مُعينًا للناسِ، ليِّنَ الجانبِ معهم.

أذكرُ أنني في إحدى المناسباتِ التي دُعيتُ إليها مع الشيخِ شَعَرتُ بالحَرِّ، فرَوَّحتُ على نفسي بوَرَقةٍ كانت

الجريسي مع ملك الأردن الملك حسين بن طلال رحمه الله

أمامي، فهَمَسَ في أُذُني: قد يكونُ في فعلكَ إشعارٌ للمُضيفينَ بأنَّهم لم يوفِّروا التكييفَ المناسبَ، أو لم يهيِّئوا الجوَّ الأمثلَ في قاعةِ الاجتماعاتِ! فما أحسَنَ خُلُقَهُ! وما أجملَ مراعاتَهُ لشعورِ مَن حَولَهُ! وهذه خَلَّة يُغبَطُ عليها.

الدرسُ الثاني: الجِدُّ والمثابرةُ:

مع إنجازاتِه العظيمةِ ونَجاحِه الكبيرِ، لم ينسَ الشيخُ قطُّ أنَّ العملَ جزءٌ رئيسٌ من اهتماماتِ الإنسانِ، وأنَّ النجاحَ في العملِ يتطلَّبُ استمرارًا في بذلِ الجهدِ والمثابرة عليه. حتَّى إنني سمعتُه يذكُرُ في إحدى المناسباتِ أنه يَشعُرُ بالمسؤوليَّةِ تُجاهَ العاملينَ لديه؛ لأنهم باتوا موظَّفينَ ويتسلَّمون مُخَصَّصاتِهم، وقد فتحوا بُيُوتَهُم بناءً على هذه الوظائفِ، وأنشَؤوا بها عائلاتٍ، وألحَقوا أبناءهُم بالمدارسِ، ومن ثَمَّ من المهمِّ العملُ بجدٍّ وحِرصٍ؛ لاستمرارِ هؤلاءِ في وظائفِهم، ومَنْحِهم فرصةَ التقدُّمِ وزيادةِ دَخلِهم بجميعِ الطُّرقِ المُمْكنة.

ومن ثَمَّ؛ فإن المثابرةَ في العملِ ليست لكي يستفيدَ الشخصُ المثابرُ وحسبُ، لكن ليُفيدَ كلَّ مَن حولَه.

الدرسُ الثالثُ: الصدقُ والوضوحُ:

يتحرَّى الشيخُ الصِّدقَ والدقَّةَ في كلِّ ما يقول، و لم أسمع منه قطُّ كلمةً غيرَ صحيحة أو معلومةً خاطئةً؛ فقد كان حين يَشُكُّ يسألُ ويتتبَّعُ، وكثيرًا ما كلَّفَني البحثَ عن بعضِ المعلوماتِ؛ ليتيقَّنَ أنَّ ما يقولُهُ صحيحٌ

وحقٌّ؛ لأنه يبحثُ عن المعلومة الصادقة النافعة، ويأبى أن يعتمدَ إلا على ما هو صوابٌ، وتَأتَّى من طبعه هذا الوضوحُ والشَّفافيةُ في تعامُلِه مع الناسِ، شفافيةٌ رقيقةٌ وصريحةٌ، يقبَلُها المتلقِّي ويسعَدُ بها؛ لأنه قدَّمها إليه بلطفٍ جَمٍّ وحرصٍ عليه.

الدرسُ الرابعُ: الهندسةُ الإداريةُ:

كان الشيخُ يحرِصُ جدًّا على توزيعِ صلاحيَّاتِ العملِ وتحميلِ كلِّ موظفٍ مسؤوليَّتَه، ولم أرَ منه في مؤسَّساته، ولا في مجلس الغُرَف أيَّ إصرارٍ على رأيٍ، أو استئثار بقرارٍ، ولسانُ حاله يقول: إنَّ هذه واجباتُكم ومسؤوليَّاتُكم فتحمَّلوها وانهَضُوا بها، وهذه صلاحيَّاتُكم فخُذوها.

وكان – حفظه الله – يُؤْثرُ التواصُلَ والمتابعةَ، وهو جزءٌ مهمٌّ من مَنْح الصلاحيَّات، أن يكونَ التواصُلُ مستمرًّا. فكان على الدوام قريبًا من الجميع؛ لا يحتاجُ إليه أحدٌ إلاَّ وَجَدَه؛ لأنَّه يعلمُ أنَّه إذا ما مَنَحَ الصلاحيَّاتِ للآخرين؛ فعليه أن يكونَ قريبًا منهم؛ ليُمدَّهم بالرأيِ والمشورة. وما هاتَفتُه مرَّةً، أو طَلَبتُ موعدًا منه؛ إلاَّ حقَّق رغبتي، برغم كثرة مَشاغله وارتباطاته داخليًّا وخارجيًّا. وهو شديدُ الحرصِ على منحِ الجميعِ فُرَصَهُم من المسؤوليَّة، وزرعِ الثقةِ في نفوسِهم، متجنِّبًا المركزيةَ في العمل.

الدرسُ الخامسُ: بُعدُ النَّظَرِ:

لم يكن الشيخُ الجريسيُّ ينظرُ قريبًا من قدمَيه؛ بل كان دائمَ النظرِ إلى الأفُقِ البعيد، ولا يتعجَّلُ في اتِّخاذِ قرارٍ ولكن يتأنَّى ويضعُ في حُسبانه الأثرَ بعيدَ المدى لهذا القرارِ، ولمَّا كان لا يُغفِلُ حسابَ الأثرِ البعيد، فمِنْ باب أَوْلى ألا يُغفِلَ الأثرَ القريبَ.

عندما كنتُ أعرضُ عليه موضوعًا، أو أستشيرُه في مسألة، أو أقترحُ عليه فكرةً ما، كان في كلِّ مرة يستفسرُ عن جزئيَّاتِ الموضوع، وعن الأثرِ القريبِ والبعيدِ له، وهل للزَّمنِ تأثيرٌ فيه؟ ومن ثَمَّ يتَّخذُ قرارَهُ بناءً على الآثارِ بعيدةِ المدى له.

الدَّرسُ السادسُ: المسؤوليةُ والكرمُ:

كثيرٌ من الناسِ يعلمونَ أن العملَ قائمٌ على المسؤولية، وهناك اعتقادٌ سائدٌ أن المشاركة في أعمال الغُرفة التجارية الصناعية سواءٌ في رئاسة مجلس الغُرَف، أو رئاسة الغُرفة، أو عضوية مجلس إدارتها، مَظِنَّةُ كسبٍ للفُرَصِ الاستثمارية، والفُرَصِ الاقتصاديَّة والتِّجارية، وأنها تَدُرُّ دَخلاً كبيرًا على مَن يَملكُ زمامَها، في حين الواقعُ يثبتُ عَكسَ ذلك، فهي مسؤوليةٌ وواجبٌ والتزامٌ، ولا يتمكَّنُ من النهوضِ بها إلا مَن يَمنَحُ الصلاحيَّاتِ الصحيحةَ والمناسبةَ للآخرينَ؛ لأنه لو استأثرَ بالصلاحيَّاتِ، أو أخَّرَ مَنحَها لمن يستحقُّها، فإن

الجريسي في مدريد مع الملك
الإسباني خوان كارلوس

كثرةَ الأعباءِ ستَحولُ دون إنجازِه جميعَ مهمَّاته.

وأقولُ بوضوح: إنَّ المسؤوليةَ الاجتماعيةَ الواقعةَ على عاتقِ رجُلِ الأعمالِ مسؤوليةٌ كبيرةٌ جدًّا، ومن الخطأ الظنُّ أن هذه المناصبَ غنيمةٌ باردَة وبخاصَّة في عهد الشيخ عبدالرحمن، بل هي عِبءٌ يُضافُ إلى أعبائه!

وآمُلُ ألا أُغضِبَ الشيخَ حينما أذكرُ هذه القصةَ، لكنِّي أراها دليلاً عمليًّا على ما نحن بصددِ الحديثِ عنه: احتَجْنا يومًا في مجلسِ الغُرَفِ – وهو ليس هَيئةً خَيريَّةً – إلى آلة تصوير (فوتوكوبي) جديدة؛ إذْ كان لدينا مناسبةٌ مهمَّةٌ تستدعي تصويرَ أوراقٍ تصويرًا واضحًا جيِّدًا، فاتَّصلتُ بالشيخِ عبدِ الرحمنِ في شركتِه.

قلتُ: نحتاجُ إلى آلةِ تصويرٍ كبيرة.

قال: انظُر ما عندَنا في المعرِضِ، واختَر ما يُناسِبُكم.

قلتُ: اختَرنا ما يُناسِبُنا.

قال: كم وجَدتَّ سعرَها؟

قلتُ: مئةً وخمسينَ ألفَ ريالٍ!

قال: ألم يمنحكُم الموظَّفونَ تخفيضًا في السِّعر؟

الجريسي مع ملك السويد كارل جوستاف

قلتُ: بلى والله، ولكنَّ المبلغَ ما يزال كبيرًا.

قال: كم صارَ؟

قلتُ: مئةً وثلاثينَ ألفَ ريالٍ.

قال: وكم معكم؟

قلتُ: لا نملك سوى خمسينَ ألفًا.

قال: لا بأس، أرسِل من يأخُذُ الآلةَ.

إنه درسٌ من دروسٍ كثيرةٍ في الكرم، تعلَّمتُه من أبي علي، وهو – في الوقت نفسه – رَدٌّ عمليٌّ، وشاهدٌ واقعيٌّ، على مَن يَرى أنَّ هذه المناصبَ مَغنمٌ، فهيَ في الحقيقةِ مسؤوليةٌ وبذلٌ وعطاء.

أمَّا دعَواتُه للوفودِ الزَّائرةِ على حسابِه الخاصِّ – في وقتٍ لم يكن لمجلسِ الغُرَفِ ميزانيةٌ كافيةٌ لدعوتِهم إلى الغَداءِ والعَشاءِ – فأكثرُ من أن تُحصى، ومثلُ ذلك دعَواتُهُ الكريمةُ للوفودِ السُّعوديةِ عندما نكونُ خارجَ المملكةِ. وحين أهمُّ بدفعِ بعضِ المصروفاتِ من ميزانيَّةِ مجلسِ الغرفِ في المناسباتِ، كان يأبى بحزمٍ، ويَرفُضُ إلاَّ أن يكونَ هو المتقدِّمَ والسبَّاقَ في الجودِ والعطاء!

الجريسي في لقاء في البحرين مع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين رحمه الله

الجريسي مع الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي

الدرسُ السابعُ: الثقافةُ والخطابةُ:

لم يتعلَّم الشيخُ الجريسيُّ اللغةَ الإنكليزيةَ في معهدٍ خاصٍّ أو جامعةٍ عالميَّة، ولكنه أتقنها بمجهودٍ فرديٍّ بالاستعانة بمعلِّمينَ في بداية الطريقِ أخذوا بيده إلى مبادئها، ثم تمكَّن من إتقانها بالاهتمام بها وممارستها في أسفارِه الخارجيَّة، حتى غدا خطيبًا مصقَعًا فيها، قادرًا على الارتجالِ وإيصالِ أفكارِه إلى مستمعيه، بلغة سليمةٍ صحيحةٍ دون تَلَكُّؤ أو تردُّد! وكثيرًا ما كان يُفاجَأُ – في أثناءِ زيارةِ الوفودِ الأجنبية إلى المملكة، أو زيارتنا لهم في بلادِهم – بالطلبِ إليه أن يُلقيَ كلمةً في الوفودِ المجتمعة، وربما لم يُبلَّغ إلا قبلَ موعدِ الحديثِ بدقائقَ! فكان بفضلِ الله تعالى يرتجلُ خُطبةً متميِّزةً بثقةٍ بالنفسِ واقتدار، باللُّغة العربية، أو بالإنكليزية. والخطابةُ بلا ريبٍ مَلَكةٌ، لكنَّها تحتاجُ إلى غزارةٍ في العلمِ والمعلومات، واطِّلاعٍ على كلِّ جديد، وهذا ما كان يمتازُ به الشيخُ، فما من موضوعٍ اقتصاديٍّ يُناقَشُ في حضورِه إلاَّ وله معرفةٌ به، واطِّلاعٌ على تفاصيله! ولم يتأتَّ له ذلك إلا بكثرةِ القراءة، والرغبةِ الدائمةِ في متابعةِ ما يجدُّ في دائرةِ اهتماماته! حتى إنه ليشيرُ في كثيرٍ من كلماتِه إلى المراجعِ والإحصائيَّاتِ الصادرةِ عن جهاتٍ موثوقة!

الجريسي في لندن مع ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز

الدرسُ الثامنُ: صدقُ المحبَّةِ للوطنِ:

لم أتلقَّ هذا الدرسَ من الشيخِ كلامًا منه أو ادِّعاءً، ولكنني رأيتُه منه رأيَ العين، فحبُّ الوطن مُتغلغلٌ في قلبِه، وهو يعبِّر عنه عملاً وسلوكًا، خصوصًا فيما يتعلَّقُ بتصحيحِ الصُّورةِ المغلوطَةِ عن المملكةِ العربيةِ السعوديةِ في دُولِ العالمِ.

وكنا في بعضِ المناسباتِ والرحلاتِ الخارجيَّةِ نواجَهُ بمناهضينَ للمملكةِ وسياستِها، وتعرَّضنا في بعض المراتِ لمُظاهَراتٍ صاخبةٍ ضدَّ المملكةِ وواقعِها في المحافلِ الدولية، فكانت تَظْهرُ في هذه الأحداثِ غيرتُه الصادقةُ على وطنِه، وحبُّه الخالصُ له، فيتولَّى الخَطابةَ في الجموعِ المعترِضَةِ بذكاءٍ وحُنكةٍ ويُلقي على مسامعِهم ما يُقنِعُ ويغيِّرُ من الصورةِ المغلوطَةِ المعشِّشةِ في أذهانِهم، صادرًا في ذلك عن معرفةٍ عميقةٍ وشاملةٍ بما يدورُ في المملكةِ، وبخَفايا ودقائقِ الأمورِ فيها.

الدرسُ التاسعُ: الاهتمامُ بالأسرةِ:

وقفتُ بنفسي على مدى اهتمامِ الشيخِ بأسرتِه وحرصِه على تربيةِ أولادِه، وتعليمِهم وتدريبِهم، وغرسِ القيمِ الأصيلةِ في نفوسِهم، مع حَثِّهم على العملِ الصالحِ، وإتقانِ كلِّ ما يتصدَّونَ له من عمل. وإذا كنتُ

قد استفدتُّ منه كلَّ الدروسِ المذكورةِ آنفًا، فلا ريبَ أن استِفادَةَ أولادِه وذويه منها أصدقُ وأعمقُ.

وكثيرًا ما كنتُ أستشيرُ الشيخَ في بعضِ ما يتصلُ بتربيةِ الأولادِ – وكان أبنائي حينها صغارًا – فأسمعُ منه ما ينفعُ ويفيد، بل كنتُ أتأمَّلُ بحرصٍ وعنايةٍ طريقتَه في مخاطبتِهم والتعامُلِ معهم. وكان يُوجِّه لِيَ النُّصحَ دومًا فيما يختصُّ بالدَّعوةِ مع الأبناءِ، وقد أثمرَت تربيتُه بتوفيقِ الله تعالى ما نراهُ اليومَ في أبنائه، فهم جميعًا من الرِّجال النُّجَباءِ الناجحينَ في عَمَلِهم وخِدْمتِهم لوطنِهم، الملتزمينَ بدينِهم والأخلاقِ الحميدَة».

رؤيةٌ من داخلِ الغُرفَة

ويقولُ الأستاذُ حسين بن عبد الرَّحمن العذل[1] عن والدي حفظه الله:

«لم يُلْهِ المالُ والنجاحُ عبدَ الرحمنِ الجريسيَّ عن مسؤوليتِه الاجتماعية؛ إذ أحسَّ – منذُ مرحلةٍ مبكرةٍ – بضرورةِ اقتطاعِ جزءٍ كبيرٍ من وقتِه الثمينِ لخدمةِ المجتمع، فكان عملُهُ ونشاطُهُ في الغرفة التجاريةِ الصناعيةِ بالرياضِ، ثم في مجلسِ الغُرَفِ السعودية، قناتين للجريسيِّ لبَدءِ العطاءِ الاجتماعيِّ عرفانًا بدَيْنٍ للبلدِ الذي ظلَّلَهُ واحتَضَنَهُ ووسَّع طموحاتِه ليخرجَ من بساطةِ القريةِ إلى رحابةِ المدينة، ومنها إلى العالمِ الواسعِ الفسيحِ.

الجريسي مع ولي عهد بلجيكا عند زيارته للغرفة التجارية بالرياض في عام ١٤١٤هـ

١. الأمينُ العامّ للغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياض.

وكانت المسيرةُ العمليَّةُ في الغرفةِ ذاتَ شقَّين: أولُهما الانخراطُ في عضوية مجلسِ إدارةِ الغرفةِ لدوراتٍ متتالية، انتهت به ليصبحَ نائبًا ثانيًا لرئيسِ مجلسِ الإدارةِ، ثم بدأت الحقبةُ الثانيةُ والشقُّ الثاني من المسيرةِ عندما قرَّر الجريسيُّ خوضَ انتخاباتِ الغرفةِ على رأسِ قائمةٍ من رجالِ الأعمالِ بهدف التغييرِ الجذريِّ في أداءِ الغرفة، ومواكبةِ الدورِ الجديدِ للقطاعِ الخاصِّ، والإفادةِ من المساحةِ الرحبةِ التي وفَّرَتها الدولةُ لهذا القطاعِ؛ ليكونَ مشاركًا حقيقيًّا في النهضةِ الاقتصاديةِ وفي صناعةِ القرارِ الاقتصاديِّ والعلاقاتِ مع الخارج.

وجَنى الجريسيُّ الثمرةَ الحقيقيةَ لجهدِه المتواصلِ عندما فازت قائمتُهُ دونَ اختراق، وأصبح رئيسًا لمجلسِ الإدارةِ بالإجماع، وما زالَ ينهضُ بأعباءِ الرئاسةِ لخمسِ دَوراتٍ متتاليةٍ؛ مدةُ كلٍّ منها أربعُ سنوات.

ومنذُ اليومِ الأولِ لرئاستِه المجلسَ بدأت رياحُ التغييرِ والتطويرِ تهبُّ على أداءِ الغرفة، فقادَ مع زملائه حملةَ مدِّ جسورِ التواصلِ مع الأجهزةِ الحكوميَّةِ على جميعِ المستويات، ولقيَ آذانًا صاغيةً وقلوبًا منفتحةً، نفَذَ وزملاؤُهُ بها إلى مراكزِ صناعةِ القرارِ، ووضَعوا اللَّبناتِ الأولى للشَّركةِ الحقيقيةِ بين القِطاعَينِ الحكوميِّ والخاصِّ.

ثم قادَ الجريسيُّ في المجلسِ حملةً أخرى لا تقلُّ أهميةً عن الحملةِ الأولى؛ لمدِّ جسورِ التواصُلِ مع الشركاءِ الاقتصاديينَ في الخارجِ، بمرافقةِ فريقٍ من المجلسِ للوفودِ المسافرةِ إلى الدولِ العربيةِ والأجنبية، وبدأتِ الوفودُ

الجريسي مع الرئيس
الأمريكي السابق جورج بوش

النظيرةُ بالتقاطُرِ على الغرفة؛ إلى أن أصبحَت زيارةُ الغرفة ركنًا أساسيًّا في برنامج أيِّ ضيف للمملكة، ولاسيَّما رؤساء الدول ورؤساء الوزارات والوزراء، وصارت وفودُ الغرفة أشبهَ ما تكون بالسِّفارات الاقتصادية للمملكة، وحَظِيَت بالدعم والتأييد من الحكومة ممثَّلةً بالوزارات المعنيَّة؛ كالداخلية، والخارجية، والمالية، والتجارة والصناعة، والعمل، والشؤون الاجتماعية، والصحة، والاقتصاد، والتخطيط.

ولقد كان للجريسيِّ أثرٌ فاعلٌ في تلك الحمَلات والمبادرات؛ لأنها تنسجمُ مع طبيعته وتركيبته النفسية؛ فهو دبلوماسيٌّ بطبعه ودَمثٌ بطبيعته؛ لذا كَسَبَ قلوبَ عارفيه في القطاعَين الحكوميِّ والخاصِّ، و لم ينسَ وزملاؤُهُ مهمَّتَهُم وواجبَهُم الأساسيَّ تجاهَ مُنتسبي الغُرفة، وأصبحت الغرفةُ خليةَ نحلٍ لا تخلو من النشاطات والاجتماعات على مدار العام، ناهيك عن أنشطة اللجان التي يشاركُ فيها زهاءُ ألف رجل أعمال؛ كلٌّ في مجال تخصُّصه.

ولقد أبدى الجريسيُّ الرغبةَ مرارًا في الترجُّل بعدَ أن شعرَ بأنه أدَّى دورَهُ على أكمل وجه، ولكن المرءَ يصلُ إلى مرحلة يصبحُ بعدَها مُلكًا عامًّا لا يستقلُّ بقراره عن الرغبة العامَّة مهما كان الثمنُ باهظًا من بذل الجهد والوقت والصحة. ومن ثَم فإن الجريسيَّ كان ينقادُ للرغبة العامَّة ويقبلُ بالمهمَّة متحمِّلاً النقدَ أحيانًا ممَّن لا يُدركون بواطنَ الأمور؛ كأنَّ لسانَ حاله يقولُ:

عَرَفْتَ شَيئًا وغابَتْ عَنكَ أشياءُ

أما على الصعيد الشخصيِّ فإن إنجازَ الجريسيِّ أكبرُ وأوسعُ من أن يُحصَرَ: سواء في مجال المشاريع ونموِّ الأعمال، أو في التقدير المعنويِّ المتمثِّل في الأوسمَة والشهادات من مُختَلف بقاع المعمورة. ومن ذلك فوزُه بعضوية الشرف من الأكاديمية الروسية للعلوم الاجتماعية، التي لم يحظَ بها سواهُ في منطقتنا العربية. وحسبُه شرفًا أن يقومَ بالتوقيع على اتفاقية التعاون الاقتصاديِّ مع جنوب إفريقيا بحضور وشهادة خادم الحرمَين الشريفَين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان وليًّا للعهد آنذاك، وكذلك توقيعُ اتفاقية التعاون الاقتصاديِّ مع روسيا في موسكو مع نظيره السيِّد بريماكوف رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسيِّ، وكان ذلك برعاية خادم الحرمَين الشريفَين الملك عبد الله بن عبد العزيز والرئيس الروسيِّ فلاديمير بوتين.

وقلَّما يسافرُ وفدٌ حكوميٌّ لا يكونُ فيه الجريسيُّ إلا ويُسألُ أعضاؤه عنهُ بالاسم؛ خاصةً بعدَ أن أبلى بلاءً حسنًا في مجلس الغرف رئيسًا ونائبًا للرئيس من قبلُ، ومشاركًا في الوفود ومجالس الأعمال المشتركة.

وأختمُ بالإلماح إلى مزايا العمل المباشر مع الأستاذ عبد الرحمن الجريسيِّ، فهو يتسمُ بالأدب الجمِّ وحُسن التعامل والتداول والمشورة، والميل إلى التوافق وتجنُّب التصادم؛ لذا حظيَتْ معظمُ قرارات المجلس بدعمٍ ومؤازرةٍ من الأعضاء؛ لأنهم كانوا شُركاءَ في صناعتها.

الجريسي مع رئيس وزراء جمهورية الصين
فى مزرعته بالمزاحمية

الجريسي مع الرئيس الفرنسي
السابق جاك شيراك

الجريسي مع رئيس جنوب إفريقيا السابق نيلسون مانديلا عند زيارته للغرفة التجارية بالرياض

أما على الصعيد الاجتماعيِّ فلا يكادُ يتخلَّفُ الجريسيُّ عن المناسباتِ المهمَّة، حتى صار يُفتقَدُ في أيِّ مناسبةٍ لا تسمحُ ظروفُه بحضورها، وقد زاده ذلك عبئًا على عبء، ولكنه عاقدٌ العزمَ على الوفاءِ بهذا الالتزامِ مهما كلَّفه من مشقَّةٍ ونَصَب.

أتوقَّفُ عندَ هذا القَدْرِ؛ لأن سيرةَ الأستاذ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ حافلةٌ بالعَطاءِ، وهي سِفْرٌ ثريٌّ، وحديقةٌ غنَّاءُ، ونهرٌ متدفِّقٌ، يَحارُ المرءُ من أين يبدأُ في الحديثِ عنها، وماذا يختارُ منها، فالنجاحُ محبَّبٌ للنفوسِ، وهو ما حقَّقه الأستاذُ الجريسيُّ بكلِّ المقاييسِ، وحسبي أن أردِّدَ – لأحثَّ نفسي على اللَّحاقِ به وبأمثالِه منَ الناجحينَ – ما قاله الشاعرُ العربيُّ:

فتَشَبَّهُوا إنْ لم تَكُونُوا مِثلَهُمْ إنَّ التَّشَبُّهَ بالكِرامِ فَلاحُ

أما الأستاذُ حمدُ بن صالحٍ الحميدان[1] فيوردُ بعضَ المواقفِ والذكرياتِ التي جمعتهُ بوالدي فيقول:

«التواضعُ والإخلاصُ في العملِ وحبُّ الخيرِ جزءٌ من الطِّباعِ النبيلةِ التي يتَّصفُ بها الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ، ومن تواضُعِه أذكرُ حرصَهُ – أطالَ اللهر في عُمُرِه – على مُصافحَةِ جميعِ أعضاءِ الوفودِ الزائرةِ للغرفةِ عندما يكونُ في استقبالِهم، وكذلك حرصُهُ على مصافحةِ موظَّفي الغرفةِ المستقبلينَ للوفدِ، صغيرِهم وكبيرِهم.

١. نائبُ الأمينِ العامِّ للغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياض.

وأشهدُ له بأنه مستمعٌ جيدٌ من الطِّرازِ الأول؛ فهو حريصٌ على الاستماعِ لكلِّ من لديه رأيٌ أو مشكلةٌ، ومن ذلك أذكرُ له – برغم كثرة مشاغله – استماعَهُ المطوَّلَ لمشكلة أحد ذوي الاحتياجات الخاصة الذي حضرَ إلى مَبنى الغرفة عند زيارة أحد كبار الشخصيَّات.

وأشهدُ له بأنه جريءٌ في الصَّدع بالحقِّ، فكيف لأحد أن ينسى ذلك الموقفَ عندما استقبلت الغرفةُ أحدَ الوفود التجارية الأمريكية في أوائل التسعينيَّات الميلادية، وأقامَت حفلَ غداء تكريمًا للوفد، بحضور رئيس الغرفة الشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ، وعلى إحدى طاولات الغَداء – وكنتُ جالسًا عندها – تحدَّثَ أحدُ ضيوف الوفد الأمريكي عن مشاركته في تجمُّع اقتصاديٍّ دُعيَ إليه ملكُ المغرب الحسنُ الثاني –رحمه الله– وأنه في الجلسة الختامية — وقد كان الشيخ عبدالرحمن الجريسي حاضرًا – تُلِيَ البيانُ الختاميُّ للمُلتقى، وذُكر في البيان أنه جرى الاتفاقُ على إنشاء تجمُّع اقتصاديٍّ دعَت إليه الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ، يشملُ دولَ الشرق الأوسط، ومنها دولةُ الاحتلال الإسرائيليِّ! فرفعَ الجريسيُّ يدَه مستأذنًا بالتعقيب، فسمح الملكُ له بالكلام، فأوضحَ الشيخُ الجريسيُّ أن ما ذُكرَ في البيان الختاميِّ عن عضوية دولة الاحتلال لم يُتَّفَق عليه بتاتًا، ومن ثَمَّ أُلغيَت هذه الفقرةُ من البيان. وكان الضيفُ المتحدِّثُ معجبًا بجرأة الجريسيِّ وصَراحَته ووضوحه.

الجريسي في لندن مع رئيس الوزراء البريطاني السابق جون ميجر

وأشهدُ للشيخِ عبدِ الرحمنِ أنه رجلٌ طموحٌ ناجحٌ، وعندما تبحثُ في مقوِّماتِ نجاحِه، تجدُها متمثِّلةً في تحديدِه الدائمِ لأهدافِه، والسعيِ الدؤوب إلى بلوغِها، وتفانيه في العملِ، وإخلاصِه في تحقيقِها.

وأتذكرُ منذُ صِغَري حين كان محلُّ والدي – رحمه الله وغفر له – ليس ببعيدٍ عن محلِّ الشيخِ عبدِ الرحمنِ، في شارعِ الملكِ فيصل (شارعِ الوزيرِ):

أن الوالدَ كان يشيرُ إلى الشيخِ عبدِ الرحمنِ بالإعجابِ والتقديرِ، والثناءِ على نبوغِه، وكان يذكرُ لي – وهو أحدُ مؤسِّسي الغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياضِ، وأحدُ رجالِ الأعمالِ فيها – أن الغرفةَ كانت حريصةً على استقطابِ رجالِ الأعمالِ الفاعلينَ؛ للمشاركةِ في مجلسِ إدارةِ الغرفةِ، وأن والدي كان أحدَ من سعى إلى استقطابِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ للمشاركةِ في مجلسِ الإدارةِ؛ لشدَّةِ إعجابِه به، وقناعتِه أنه سيقدِّمُ الكثيرَ للغرفةِ، وللمجتمعِ السعوديِّ.

إن عطاءَهُ المستمرَّ واقتطاعَ الكثيرِ من وقتِه للمشاركةِ في المناسباتِ الاجتماعيةِ والإنسانيةِ والخيريةِ، يجعَلُني أشهدُ له بأنه إنسانٌ من الطِّرازِ الأولِ، فبالرغمِ من رئاستِه لمجموعتِه التجاريةِ، ولعددٍ من الجمعيَّاتِ الخيريةِ، التي تضيفُ إلى أعبائه المزيدَ من العبءِ والانشغالِ، برغمِ ذلك نراهُ دائمًا –أدام اللهُ عليه الصحةَ والعافيةَ– لا يتأخَّرُ عن أيِّ مشاركةٍ، سواءٌ كانت تختصُّ بالغرفةِ، أو كانت على المستوى الشخصيِّ؛ ليزرعَ فرحةً

الجريسي مع المستشار النمساوي السابق كورت فالدهايم في النمسا

في وجه الداعي، فهو حريصٌ جدًّا على أن تكونَ الغرفةُ مشاركةً في الأحداث، وعلى تقديم صورة جميلة عنها، قبلَ أن ينظرَ إلى صورة شخصه الكريم، وهذا السلوكُ لديه نابعٌ من تواضُعه الشديد، وهدوء طبعه الذي يلحَظُه كلُّ من يلقاه عن قرب.

وأختمُ شهادتي عن الشيخ عبد الرحمن بموقف طريف، يُظهرُ دماثةَ أخلاقه، وظَرْفَهُ، وسرعةَ البديهة لديه: اعتادت لجنةُ شباب الأعمال بالغرفة استضافةَ عدد من رجال الأعمال الشباب، ورجال الأعمال الروَّاد لنقل تجربتهم للشباب، والشيخُ الجريسيُّ حريصٌ جدًّا على أن يكونَ مستقبلاً ومرحِّبًا بالضُّيوف في تلك الجلسات.

وفي ليلة افتتحَ جلسةً لأحد الضيوف الشباب، مشيرًا إلى أنه من شباب الأعمال الناجحينَ، وكان الضيفُ حليقَ اللحية والشارب، وتبدو عليه حيويةُ الشباب، إلا أنه في أثناء الحديث عن تجربته تبيَّنَ أن الضيفَ ليس من الشباب، وذلك حين رفع بطريقة لا شعورية طرفَ (الشماغ) وانكشفَ بياضُ شعره، وبعدَ أن انتهى الضيفُ من حديثه، وقبل أن يُتيحَ الشيخُ عبدُ الرحمن الفرصةَ للحضور لإلقاء الأسئلة على الضيف، وبعدَ شكره على نقل تجربَته الناجحة – استدركَ الجريسيُّ قائلاً:

إنني في بداية الجلسة أشرتُ للأخ الضيف بأنه أحدُ الشباب الناجحينَ، وقد تبيَّنَ لي أنه في عمري! فانفجَرَ الحضورُ بالضَّحك، وكانت لفتةً طريفةً من الشيخ».

الجريسي مع رئيس الوزراء الماليزي السابق مهاتير محمد

الجريسي يلتقي
رئيس مجلس الوزراء التركي
رجب طيب أردوغان

الجريسي يلتقي رئيس الوزراء اللبناني
الراحل رفيق الحريري في سفارة لبنان
في الرياض

رؤيةٌ من خارجِ الغرفةِ:

كانَ والدي حريصًا أشدَّ الحرصِ على تمثيلِ وطنِهِ في كلِّ تفاصيلِ حياتِه، وليس تمثيلَ رجالِ الأعمالِ في الغرفةِ التجاريةِ وحسبُ.

ويذكر الدكتور تيسير كمنكاش[1] بعضَ مواقفِه ومشاهداتِه في أثناءِ زيارةِ وفدٍ سعوديٍّ برئاسة والدي إلى أوكرانيا، فيقول:

«في شهرِ أيَّار (مايو) من عام (٢٠٠٥م) لقيتُ في العاصمةِ الأوكرانيةِ (كييفْ) أولَ مرة الأستاذَ عبدَالرحمنِ الجريسيَّ رئيسَ مجلسِ الغُرفِ السعوديةِ آنذاك؛ رئيسَ الوفدِ السعوديِّ الذي زار أوكرانيا مؤلَّفًا من خمسينَ رجلَ أعمالٍ يمثِّلون كلَّ قطاعاتِ الاقتصادِ الوطنيِّ السعوديِّ، وبحضورِ الدكتورِ فهدِ بنِ صالحِ السلطانِ الأمينِ العامِّ لمجلسِ الغرفِ السعوديةِ، والمهندسِ سعدٍ المعجلِ نائبِ رئيسِ الغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياضِ.

كنتُ قد سمعتُ الكثيرَ عن مناقبِ الجريسيِّ وخبرتِه وكَفاءَتِه وانضباطِه، وطيبِ معشَرِه، وصبرِه العظيمِ على الاستماعِ إلى الآخَرِ، واحترامِه لأهلِ وطنِه ورجالاتِه، وفوقَ ذلك كلِّه اعتزازُه ببيئتِه وبوطنِه، فكانَ للشيخِ مكانةٌ خاصَّةٌ في نفسي، ومحبةٌ خالصةٌ في وجداني.

فسارعتُ إليه في الفندقِ؛ لأرحِّبَ به باسمِ رئيسةِ الوزراءِ الأوكرانيةِ (يوليا تيموشينكو)، ولأتفقَ معهُ على جَدولِ أعمالِ لقاءِ الوفدِ السعوديِّ المقرَّرِ معها، وعندما اجتمعتُ به وجدتُّ نفسي أمامَ رجلٍ طَلقِ المُحَيَّا، ناصعِ الجبينِ، أشمِّ الأنفِ، فائقِ الأناقةِ، وقورِ السَّمتِ، يجسِّدُ هيبةَ المسؤوليةِ العامَّةِ في تواضُعٍ جمٍّ، وحَياءٍ فطريٍّ، وحِلْمٍ كبيرٍ، وعقلٍ راجحٍ، ورجولةٍ نادرةٍ.

بعدَ عباراتِ الترحيبِ سألتُهُ: كيف وجدتَّ العاصمةَ الأوكرانيةَ؟ فأجابَ بأنها جميلةٌ ورائعةٌ، وأضاف بحِرَفيةِ الدبلوماسيِّ المحنَّكِ: ولكنني تعلَّمتُ أنْ لا شيءَ في الدنيا يساوي حَفنةً من صحراءِ بلادي، تعلَّمتُ أنَّ أَمسِيَ ويومِيَ وغديَ كلَّها مرتبطةٌ ببلادي، تعلَّمتُ أن أضعَ (الوطنَ) في عينيَّ ثم أُطْبِقَ جَفنيَّ، مَزهوًّا مُعتزًّا.

---

١. خبيرٌ اقتصاديٌّ بشؤونِ أوروبا الشرقية.

وأذكرُ أن فخامةَ رئيسةِ الوزراءِ (تيموشينكو) سألتهُ عن واقعِ المرأةِ في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ؟ فأجاب متحدثًا بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ:

إن ما تعيشُهُ المرأةُ السعوديةُ من وَقارٍ وحفظٍ للكرامةِ تحسُدُها عليه نساءُ العالمِ، فما عملتِ المرأةُ السعوديةُ في المعاملِ أو المصانعِ، أو خرجَتْ من بيتِها ليلاً للبحثِ عن لقمةِ العيشِ.

إن المرأةَ السعوديةَ لديها كثيرٌ من الامتيازاتِ سواءٌ من الأسرةِ أو من المجتمعِ، ولا شكَّ أنها ستنجَحُ في تحقيقِ تنميةٍ إسلاميةٍ محضةٍ، ونرجو أن تكونَ نموذجًا لكلِّ نساءِ العالمِ، لتؤكِّدَ أن الدِّينَ الإسلاميَّ الحنيفَ قد أعطى النساءَ حقوقَهُنَّ الاقتصاديةَ والاجتماعيةَ منذُ قرونٍ، وقبلَ أن تحصلَ النساءُ الغربيَّاتُ على قليلٍ من هذه الحقوقِ.

وفيما بعدُ، لقيتُ الجريسيَّ في موسكو حينَ أتاها تلبيةً لدعوةِ أكاديميةِ العلومِ الروسيَّةِ التي اختارَتهُ أولَ شخصيةٍ من الشرقِ الأوسطِ، ومنحَتهُ أرفعَ لقبٍ علميٍّ فخريٍّ، وهو لقبُ (أكاديميّ).

روى لي أبو عليٍّ في هذا اللقاءِ قصةَ خبيرٍ أمريكيٍّ كان يعملُ لدى مجموعةِ الجريسيِّ، جاءه عندَ انتهاءِ عَقدِه حزينًا، راجيًا تجديدَ عقدِه، وسأله الشيخُ الجريسيُّ عن سببِ رغبتِه في ذلك؟ فأجابه بأن السببَ هو زوجتُهُ التي أُعجِبَتْ بالحياةِ في الرياضِ، ولا ترغبُ في العودةِ إلى أمريكا.

فقلتُ لأبي عليٍّ: يبدو أن زوجةَ الأمريكيِّ مُسلمةٌ من أصلٍ عربيٍّ!! فأجابني بأن الخبيرَ الأمريكيَّ وزوجتَهُ أمريكيَّا الأصلِ والفصلِ والحسبِ والنسبِ! وقد قال الخبيرُ الأمريكيُّ: إن زوجتَهُ حَظِيَت في السعوديةِ بمعاملةٍ مَلَكيةٍ لا تحلُمُ بها أيُّ امرأةٍ أخرى في بلادِها، صحيحٌ هي لا تقودُ السيارةَ، لكنْ ثمةَ مَن يقومُ بخدمتِها دائمًا ويوفِّر لها ما تحتاجُ إليه، المرأةُ في السعوديةِ لا تقفُ في أرتالِ محطَّاتِ الوَقودِ للتزوُّدِ به، أو في مرائبِ الإصلاحِ، ولا تؤرِّقُ نفسَها أين تُوقِف سيارتَها في الزِّحامِ، وذكر أنها تشعرُ في المملكةِ بأمانٍ حقيقيٍّ في جوٍّ بعيدٍ عن المضايقاتِ أو الأخلاقِ السيئةِ، وبأن النظامَ الأخلاقيَّ الإسلاميَّ يحفَظُ للأسرةِ كرامتَها، ويصونُها من كلِّ ما يخدشُ الحياءَ، إذْ لا مناظرَ فاحشةً، ولا اختلاطَ بين المرأةِ والرجلِ إلا في أضيقِ نطاقٍ، وهي سعيدةٌ بهذا النمَطِ من الحياةِ الكريمةِ العزيزةِ.

هذا هو عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ الذي كان ولا يزالُ عنوانًا وعلَمًا مُشَرِّفًا لبلادِه في الداخلِ والخارجِ».

الجريسي يلتقي الرئيس البرازيلي
السابق لولا دي سيلفا

الجريسي مع رئيس مالطا
غيدو دي ماركو

الفصل السابع

مرتكزات النجاح

مُرتكَزات النَّجاح

لندعِ الحديثَ لصاحبِ هذه الإنجازاتِ ليقدِّمَ لنا من بحرِ تَجرِبَتِه الطويلةِ زُبدةً نافعةً بالمرتكزات التي نهضَت عليها، فيقول:

«بعدَ هذه العقودِ من العمل الجادِّ الدؤوبِ في ميادينِ التجارةِ والصِّناعة والأعمال، أتأمَّلُ كثيرًا في حالي اليومَ، وما بلغتُهُ من تحقيقِ الأهداف، والفوزِ بأرقى النجاح، فيجولُ في خَلَدي سؤالٌ يُلحُّ عليَّ: كيف تسنَّى لِيَ الوصولُ إلى ما أنا عليه الآنَ بعدَ أن لم أَكُن شيئًا مذكورًا في مجالِ الحياةِ العمليَّة؟ ولعل في إجابتي على هذا السؤال ما يفيد طلاب المعالي وعشاق الطموح. وسألخصها في المرتكزات التالية:

مع الله

كُن قريبًا من الله، واستَحضِرْ رضاهُ في قلبكَ دائمًا، وتفكَّرْ في نِعَمِه وآلائه وعظيم صُنعه، وأكثِرْ من دعائه ومناجاته، وأَرجِعْ شكواكَ أبدًا إليه. ولقد أيقنتُ في مسيرةِ حياتي الطويلةِ أن النجاحَ لا يتحقَّقُ إلا مع صفاءِ الرُّوح، وهذا الصفاءُ لا يتأتَّى إلا بالقُربِ من اللهِ والصِّدقِ معه.

جهدٌ جماعيٌّ

إنَّ النجاحَ لا يتحقَّقُ إلا بمجهودٍ جماعيٍّ وتعاونٍ صادق، وهذا يعتمدُ على الأشخاصِ الذين يعملونَ معكَ ويقفونَ إلى جانبكَ؛ وإني لَأشهدُ أن شركة بيتِ الرياضِ وسائرَ شركاتي وأعمالي إنما قامت على أكتافِ رجالٍ بذلوا من الجهدِ الكثيرَ، جَزاهم الله عنِّي خيرًا. وكنتُ ولا أزالُ على قناعَتي بأن أهمَّ ما يقومُ عليه نجاحُ صاحبِ العملِ: اختيارُهُ الدقيقُ لمَن سيعملُ معه، وتيقُّنُهُ من قُدُراتهم وكَفاءَتهم، وأنهم يشاركونه القيَمَ ذاتَها، وأن شخصيَّاتهم أصيلةٌ مجبولةٌ على مبادئَ راسخةٍ لا تتزعزعُ، وتحقُّقُهُ من وَلائهم للعملِ وللمُنشأةِ التي يعملونَ فيها.

الالتزامُ بالكلمة

إن التزامَ رجلِ الأعمالِ والتاجرِ بكلمَتِه مع عَميله، كفيلٌ أن يمتِّنَ بينهما عُرى الثقة والمسؤولية، وإنه لمن المؤسفِ حقًّا ألا نرى للكلمة والاتفاقِ الشفهيِّ معنًى في أيامنا هذه، فما أيسرَ أن ينقُضَ التاجرُ اتفاقًا مع عميلٍ له، وما أسهلَ أن يُخلفَ وعدًا قطعَهُ لآخرَ. حتى باتَ الناسُ لا يثقُ أحدُهم بالآخَر. والتاجرُ الملتزمُ بكلمته تجدُهُ طيبَ السمعة، يُقبلُ عليه العملاءُ ويرغبونَ في التعامُلِ معه. وأذكِّرُ القارئَ الكريمَ بأن الذي كان بيني وبين الأخ مبارَك باعَارِمَة – مديرِ البنكِ الأهليِّ – إنما هو كلمةٌ، وكذلك الأخُ حَمَدٌ الحنطيُّ الذي كفَلَني عندَ الشيخِ محمدٍ المِشْعَل[1].

١. انظر قصة الوالد معهما في الفصل الرابع.

صورة التقطت عام ١٩٧٥م. تجمع عبدالرحمن الجريسي وعن يساره إبراهيم الغنام رحمه الله، وعن يمينه السيد كلاره ومن بعده صالح المزيعل

الشيخ عبدالعزيز بن نصار وقد حضر لمساندة الجريسي في انتخابات الغرفة التجارية

تحمُّلُ المسؤولية

إن المرءَ مهما أوتيَ من قُدرات وجِدٍّ وهمَّة، لا يمكنُ أن يضمنَ بذلك النجاحَ ما لم يوطِّنْ نفسَهُ على تحمُّل المسؤوليَّة، وتحمُّل نتائج عمَله وقراراته، وعليه أن يضعَ في حُسبانه أن الأخطاءَ ليست مشكلةً؛ ولكنَّ المشكلةَ ألا يعترفَ بالخطأ، وألاَّ يسعى جاهدًا في تصحيحه. إن حُنكةَ رجلِ الأعمال الناجح تتبدَّى في حُسنِ الاستفادة من الخسارة في جَني الأرباح، والتفكيرِ في منافذَ جديدةٍ للربح، وألاَّ يُعاودَ الخطأَ نفسَه؛ لأن تَكرارَ الخطأ مراتٍ يجعلُ الشخصَ شريكًا فيه.

إرادةُ النجاح

من أهمِّ مُرتكزاتِ النجاح أن يكونَ المرءُ مريدًا له، ولا يمكنُ أن يتحقَّقَ ذلك دونَ إرادةٍ صُلبة وتصميم أكيد، إن الحياةَ عمومًا صَعبةٌ، والنجاحَ فيها أصعبُ، لكنه جديرٌ ببذلِ الجهد، وثمراتُهُ تستحقُّ التحديَ، ولنعلَم أن الحياةَ سلسلةٌ متواصلةٌ من الكفاح، وإذا ما سقَطنا مرَّةً، فيجبُ أن نعاودَ الكَرَّةَ مرارًا وألا نستسلمَ لليأس؛ لأن تكرارَ السقوطِ – مع إرادةِ التصويب – يزيدُنا قوَّةً وإصرارًا على السيرِ في المستقبل.

السمعةُ الطيِّبة

على كلِّ رجلِ أعمالٍ أن يصنعَ لنفسه سمعةً طيبةً يُشتهَرُ بها في السوق، ثم إنَّ عليه أن يجهدَ في الحفاظ على هذه السُّمعة والذِّكرِ الحسَن، حتى قيل: رأسُ مالِ التاجرِ سمعَتُهُ. وإن السبيلَ الأقربَ إلى ذلك يكونُ بالتزامِ الصدقِ والأمانة، وحُسنِ التعاملِ والاستقامة، مع أداءِ الالتزاماتِ الماليةِ في وقتِها، وتجنُّبِ أسلوبِ

الجريسي مع الشيخ سليمان الراجحي في لقاء مفتوح يستعرض فيه الراجحي تجربته الشخصية

المماطلة في أداء الحقوق، مع العملاء والعاملين، ومن يَمطُلْ موظَّفيه حقوقَهُم ورواتبَهم ويؤخِّرْها عن أوقات استحقاقها، يَكُنْ فاقدًا للالتزام مع القاعدة الأساسيَّة لعمَله، ومن ثَم سيكونُ فاقدًا للالتزام مع عُمَلائه؛ وهذا حتمًا سيؤدِّي إلى تشويه سُمعَته، والإساءة إلى مؤسَّسته.

الاهتمامُ بدقائق الأمور

يذهبُ الظنُّ ببعض الناس إلى أن النجاحَ قائمٌ على الاهتمام بالأمور الكبيرة؛ كالاهتمام بوضع الاستراتيجيَّات والخُطَط، واختيار القيادات الإدارية عالية الكَفَاءَة. وهذا صحيحٌ في الجُملة، لكنْ من الضروريِّ أيضًا عدمُ الاستهانة بدقائق الأمور والأشياء الصغيرة، أو الموظَّفينَ في المواقع الثانوية والمغمورَة؛ لما لهؤلاء من أثرٍ كبيرٍ في إنجاح العمل أو الإخفاق فيه.

إلى رجال المستقبل

لم يشأ الوالدُ أن ينهيَ الحديثَ عن مرتكزات النجاح والتفوُّق قبلَ أن يتوجَّهَ إلى أبنائه الشباب بالنُّصح والتوجيه؛ تشجيعًا لهم على خوض غمار العمل في مُختَلف الميادين بجرأةٍ وشجاعةٍ وعزيمةٍ وتحَدٍّ، يقول حفظه الله:

«أودُّ أن أوجِّهَ في هذا المقام إلى أبنائي وإخواني من الشباب السعوديِّ الطامح إلى دخول عالم الأعمال والتجارة، نصيحةً؛ آملاً أن يجدوا فيها ما ينفَعُهم:

أنصحُهم أن يتحلَّوْا بالصبر والثقة بالنفس، وأن يتسلَّحوا بالعلم، وألَّا يتعجَّلوا صعودَ القمة، فلكلِّ مجتهد نصيبٌ، وليس عيبًا أن تبدأ أيها الشابُّ بدايةً متواضعةً وتحتَ الخُطا نحوَ المكانة التي تطمَحُ للوصول إليها، فرحلةُ الألف ميل تبدأُ بخطوةٍ واحدة.

وأدعو شبابَنا أن يأخذوا عبرةً، ويتمثَّلوا نماذجَ رجال الأعمال السعوديِّينَ والعرب وتجارِبَهُم، أولئك الذين تزخُرُ بهم المملكةُ ودولُ الخليج وسائرُ بلاد العرب، ممَّن ثابروا وكافحَوا حتى بلغُوا آفاقَ الشُّهرة والنجاح. وقد بدأ كثيرٌ منهم مشوارَهم من الصِّفر، ونحتُوا طريقَهُم في الصَّخر، وارتقَوا القِمَمَ خطوةً بعدَ خطوةٍ حتى تسنَّموا ذُراها، وباتوا أعلامًا يُشارُ إليهم بالبَنان في عالم المال والأعمال.

فكن قويًّا دائمًا؛ في علمكَ وثقافتكَ، ووظيفتكَ وعملكَ، فالناسُ بعامَّة يُفضِّلُون التعاملَ مع الأقوياء».

كونوا عصاميِّين لا عظاميِّين

وقد سبقَ أن كتبَ والدي مقالةً عن قصَّة كفاحه بعنوان «العصاميَّة» قال فيها:

«بدأتُ حياتي التجاريةَ بحُلُمٍ ليسَ إلا؛ فمِن محلٍّ صغيرٍ في الحيِّ التجاريِّ بمدينة الرياض واصلتُ صعودَ

سُلَّم النجاح في عالم المال والأعمال، حتى أصبحَ حُلُمي حقيقةً وواقعًا ملموسًا، فأنا لم أرِثْ عن والدي أيَّ ثروة؛ بل ورثتُ العصاميةَ، والعصاميةُ صفةٌ تطلَقُ على كلِّ من يَصِلُ إلى مراتبَ عُليا بجدِّه واجتهاده، ولا يعتمدُ في ذلك على غيره؛ من عشيرةٍ، أو قبيلة، أو حتى إرث، وهي نسبةٌ إلى عصام بن شَهْبَرٍ الجَرْميِّ، حاجبِ النُّعمان بن المنذر، وأصلُ التنويه به هو قولُ النابغة الذُّبيانيِّ فيه:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاما ... حَتَّى عَلا وجَاوَزَ الأَقْواما

وعَلَّمَتهُ الـكَرَّ .. والإقْداما ... وصـيَّرَتـهُ مَلِكًا هُـماما

ومن هنا اتُّخِذَتْ نفسُ عصامٍ مثلاً لمن يرفعُ قدرَهُ بنفسِه وباكتسابِه، غيرَ متَّكلٍ على قومِه ولا على مَفاخِرِهم.

ولا أعدُّ نفسي استثناءً في ذلك، بل لدينا في بلدنا الحبيب نماذجُ كثيرةٌ من الذين انطلقُوا من البداية، وحقَّقوا نجاحاتٍ متميِّزةً؛ ولكن يجبُ التفريقُ بينهم وبين مَن حصَلَ على الثَّروة مُصادفةً؛ كتُجَّار الحروب، وكمَن حصَلَ عليها دونَ مكافحةٍ في تكوينِها، أو من يُطلَقُ عليهم صفةُ (عظامي)؛ أي: يعتمدُ على عِظامِ أجدادِه في ذلك.

ومناسبةُ حديثي هذا هي رغبتي في التوجُّه إلى الشباب المتعجِّل إلى النجاح وتكوين الثَّروة. فيُسعدُني في هذا المقام أن أقدِّمَ بعضَ الأفكار التي استقيتُها من مُختَلف التجارب التجارية التي عايشتُها طَوالَ الخمسينَ عامًا الماضية، وكلِّي أملٌ في أن تكونَ تلك الأفكارُ والقواعدُ ذاتَ فائدة للشباب الطامح في أن يكونَ له دورٌ فاعلٌ في مجتمعه، بأعماله التجارية، أو غيرها من المجالات الحياتية الأخرى.

وفي رأيي للنجاح عددٌ من العوامل، يأتي في مقدِّمتها التوكُّلُ على الله، فمتى تمَّ ذلك، فإن الإنسانَ يكونُ قد قام بأهمِّ عُنصُر مفتَرَض عليه القيامُ به لتجاوز ما يواجهُهُ في حياته من عَقَبات. عندما يبدأُ شخصٌ عملاً تجاريًّا، ربما يواجهُ في بعض اللحَظات عَقَبات كثيرةً، تؤدِّي به إلى الخسارة، وقد مررتُ بذلك في بداية حياتي العملية؛ وتمنَّيتُ حينَها لو لم أكنْ بدأتُ؛ فقد عانيتُ الخسارةَ في مطلَع عملي التجاريِّ مدةَ سنتين؛ لكنَّ إيماني بالله وتوكُّلي عليه جعَلني أصمُدُ، ولا أصابُ بأيِّ نوع من اليأس أو الانهزامية؛ بل تعلَّمتُ من أخطائي، وأخذتُ العِبَرَ من الظروف التي مررتُ بها، ولم أُذعِن لها؛ بل عملتُ على تفاديها في المستقبل.

أنا شخصيًّا لا أعتقدُ وجودَ أعمال تجارية أو غير تجارية، لا يواجهَ صاحبُها عَقَبات ملموسةً، وخاصةً في مرحلة البدايات؛ ولكنْ بالإيمان بالله والتوكُّل عليه قبلَ كلِّ شيء، مقترنًا بالعمل الجادِّ، سيكونُ سهلاً عليه تجاوزُها، أما التوكُّلُ على الله دون عملٍ وبذلِ جهدٍ فهو تواكُلٌ مذمومٌ لا توكُّل!

أما العاملُ الثاني المرتبطُ بسابقه، فهو الصبرُ وعدمُ الاستسلام لأيٍّ من المصاعب والتحدِّيات التي قد يواجهُها الشابُّ في حياته التجارية، فالشابُّ عندما يبدأُ عملَهُ التجاريَّ يجبُ عليه أن يدركَ أن هذا النشاطَ هو مصدرُ رزقه على المدى الطويل، فعليه أن يبنيَ حياتَهُ على أساس أنها تخدُمُ أهدافًا طويلةَ المدى ترفعُ من شأنه، وليست تخدُمُ أهدافًا آنيَّة، وهمُّه الوحيدُ هو الرِّبحُ مهما كانت الوسيلةُ المؤدِّيةُ لذلك؛ لأنه بذلك قد يبني ثروةً فقط، ولا يبني مَجدًا ولا سمعةً، وهذا مُرتبطٌ بوجوب توافُر أخلاقيات العمل التي حضَّ عليها الإسلامُ؛ فالتاجرُ الذي يريدُ أن يكونَ في مصافِّ التجَّار الذين يُشار إليهم بالبَنان: لا يكذبُ، ولا يسرقُ، ولا يظلمُ، ولا يسيءُ للآخرينَ، كلمتُهُ كلمةُ شرف، وقولُهُ قولُ حقٍّ، والأرزاق على الله.

أما العاملُ الثالثُ، فهو التعلُّمُ المستمرُّ، والسعيُ إلى اكتساب المزيد من الخبرة والمعرفة، وخاصةً في مجال العمل نفسه، بحيثُ لا يغلبُ على عمله الطابعُ الارتجاليُّ عندَ قيامه باختيار المشروع الذي يرغبُ في استثمار أمواله فيه؛ بل يبدأُ بدراسة المشروع والإعداد له. ويجبُ على رجل الأعمال الشابِّ الطَّموح أن يطوِّرَ نفسَهُ وَفْقًا للمتغيِّرات الخارجية التي تؤثرُ في نشاطه التجاريِّ، وعليه أن يكونَ مثقَّفًا في المجال الذي يعمَلُ فيه. وإن تعلُّمَ اللغة الأجنبية له أهميَّةٌ كبيرةٌ، وخاصةً اللغةَ الإنكليزية، وتأكيدًا على ذلك أذكرُ أنني في بدايات حياتي التجارية لم أكنْ أجيدُ الإنكليزيةَ، ولكن بفضل من الله، وإدراكًا منِّي لأهمية تعلُّم تلك اللغة، بذلتُ من الوقت الكثيرَ في تعلُّمها إلى أن تمكَّنتُ من إجادَتِها، وقد أفادني ذلك كثيرًا وكان له آثارٌ إيجابيةٌ عميقةٌ عليَّ شخصيًّا، وعلى مُختَلف الأنشطة التجارية التي أمارسُها، وعلى مكانتي العمليَّة في الميادين العالمية، والزِّيارات التي أقومُ بها، والوفود التي أستقبلُها.

وتأكيدًا على أهمية مواكبة التطوُّر وضرورته، فإنني أذكرُ أنه قبلَ أربعة عُقود من الزمان، بدأنا في مؤسَّسة (بيت الرياض) بالاستثمار في الآلة الكاتبة، بعدها جاء الحاسوبُ، ثم ما بعدَ الحاسوب من مُشتقَّاته التكميلية، فهل دون هذه العقلية الراغبة في التطوُّر، كان يمكنُ أن يَتَسنَّى لمؤسسة (بيت الرياض) ذات البدايات المتواضعة أن تتبوَّأَ مكانتَها؛ لتصبحَ إحدى كُبرَيات مؤسَّسات الأعمال التجارية في منطقة الشرق الأوسط؟!

أخيرًا: إن الانضباطَ، والدقةَ في المواعيد، وعدمَ التسويف، وعدمَ تأجيل أعمال اليوم إلى الغد، والنظرةَ المتفائلةَ، واحترامَ كلِّ المتعاملين – من عملاءَ وموظَّفينَ وغيرهم – كلُّ ذلك من مُقوِّمات النجاح، التي علينا أن نعملَ على التحلِّي والتمسُّك بها وعدم التفريط فيها؛ فهي سماتٌ ستكونُ مصاحبةً لنا طَوالَ مَسيرتنا، وسترسُمُ شخصيتَنا وثقافتَنا، وشخصيةَ المؤسَّسة التي نعملُ على إنجاحها».

تلكَ كانت مقالةَ والدي عن العصاميَّة، وفيها ما فيها من نصائحَ نافعة لجيل الشباب، من رجل خبير ناجح صاحب تجربة طويلة في مجال العمل التجاريِّ، ولي هنا ملاحظةٌ لا تخفى على المتخصِّصينَ في الفكر

الإداريِّ، وهي أن أسلوبَ والدي في الإدارة لم يكن ينتمي إلى مدرسة إدارية دون أُخرى، ولا يَميلُ إلى تطبيق نظرية إدارية وإغفال أُخرى، بل هو إداريٌّ بالفطرَة، يتعاملُ مع الموقف بحسَب ما يُناسبُه، على الرُّغم من أنه لم يدرُس نظريةَ الإدارة الموقفيَّة، وهو لا يتعامَلُ مع موظَّفيه وعُمَّاله على أنهم آلاتٌ ومَكناتٌ ضمنَ عُدَد المصانع والشَّركات وأدواتها كما فعلت نظريةُ الإدارة العملية التي أسَّسها تايلور، و لم ينجَرف لصالح العامل تمامًا أو يؤسِّس إنتاجَهُ وَفقَ مُراعاة نفسيَّة العامل ومعنويَّاته كما فعلت مدرسةُ العلاقات الإنسانية التي أسَّسها إلتون مايو وزملاؤُه.

بل كان يعملُ بنظرٍ ثاقبٍ ومُتابعة دقيقة للسُّوق، ويُدركُ أنه في نظام مَفتوح له مُدْخَلاتٌ من مواردَ بشرية ومالية وآلات وغيرها، وله أنشطةٌ تجري وَفقَ أهداف، وله مُخْرَجاتٌ موجَّهةٌ إلى المجتمع تتمثَّلُ في مُنْتَجات مجموعة شركات متنوِّعَة، يجري تداوُلُها في المجتمع وتشكِّلُ فيما بعدُ تغذيةً راجعةً تستفيدُ منها شركاتُه ومصانعُه، وبهذا فإن أيَّ نشاط تجاريٍّ وصناعيٍّ في حالة دَوَران متجدِّد، وهذا مِنْ أحدَث ما توصَّلَت إليه نظريَّاتُ الإدارة، وهي نظريةُ النِّظام المفتوح التي نشَرَها (كاتزكان).

أسرارُ النَّجاح

وأبدى الدكتورُ حَمَد البعادي[1] بعضَ ملحوظاته على أهمِّ أسرار النجاح في حياة الوالد، وهي:

«**الملحوظةُ الأولى**: الأهدافُ.

إن الشيخَ عبدَ الرحمن الجريسيَّ رجلٌ ذو أهداف، وهذه الأهدافُ توجِّهُ القَرارات التي يتَّخذُها في كلِّ أموره. وهذه الحقيقةُ تمنحُهُ وضوحًا في الرؤية وقُدرةً على تقويم العمل والناس، سواءٌ العاملونَ معه أو غيرُهم. ويقدِّرُ الشيخُ الاجتهادَ والمبادرات الذكيةَ والخلاَّقةَ، ويكرَهُ العشوائيةَ والاضطرابَ؛ لأنهما يدُلاَّن على ضياع الرؤية وعدَمها. ومع أنه رجلٌ وَدودٌ وصاحبُ (نكتة) وراوٍ بارعٌ للقصة، ومع أن للعاطفة أثرًا كبيرًا في حياته الشخصيَّة؛ تراهُ شديدَ الموضوعيَّة في مسائل العمل، ويقوِّمُ الأشخاصَ العاملينَ معه – حتَّى لو أحبَّهُم على الصَّعيد الشخصيِّ – تقويمًا موضوعيًّا صارمًا مبنيًّا على مَدى تحقيقهم للأهداف التي وُظِّفوا من أجلها.

الملحوظةُ الثانيةُ: الإصرارُ.

إن الأهدافَ دونَ إصرار على تحقيقها لا قيمةَ لها؛ لذا فإن الشيخَ يضَعُ لنفسه ومؤسَّساته أهدافًا، ثم يسعى بمثابرة إلى تحقيقها.

---

١. نائبُ الرئيس التنفيذيِّ لمؤسَّسة بيت الرياض سابقًا.

الملحوظةُ الثالثةُ: الكَفَاءَة الإداريةُ.

إن الإصرارَ على تحقيقِ الأهدافِ لا قيمةَ له دونَ وضعِ الترتيباتِ اللازمةِ لإنجازِ الأهدافِ. ومع أنَّ علمَ الإدارةِ مفيدٌ جدًّا في إعطاءِ بُعدٍ نظريٍّ، بل في إكسابِ مهاراتٍ وإجراءاتٍ ووسائلَ ذهنيةٍ وعمليةٍ مفيدةٍ، فإن أفضلَ أشكالِ الإدارةِ هو ما أنجزَ العملَ المطلوبَ في أسرعِ وقتٍ وأوفرِ كُلفةٍ وأقلِّ عددٍ من العاملين. وقد رأيتُ الشيخَ في كلِّ عمله يسعى إلى تحقيقِ أهدافِ مؤسَّساته وَفْقَ هذا الإطارِ. وإذا وجد أحيانًا أن الهيكلَ التنظيميَّ المعمولَ به يَحُدُّ من الكَفَاءَة الإدارية، فإنه لا يتردَّدُ في تغييرِه أو تجاوُزِه مؤقَّتًا أو دائمًا. قد يجدُ مثلاً أن التنظيمَ المعمولَ به في مؤسَّسةٍ ما مفيدٌ لإنجازِ أعمالها العادية لكنه غيرُ مُجْدٍ في إنجازِ عملٍ طارئٍ أو مهمَّةٍ عاجلة؛ لذا قد يتجاوزُ هذا التنظيمَ ويكلِّفُ شخصًا بعينِه يتوسَّمُ فيه الكَفَاءَةَ أو لجنةً لإنجازِ العملِ المطلوبِ، ويُعطيهم الصلاحيَّاتِ التي يحتاجونَ إليها.

الملحوظةُ الرابعةُ: العلاقةُ مع الموظَّفينَ.

كثيرًا ما يقولُ الشيخُ للأشخاصِ المعيَّنينَ حديثًا في مؤسَّساته، ولاسيَّما من يتوسَّمُ فيهم الكَفَاءَة:

«أرجو ألا يُفرِّقَنا إلا التقاعدُ أو الموتُ»، وهو يعني ما يقولُ بحذافيره؛ لذا يستمرُّ موظَّفوه في العملِ لديه عُقودًا طويلةً، وكثيرٌ منهم يقضي كلَّ حياتِه المهنيَّةِ مع الشيخِ لم يعرف رئيسًا سواه.

الجريسي مع رئيس شركة مايكروسوفت بيل جيتس عند زيارته للمملكة عام ٢٠٠٩م

وأعزو ذلك إلى عدَّةِ عواملَ، أهمُّها اثنان:

الأولُ: أن الشيخَ يتوقَّعُ من موظَّفيه الولاءَ التامَّ – غيرَ المتردِّدِ – للعملِ، مع ما يترتَّبُ على ذلك من الإخلاصِ والاجتهادِ وبذلِ كلِّ سبيلٍ لإنجاحه.

الثاني: أن الشيخَ في مقابلِ الولاءِ والكَفَاءَة يعاملُ موظَّفيه بإنصاف، حسبَ عُقودهم، ويَرعاهُم ويحرِصُ على مَصالحِهم ويُشاركُهُم أفراحَهم وأتراحَهم، ويَحرِصُ على لقائِهم كلَّما تمكَّن من ذلك، في علاقةٍ تشبهُ في بعضِ نواحيها العلاقةَ الأسريةَ.

الملحوظةُ الخامسةُ: الانضباطُ.

قلَّما رأيتُ في حياتي شخصًا أكثرَ انضباطًا من الشيخ عبدِ الرحمن، كنتُ آتي إلى المؤسَّسة أحيانًا قبلَ الدوام بنصفِ ساعة، خاصةً صباحَ السبت، لأتفقَّدَ مبانيَها ومرافقَها، وأفاجأُ في مُعظم الأحيان أن الشيخَ قد سبقَني إلى ما هممتُ به. لكنَّ انضباطَهُ لم يكن مقتصرًا على المواظبة ودقَّة المواعيد والالتزام بكلِّ ذلك، وإنما يشمَلُ تنظيمَ حياته الشخصية والمِهْنيَّة والاجتماعية على نحوٍ تظهَرُ فيه درجةٌ عاليةٌ من الانضباط، فهو يوازنُ بين التزاماته المختَلفَة ويعطي كلاً منها حقَّها، ويوزِّعُ وقتَهُ على هذه الالتزامات توزيعًا يمكِّنُهُ من إنجازِها جميعًا.

الجريسي يتوسط أعضاء إنفستكورب والرئيس الأمريكي السابق جورج بوش

الملحوظةُ السادسةُ: النظرةُ الشاملةُ.

يرى الشيخُ الجريسيُّ أن العملَ الحرَّ سواءٌ كان تجارةً أم صناعةً، مهما كَبُرَ، هو جزءٌ من منظومةٍ أوسعَ منه؛ وبعضُ هذه المنظومةِ تحتَ سيطرةِ صاحبِ العملِ وبعضُها ليس كذلك. وفي كلا الحالينِ لا بدَّ من التحقُّقِ من توافُرِ أسبابِ النجاحِ للعملِ؛ وبعضُ هذه الأسبابِ يُديرُها المالكُ نفسُهُ وبعضُها يقتضي العملَ مع آخرينَ، وبعضُها يقتضي خَلْقَ جوٍّ يسمَحُ بالعملِ وحلِّ إشكالاتِه في الميدانِ واستباقِ هذه الإشكالاتِ؛ لضمانِ عدمِ قيامِها. لذا لا يكتفي الشيخُ بإدارةِ مؤسَّساتِه، وإنما يسعى دومًا إلى بناءِ علاقاتٍ طيبةٍ مع عُمَلائِه القائمينَ والمتوقَّعين، مع العملِ على توفيرِ بيئةٍ مهنيةٍ وإداريةٍ تساعدُ على إنجاحِ الأعمالِ.

الملحوظةُ السابعةُ: الصدقُ والالتزامُ.

الشيخُ عبدُ الرحمنِ مفاوضٌ بارعٌ، ويستخدمُ في ذلك مهاراتٍ غيرَ عاديةٍ لتحقيقِ مصلحتِه، لكنه إذا انتهى من المفاوضةِ وتعاقدَ مع الطَّرفِ الثاني بكلمةٍ أو عَقدٍ مكتوبٍ أو أمرِ شراءٍ أو غيرِ ذلك من وسائلِ الارتباطِ، فإنه ينفِّذُ ما التزمَ به حتى لو تحمَّلَ في ذلك خسارةً.

وقد رأيتُهُ مرات ينفِّذُ التزاماتٍ خسرَ فيها مبالغَ طائلةً، وهو يسعى بالطبعِ إلى تقليلِ خسارتِه إذا خَسِرَ، لكنه يلتزمُ بما وقَّعَ عليه. هذا الالتزامُ مع كونه واجبًا شرعيًّا وأخلاقيًّا، هو — في الوقتِ نفسه – مفيدٌ للعملِ أيضًا، وقد رأيتُ كثيرًا من الزَّبائن يفضِّلون بضائعَ بيتِ الرياضِ على مُنافسيها؛ لاطمئنانِهم إلى أن الجريسيَّ سيخدُمُ بضاعتَهُ حتى بعدَ بيعِها وتسلُّمِ ثمنِها، وسيلتزمُ بصيانتِها، بل بتغييرِها لو لزمَ الأمرُ.

هذه بعضُ الملحوظاتِ المتفرِّقة سجَّلتُها من واقعِ عملي مع أبي عليٍّ، ورغبتُ في المشاركةِ بها لتسجيلِ بعضِ ذكرياتِ العاملينَ معه؛ آملاً أن يجدَ فيها طَلَبةُ علمِ إدارةِ الأعمالِ دروسًا يستفيدونَ منها، سائلاً اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَمُدَّ في عُمُرِه ويُمنَّ عليه بالصحَّةِ والعافيةِ».

مُشاهَداتٌ عن قُرب

كان والدي جَمَّ التواضُعِ، شديدَ الاحترامِ لعُقولِ الآخَرينَ، مهما تباعدَ معهُم في المكانةِ أو العُمرِ.

وسأنقلُ فيما يأتي مُشاهداتٍ وشهاداتٍ لأُناسٍ مقرَّبينَ منه عايشُوا مواقفَ معه.

حكى الكاتبُ الصحفيُّ عبدُالله العاصم موقفَينِ شاهدَهُما في أثناءِ عمَلِه في الغرفةِ التجاريةِ بالرياض:

«الموقفُ الأولُ: كنتُ يومًا صاعدًا السُّلَّمَ وسمعتُ رجلينِ يتحدَّثانِ بلغةٍ عربيةٍ مكسرةٍ ويضحكان، فلما اقتربتُ منهما، تبيَّن أن الأولَ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ، والآخرَ عاملُ نظافةٍ بنغاليّ!

الموقفُ الثاني: جاء وفدٌ غربيٌّ لمقرِّ الغرفة، واجتمعَ مع رجالِ أعمالٍ سعوديين برئاسة عبد الرحمن الجريسيِّ، وعقبَ الاجتماع توجَّهوا جميعًا لتناول طعام العشاء، وودَّعهُم أبو عليٍّ وهو في غاية السرور، وقدمَ شابٌّ نحيلٌ – والكلُّ يهمُّ بالمغادرة – وهمَسَ في أذُن الجريسيِّ بكلام، عندَها تحوَّل الرجلُ الوَدودُ المبتهجُ إلى بُركان غضب، وخلع مشلحَهُ (البِشْتَ) من كتفَيه، ونادى الشخصَ المسؤولَ عن تنظيم العشاء، وسأله بحزم: لماذا لم تقدِّموا العشاءَ لسائقي السيَّارات المخصَّصة لأعضاء الوفد، وسائقي سيَّارات رجال الأعمال الحاضرين؟! وكلما همَّ الشخصُ بالتوضيح قاطعَهُ أبو عليٍّ، وقال له: أرجوكم.. أرجوكم.. إنهم أَوْلى من الجميع في تناول العشاء، وليس عيبًا أن يجلسُوا على طاولتنا لنأكلَ معًا، وهم أهمُّ ممَّن سواهم، وأنا مستعدٌّ أن يخصَّصَ مقعدي على طاولة الطعام لأيِّ سائق!

إن هذا الغضبَ الشديدَ من الشيخ كان من أجل سائقٍ واحد لم يتناول العشاءَ، ووالله إنه ليس سائقَهُ، والواقع أن أماكنَ كانت قد خُصِّصَتْ للسائقينَ وغيرِهم في قاعة الطعام نفسها، دونَ أن يدريَ هذا السائقُ!».

وكان والدي يؤمنُ إيمانًا مُطلقًا بضرورة تكامُلِ عملِ التخصُّصات في دورة الاقتصاد، وبحقِّ الجميع في الرِّبح.

يقول الأستاذُ أحمد سالم بادويلان، الكاتبُ المعروف:

«سأوردُ موقفَين رائعَين للشيخ الجريسيِّ، لم يُعلنْهُما أو يتناوَلْهُما في أحاديثه الصحفيَّة؛ ولكني عرفتُهما من أحد العاملينَ في (بيت الرياض):

الموقفُ الأولُ: قام أحدُ الموظَّفينَ لدى الجريسيِّ بإعداد دراسة عن تذاكر السفر والعودة التي تصرفُها مجموعةُ مؤسَّسات الجريسيِّ لأكثرَ من ألفَي عامل، وهذا الرقْمُ غيرُ رسميٍّ بل هو تقديريٌّ، فلو أنَّ الجريسيَّ افتتحَ مكتبًا للسياحة والسفَر – وهذا نشاطٌ تجاريٌّ، يحقُّ له – كأيِّ مواطنٍ – أن يمارسَهُ إذا استَوفى شروطَ الترخيص – فإنه سيوفِّرُ سنويًّا قيمةَ نسبة (الحَسْم) التي تمنحُها الخطوطُ السعوديةُ لوكالات السفَر، هذا فضلاً عن أرباح أخرى يمكنُ أن يحقِّقَها المكتبُ لو قدَّمَ خدماته لشركاتٍ أخرى، من السهل على الجريسيِّ جلْبُها بعلاقاته الشخصية وثقة الناس به.

ولقد توقَّع مَن أعدَّ الدراسةَ أن (أبا عليٍّ) سيكونُ سعيدًا جدًّا بهذا التوفير، لكنَّه فاجأهُم بقوله: إنني سعيدٌ باجتهاد من أعدَّ الدراسةَ؛ ولكننا لو أردنا أن نعملَ كلَّ شيءٍ، فكيف يستفيدُ الآخرونَ منا؟! ثم إن هذا العملَ ليس من تخصُّص مجموعة الجريسيِّ!

والموقفُ الآخَرُ: قُدِّمَتْ له دراسةٌ تؤكِّدُ بالأرقام أن مجموعةَ الجريسيِّ لو أحدثَتْ وكالةَ دعاية وإعلان، فإنها ستوفِّرُ في السنة الواحدة ما لا يقلُّ عن خمسة ملايين ريال، وكان ردُّ أبي عليٍّ مثلَ الردِّ السابق، فهو حريصٌ على ألا يستأثرَ وحدَه بالأعمال والرِّبح، وأن يُتيحَ للآخرينَ فرصَ العمل والنجاح.

هذا هو الشيخُ عبدُ الرحمن الجريسيُّ، الإداريُّ بالرؤية والموقف، الذي لم يُراودني شكٌّ يومًا في تميُّز أسلوبه الإداريِّ الذي أرى نتائجَهُ ماثلةً أمام ناظِرَيَّ، وهو لم يدرُسهُ في جامعات أو معاهدَ، وإنما هو نتاجٌ لفكرٍ نيِّرٍ استقاهُ من تجارب الحياة والخبرة في العمل، ومن عقل متفتِّح واع؛ فهو بطبيعته يأخذُ إيجابيَّات أيِّ عملٍ ويرمي سلبيَّاته، ويعتقدُ أن البناءَ لا يتمُّ إلا بعمليَّة تبادُلية تفاعُليَّة، تبدأُ بتحديد الهدف، ثُمَّ القيام بدَمج مجموعة نظريات الإدارة، توصُّلاً إلى تحقيق ذلك الهدف».

وفي هذا المقام يذكُرُ الأستاذُ فهد بن ثنيَّان بن فهد الثنيَّان[1] أهمَّ ما لمسَهُ في شخصيَّة الوالد فيقول:

«لقد تسنَّى لي في أيام الانتخابات القصيرة أن أقفَ على جوانبَ مثيرة في شخصيَّة الشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ؛ فقد وقفتُ فيها على أمرَين أعتقدُ أنهما سببُ نجاحه ومحبَّة الناس له:

الأمرُ الأولُ: التواضعُ والعفويةُ. والأمرُ الثاني: الجدِّيةُ والالتزامُ.

فقد كان – حفظه اللهُ – من أوائل الذين يصلونَ إلى مقرِّ الحملة الانتخابية، وآخر من يغادرُها، بالرغم من مَشاغله الكثيرة، وللمرء أن يتعلمَ من ذلك دروسًا في الجدِّ والانضباط. ومع أن هذا المنصبَ قد لا يَقدِّمُ عندَهُ ولا يؤخِّرُ، كان عندَهُ بمنزلة التزام قَبلَهُ، وعليه أن يؤديَهُ بإتقان، وأن يعطيَهُ حقَّهُ كاملاً، ولا يخفى ما في هذا من درجة عالية من الانضباط والجدِّية في متابعة الأمور التي يفتقدُها الكثيرُ من رجال الأعمال، وقد صدق فيه قولُ المتنبِّي:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزائِمُ وتَأتِي عَلى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وفي السِّياق نفسه، كنتَ تراه طَوالَ اليوم يستقبلُ الناخبينَ ويتبادَلُ معهُم أنواعًا شتَّى من الأحاديث، كلٌّ حسبَ تخصُّصه، وكنتَ تراهُ يستقبلُ الناسَ بأريحيَّة عجيبة وكأنه يعرفُ كلَّ واحد منهم معرفةً خاصةً، أو كأنهم من أصدقائه الخُلَّص يحاوِرُهُم ويمازِحُهُم، حتى إن الكثيرَ من الذين قَدِموا لينتَخبُوا غيرَهُ، كانوا حريصينَ على السلام عليه. بل إن المرشَّحينَ المنافسينَ أنفُسَهم كانوا يجالسونَهُ ويخالطونَهُ حتى ليظنَّ المرءُ أنهم أعضاءُ في لائحته الانتخابيَّة. وهذا وإن كان يدلُّ على محبَّة الناس له، فهو من جانب آخر يدلُّ على الأدَب والتواضُع الجمِّ الذي يتمتَّعُ به الشيخُ، والذي أكسبَهُ محبةَ الناس وثقتَهم. وقد قالوا قديمًا: كلُّ شيءٍ إذا كَثُرَ رَخُصَ، إلا الأدبَ؛ فإنه إذا كَثُرَ غَلا».

١. عضوُ إدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض.

الفصل الثامن

الأسرة

الزَّواجُ والذرِّيَّة

كان زواجُ والدي في مرحلة مبكِّرة من حياته؛ وهو في الثالثة والعشرينَ من عُمره، وذلك في سنة ١٣٧٤هـ، وكان حينها لا يزالُ يعملُ مع ابنِ نصَّار، وبعد زواجه بأربع سنوات عام ١٣٧٧هـ استقلَّ بعمله في مؤسَّسته (بيت الرياض). كان زواجُه متواضعًا بعيدًا عن المظاهرِ الجَوفاء؛ إذْ أقيمَ في منزل أهلِ زوجته، واقتصرَ الحضورُ على عائلتَين فقط؛ هما أهلُ العروس، وعائلةُ الجريسي، وانتهت إجراءاتُ الزَّواجِ بعد صلاة العشاءِ دونَ أيِّ احتفالٍ، وكان المهرُ ألفَي ريالٍ فقط.

يتذكَّرُ الوالدُ قصَّةَ زواجِه – كما لو كانت البارحةَ – فيقولُ:

«فاتَحَني عمِّي محمَّدٌ في أحد الأيام في أمرٍ كان بعيدًا جدًّا عن مُخطَّطاتي، قال لي: يا ولدي، إنَّ جيلَنا غيرُ جيلِكُم، وزمانَنا غيرُ زمانِكُم، وإن المُغرياتِ التي يتعرَّضُ لها الشابُّ اليومَ قد تحرِفُهُ عن جادَّة الاستقامَة، وإن الزواجَ عصمةٌ للمؤمن، وهو النِّعمةُ التي أنعمَ الله بها على العبد المسلم، بعدَ صَبرِه عن المنكرات، وبُعدِه عن المحرَّمات؛ لينالَها بالحلال، ويجدَ فيها الأُنسَ والسَّكينةَ والرِّضا.

وأصدُقُكم القولَ: إن فكرةَ الزواج لم تكن غائبةً عن بالي البتَّةَ، بل كانت تراودُني بين حينٍ وآخرَ؛ فكنتُ أفكِّرُ: أين أجدُ الزَوجَة الرضيَّ الصَّبُورَ التي تتحمَّلُ طبيعةَ عملي؟ ثم من أينَ لي بتكاليفِ الزواجِ ومتطلَّباته؟!

وأبديتُ لعمِّي عدمَ رفضي المبدئيِّ للفكرة، وذكرتُ له ما أراهُ من عَقَباتٍ تَحُولُ بيني وبينَ الإقدام على تحقيقها؛ من ضعفِ قُدرتي على احتمالِ أعباءِ الزواج، ومسؤوليات الزوجة والأولاد المستقبليَّة! فردَّ عليَّ قائلاً: إن الله ييسِّرُ الزواجَ للعبد إذا ما أحسن النيَّةَ. وحقًّا ما إن هَمَمْتُ بالأمرِ متوكِّلاً على الله، حتى تيسَّر الأمرُ على نحوٍ عجيب، وتمَّ بسرعةٍ ويُسْرٍ، وما أحوجَنا اليومَ إلى تيسيرِ الزواج لطالبيه، بدلَ تكبيلِ الشبابِ بقُيودٍ ثقيلةٍ من الطلباتِ والمصاريف، التي تُنفِّرُهم منه وتَحْملُهم على إيثارِ العُزوبة!

ولم تزِدْ تكاليفُ زواجي على ألفَي ريالٍ، هيَّأتُ بها السكنَ والأثاثَ، والهدايا المقدَّمةَ للزوجة، وقد مَنَّ اللهُ عليَّ بزوجتي أمِّ عليٍّ – حفظها الله – وهي امرأةٌ صالحةٌ، ذاتُ خُلقٍ عالٍ وأدبٍ رفيع، عرفَتْ كيف تدبِّرُ الأمورَ، وتحفَظُ القرشَ الأبيضَ لليوم الأسود، فنعْمَ الزوجةُ البارَّةُ، والصديقةُ المخلصةُ، والصاحبةُ المؤنسةُ، أبثُّها هَمِّي فتخفِّفُ عني، وأستشيرُها فأجدُ عندَها الرأيَ الحصيفَ.

وبعدَ مُضيِّ عامٍ واحد، غمَرَ بيتَنا الفرحُ بولادة ابنتنا جواهرَ، الثمرة الأولى من ثمرات هذا الزواج الطيِّب، وكم كانت فرحتُنا بها كبيرةً! ثم أكرمَنا الله بإخوتها: عليٍّ، وهُدى، وخالد، وفهد، والحمدُ لله أن وفَّقَنا للقيامِ بتربيتهم أحسنَ تربية، مُتعاونينَ في ذلك مُتكاتفينَ. وإنني لأقولُ صادقًا: إنَّ دَورَ أمِّ عليٍّ في تربيةِ

الجريسي في صورة حديثة
ديسمبر ٢٠١٠ م

أولادِنا كان أهمَّ بكثيرٍ من دوري؛ إذْ كان العملُ يستغرقُ مني جُلَّ وقتي، ولا يُبقي لأسرتي إلا أقلَّ القليلِ، وهي معَ ذلك لم تشتكِ أو تعتَرِضْ يومًا، وقد أدَّت دورَها على أكملِ وجهٍ، فجَزى الله زوجتي الصَّبُورَ «أمَّ عليٍّ» خيرَ الجزاءِ.

وبعد مُضيِّ قرابةِ عشرينَ عامًا من زواجي الأوَّل أكرمَني اللهُ بزوجَتي الثانيةِ أمِّ زيادٍ، وهي امرأة مربية تهتم بالحياة الزوجية والأسرية، ورزقَني الله منها ذرِّيةَ مباركةَ بإذنه: زياد، ونورة، وياسر، وعمر، ومحمد، وجُرَيسي. جعلهم الله عونًا لإخوانِهم، وسندًا لهم، مُتآلفينَ مُتآزرينَ على البرِّ والتقوى، قائمينَ بصِلَةِ الرَّحِمِ بينهُم خيرَ قيامٍ وأكملَ تمامٍ.

وفي هذا المقامِ أودُّ أن أقدِّمَ كلماتٍ من النُّصحِ لأزواجِ اليوم؛ لعلَّها تكونُ بَلْسَمًا ناجعًا لحياتِهم الزوجيَّةِ؛ أوَّلُها الحرصُ على عدمِ إظهارِ الخلافاتِ أمامَ الأطفالِ، فقد كان ذلك شعارَنا في البيتِ؛ حفاظًا على مشاعرِهم، وأعتقدُ أننا نجَحنا – بتوفيقِ اللهِ– في ذلك كلَّ النجاحِ، وقطَفنا من ثمراتِه أطيبَ الجَنى. حتى إنني لأَلحَظُ في أولادي حرصَهُم على اتِّباعِ المنهجِ ذاتِه مع أزواجِهم.

وأنصحُ بالتعاملِ مع الأولادِ باعتبارِهم امتدادًا للآباءِ لا أندادًا لهم، فأنا أعظَمُ ما أرجوه أن يكونَ أولادي أفضلَ مني، وأن ينجَحوا في حياتِهم الخاصَّةِ والعامَّةِ؛ لذلك حَرَصتُ مع والدتِهم على حُسنِ تربيتِهم صغارًا، فَبَذلْنَا جُهدَنا أن نكونَ لهم قدوةً في حُسنِ التعاملِ مع اللهِ، والأسرةِ، والناسِ، وقدوةً في الجِدِّ والدَّأَبِ والاجتهادِ، وعُنينا بتربيتهم وتعليمِهم؛ لينطَلقُوا بعدَ ذلك في مَيادينِ العملِ والحياةِ، ويرسُموا لأنفُسِهم مسيرةً من التفوُّقِ والنجاحِ».

نعم؛ لقد كان لنا – نحنُ أبناءَ الشيخ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ – اتجاهاتٌ علميةٌ وعمليةٌ متنوِّعة؛ إذْ كانت أختي (جَواهر) – حفظها الله – متفوِّقةً في علمِها وتكوينِ أسرَتِها، تخرَّجَت في كلية التربية في اختصاص (علوم وتربية)، وحصلت على الماجستير في الإدارة والإشراف التربوي، وعملتْ مديرةً للإشرافِ التربويِّ بمنطقَةِ الرياض حتى تقاعدتْ أواخر عام ١٤٣١هـ.

وأخي (عليٌّ) تخرَّج في الجامعة الأمريكية في سويسرا؛ تخصص مزدوج في إدارة الأعمال و الحاسب الآلي، ويعمل حاليًّا رئيسًا لمجموعة الجريسي.

أما (هُدى) فقد أكمَلَت دراسَتَها في جامعة جنيف في سويسرا أيضًا وتخصَّصت في الترجمة، وهي تتحدَّثُ أربعَ لغات (العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية)، وتعملُ الآنَ مديرةَ (شركة الأريبة) التابعةِ لمجموعةِ الجريسيِّ، ورئيس المجلس التنفيذي لفرع السيدات في الغرفةِ التجارية الصناعية في الرياض، وقد حازت لقب (فارِسة) في جَوْقة استحقاق الوطني من رئيس فرنسا؛ تقديرًا لجهودها في تطوير العلاقات التجارية بين المملكة العربية السعودية وفرنسا.

أمام منزل العائلة القديم في شارع الخزان حيث يبدو عبدالرحمن الجريسي في الوسط وأمامه ولده فهد الجريسي، وعن يساره: عبدالرحمن الجعفر وعبدالله بن محمد الجريسي رحمه الله، وعن يمينه: سعد الحميدي وعبد الرحيم العمودي رحمه الله وعبدالله با مقدم وعبدالله با سليمان، وخلفه صالح المزيعل

الجريسي (على اليسار) في صورة قديمة جمعته مع بعض الأقارب والمعارف

الجريسي على صهوة الجواد سُكَّر الذي استأجره من منطقة الهرم بالقاهرة في إحدى رحلاته إلى مصر

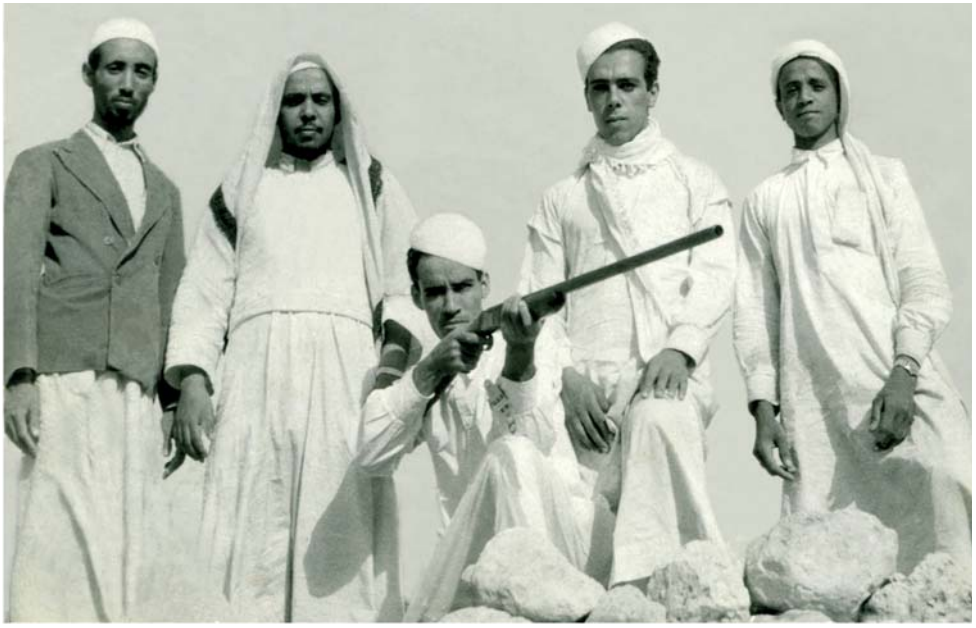

عبدالرحمن الجريسي ممسكاً ببندقية الصيد ويظهر على يمينه راشد الهويمل وآخرون

أما أنا (خالدُ بن عبد الرحمن) فقد تفرَّغْتُ لدراسَتي أولاً، ثم عملتُ مع والدي في أثناء دراستي الجامعية، ثم واصلتُ دراسَتي العُليا حتى أكرمَني الله بالحصولِ على شهادتَي دكتوراه في مجال إدارة الأعمال؛ الأولى من أمريكا، والثانيةُ من لبنانَ، وأعمل حاليًّا الرئيسَ التنفيذيَّ لشركة (بيت الرياض) و(الجريسي لخدمات الكمبيوتر) و(الجريسي للخدمات الإلكترونية) و(مصنع الجريسي للأثاث والكراسي).

ثمَّ أخي (فهد) الذي أكملَ مشوارَهُ التعليميَّ وتخرَّج في جامعة الملك سعود بتخصُّص إدارة أعمالٍ، ويعمل نائبًا لرئيس (شركة بيت الرياض) و(الجريسي لخدمات الكمبيوتر).

وأخي (زياد) الذي تخرَّج في كلية الإدارة بجامعة الملك سعود، وهو حاليًّا المديرُ العامُّ لمجموعة الجريسيِّ.

وأختي (نورة) تخرَّجت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تخصُّص أصول الدين، وتتابعُ في الدراسات العُليا.

ثم أخي (ياسر) وقد تخرَّج في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، تخصص إدارة مالية، وهو مساعدُ الرئيس لشركة الجريسيِّ لخدمات الكمبيوتر والاتصالات.

أما أخي (عمر) فهو طالب في جامعة الأمير سلطان تخصص إدارة مالية، وهو رئيس مجلس إدارة مدارس المناهج الأهلية التابعة لشركة مجموعة الجريسي.

وأخي (محمد) طالبٌ في جامعة الأمير سلطان.

وأخيراً أخي (جُرَيسي) طالبٌ في جامعة دار العلوم.

العلاقةُ بالأبناء

يصفُ الوالدُ علاقتَهُ بأبنائه في الأسرة أبًا، وفي العمل زميلًا، وفي التعامل اليومي صديقًا، فيقول:

«إن أبنائي يسمعونَ منِّي وأسمعُ منهم، وأحاولُ أن أقدِّمَ لهم أفضلَ ما لديَّ من صورة الأب والصَّديق ورجل الأعمال الناجح، وأن أكونَ قريبًا منهم تجمَعَنا المودَّةُ والمحبَّة، وأنا ألقاهُم عادةً على وَجبَة الغَداء أو العَشاء وإن كان لمدَّة قصيرة؛ لكثرة ارتباطاتي – وهم يُقدِّرونَ ذلك — كما أجتمعُ معَهُم يومَي الخميس والجمعة في المزرعَة، وأحاولُ جاهدًا أن أجلسَ معهُم لنتناقشَ في بعض أمورهم، ولمعرفة أخبارهم وأخذ آرائهم، وتبادُل الأفكار معهُم، وإن الأحاديثَ فيما بيننا إنما هي أحاديثُ العائلة الواحدة المتماسكة المبنيَّة على التواصُل والألفة والمحبَّة». ويذكر أخي (عمر) موقفين له مع الوالد فيهما مغزًى تربوي وإنساني فيقول:

«كان مرَّةً في منزلنا عمَّالُ صيانة، وحان وقتُ الغَداء، ولمَّا يُتمُّوا أعمالَهُم، فطلبَ مني الوالدُ تقديمَ طعام

الغداءِ لهم، فأجبتُه: إنهم غيرُ مسلمينَ، فلماذا نُطعمُهُم ؟! فغَضِبَ الوالدُ منِّي لهذا القولِ، لكنَّه عاتَبَني برِفقٍ؛ لعلمه بحَداثة سنِّي حينَها، وقال لي: يا عمرُ، لقد كان الرسولُ – صلى الله عليه وسلم – يزورُ جارَهُ اليهوديَّ المَريضَ، فكيف تقولُ مثلَ هذا الكلام؟! ثم شرحَ لي الفرقَ بين حُقوقِ الإنسانِ على الإنسانِ، وبين الوَلاءِ والبَراءِ، وأنهما يكمِّلُ أحدُهما الآخَرَ، ولا يتعارَضان، ثم قام بنفسه، وقدَّمنا الطعامَ لهم معًا. فكان موقفًا إنسانيًّا تربويًّا لن أنساه ما حَييتُ؛ سواءٌ من حيثُ المعلومَةُ المفيدةُ الجديدةُ، أمْ من حيثُ الأسلوبُ الراقي في تقديمِ النصيحة.

وأذكرُ أننا كنَّا في أحدِ الأيامِ منطَلقينَ إلى مزرَعَتنا في منطقةِ المزاحميَّة – وقد اعتادَ معظمُ أفرادِ الأسرةِ قضاءَ إجازةِ نهايةِ الأسبوعِ فيها – وكان الوالدُ معي في سيَّارَتي، فتجاوَزتُ سيارةَ أختي هدى مع أطفالها الثلاثة، ورأى أحدُ أبناءِ أُختي سيارتَنا، فطلبَ إلى والدَتِه أن تتَّصلَ بنا، فاتصلَتْ بالوالدِ وسلَّم عليها، ثم أخذَ طفلُها الهاتفَ وقالَ للوالد: بابا عبد الرحمن، ليش تسبقونا؟!، فأجاب الوالدُ بعد أن ضَحِكَ من قولِه: هيا، تعالَوا اسبقونا، واحنا نستنَّاكم.

وانتهَتِ المكالمةُ هنا، وتوقَّعتُ أن الموقفَ أيضًا قد انتهى معها، وفجأةً طلَبَ مني الوالدُ أن أتوقَّفَ على جانبِ الطريقِ حتى يتجاوَزونا، واستجبتُ لطلبِه حتى تجاوَزونا، وبقينا نحنُ خلفَهُم. وكلُّ ذلك كان مراعاةً من الوالدِ لرغبةِ سِبطِه الصغيرِ، وقد خلَّف هذا الموقفُ أثَرًا بالغًا في نفسي».

صورة تجمع الجريسي بأبنائه فعن يمينه خالد ثم ياسر ثم محمد ثم جريسي. وعن يساره فهد ثم زياد ثم عمر

الجريسي بين أبنائه وأحفاده عام ٢٠١٠م

السُّكنى

في بداية حياته الزوجية استأجَرَ الوالدُ مَنزلاً في وسَط مُقَيبِرَة، وهذا المكانُ الآنَ من الأحياء الشعبيَّة في وسَط الرياض. وكان المنزل من طين لا كهرَباءَ فيه ولا ماء. ثم ترك هذا السكن إلى منزل آخر في سبالة ابن عَيَّاف[1] حيث اشتراه بمبلَغ (٦٥٠٠) ريال، وكانت مساحتُه خمسةَ أمتارٍ في أحدَ عشرَ مترًا، وهي تعادلُ مساحةَ غُرفةٍ حاليًّا، وهو مبني من الطين فيه مجلس صغير لا يتسع إلا لأربعة أشخاص والدرج صغير جدًا، وكانت غرفة النوم في الطابق الثاني، وليس في المنزل نوافذ، وهناك فتحة في المنزل مثل المنور تضيء المنزل في النهار، ويضاء في الليل بالسرج والإتريك، وبالمنزل مطبخ صغير جدًّا، وكان يُحضِرُ الماءَ من بئرٍ تُسمَّى (نَرَوى)، وفي هذا المنزل رُزق بابنَته البكرِ جواهر التي ملأت حياتَهُ بالسعادَة والأُنس. وبقيَ والدي في هذا المنزل مدةَ خمس سنوات، ثم باعَهُ بـ (٩٥٠٠) ريال، واستأجَرَ منزلاً آخرَ بقيَ فيه اثنَي عشرَ عامًا، حتى بَنى له منزلاً واسعًا في شارعِ الخزَّان عام ١٣٩٠ هـ، وكان (فيلا) صغيرةً على مساحة ٦٠٠ متر مربَّع، مكوَّنةً من طابقَين، وتحتَوي على ثلاثِ غُرَفِ نوم، ومَجلسَين أحدُهما للرِّجالِ والآخَر للنساء.

انتقلَ الوالدُ بعدها للسكنِ في حيِّ التخصُّصي بالقرب من جامع الأميرة حصة وشارع التخصُّصي، وكان المبنى عبارة عن ثلاث فلل على مساحة ستة آلاف متر مربع.

---

١. وموقعها الحالي ضمن مركز الشركة العقارية في وسط الرياض مقابل قصر الحكم.

الجريسي مع بعض بنيه وأحفاده

الجريسي يمارس رياضة المشي في مزرعته بالمزاحمية

وبعد أن كبرت العائلة وتوسعت بزواج الأبناء فكَّر الوالدُ حفظه الله جمعنا في مجمع سكني واحد، فتوجه نحو حيّ الرائد وابتنى مجمَّعًا سكنيًّا على مساحة خمسين ألف متر مربع، وقد قسمه إلى ثمان فلل سكنية تمَّ تصميمها على الطراز الأندلسي، وقد انتقلت الأسرة بكافة أفرادها للسكن في المجمع عام ١٤٢٨هـ.

مع الشِّعر

لدى الوالد حفظه الله اهتمام بالشِّعر العربيِّ وتذوُّقُه، سواءٌ منه الفَصيحُ والنبَطِيُّ، كما أن له خواطرَ صاغَها في قالبٍ شعريٍّ، ولا يُعَدُّ بها شاعرًا؛ ورأيتُ أن أسجِّلَ بعضَها هنا، لأكشفَ عن جانبٍ خفيٍّ من جوانبِ شخصيَّةِ الوالدِ واهتماماته.

ومن أجملِ ما اطَّلعتُ عليه من قصائده، قصيدةٌ بالشِّعر النَّبَطِيِّ يذكُرُ فيها قريتَهُ (رَغْبَةَ) ويُشيدُ بها وبجُهودِ الأميرِ سلمانَ – حفظه الله – في خدمَتِها وخدمَةِ أهلها، ويُشيدُ بجُهودِ خادمِ الحرمَينِ الشريفَينِ الملكِ فهدِ بنِ عبدالعزيزِ رحمه الله، ووليِّ عَهدِه الأمينِ –في ذلك الحين– الملكِ عبدالله بنِ عبدالعزيزِ حفظه الله، والنائبِ الثاني الأميرِ سُلطانَ بنِ عبدالعزيزِ رحمه الله، في حفظِ أمنِ البلادِ وتجنيبِها الكثيرَ منَ الفِتَنِ والمَخاطِر، إلى غيرِ ذلكَ من المعاني الجميلةِ والمشاعرِ الفيَّاضةِ التي حَوتها القصيدةُ التي يقول فيها:

حَسْبي علَى اللِّي ما بَعْد صَدقْ القولْ ... إن البصيرَه ديرةٍ ينتَحَى بهْ
وان السَّحَاب اللِّي على الرَّاسْ هَمْلُولْ ... يبي يرُوحْ لديرتي يا هَلا بهْ
ويلّا امْتلَت رِيضَان وحْزُومْ وسهُولْ ... ودلَّى القميري ما بَدا الوَرق جَابَهْ
جيتَه وانا شَاكِرْ وحامِدْ وابا اقُولْ ... في مَكتَب اللِّي من نَصَاهْ اعْتَزا بهْ
فَكَّهْ من الصَّعْبَات والجُور والهُولْ ... ودلَّهْ على دَرب النَّبي والصحابَهْ
سَلمانْ رَمْز الجُودْ بالفِعْل والقُولْ ... إذا قَصَدْ صَعْب المَطالب سَخَى بهْ
تَراهْ يرعَى ديرَتي يا هْل الهُولْ ... وانْ جَاهَا لازم رَعَاهْ وسَعَى بهْ
الله يْعِزَّه في ذرا راعي الطُولْ ... شَيخ إذا رَامَ الثرَيَّا غَزَى بهْ
فَهْد العَربْ سيفٍ على الظِّلمْ مَسْلُولْ ... رِيف الصَديق ودِرْع مَن هُو لَجَا بهْ
وما دَام لِلْفارِسْ درُوعْ ومَصْقُولْ ... عبدَالله وسلطانْ عِزّ ومَهَابَهْ
وانْ دَقَّتْ الأشْرَارْ لِلحَرب بِطْبُولْ ... بالعَقْل والحِكْمَه وعَزْم وحزَابَهْ

أبْعِدْ لهَبْهَا وحِلْ ما كان مَفْتُولْ ... ورَفْرِف عَلَمْنا فُوقْ عَالِي سحَابَهْ
ومَا دامْ لِلأشْعَارْ مَعْنى ومَدْلُولْ ... يازِنْ كَلامِي شَاعِرٍ يِقْتَدى بِهْ
عبدَالله السلُّومْ[1] شَاعِر ومَقْبُولْ ... حُكمَهْ على شعْري يَحِدِّدْ صَوَابَهْ
عَسَاهْ عُقْبٍ إلَيْا سَمْعْ يِتَّبِعْ القُولْ ... وعُقْب السُّيولْ اللِّي تلبَّدْ سَحابَهْ
وعلى خُشُومْ طُويقْ بَارِقْ وهَمْلُولْ ... وخَشْم الحْصان اللِّي زَهَا والغَرابَهْ
تَحدَّرتْ وِدْيان وِشْعَابْ وسْهُولْ ... وعَمّ الفَرَحْ رَغْبَهْ ومَنْ هُو نَشَا بِهْ

ومن جميل قصيده أيضاً، قصيدةٌ حَوت معاني سامية، ونصائحَ ثمينة، يقول فيها:

ومَا المرءُ إلا رَاحِلٌ ومُودِّعُ ... ومَن ودَّع الأحبابَ يَومًا مُوَدَّعُ
ولا يأسَ مِن وعدٍ مِن الله قَاطِعٌ ... لمن يَفعل الخيراتِ والفضلُ زارعُ
بأنَّ له قصراً مُشيداً ومَوقِعاً ... تَحفُّ به الأنهارُ والغَرسُ شَارعُ
بأعلى جِنانِ الخُلدِ في خَيرِ مَرتَعٍ ... بصُحبةِ مَن يَهدي لخيرٍ ويَتْبَعُ
رسولٍ إلى كلِّ البَرِيَّةِ نَافعٍ ... رؤوفٍ بكلِّ النَّاس للخَلقِ شَافِعُ
وأنَّ على كلٍّ مَن الله دَافِعاً ... ليَعملَ في دُنْيَاهُ والكونُ واسِعُ
ويَسعَى كَما لَوْ كان يَبْقَى مُمَتَّعًا ... وَيعْمَلُ كما لَوْ كانَ في الحالِ نازِعُ
بهذا يَكونُ المرءُ لله طَائعًا ... ويُمْسي قَرِيرَ العَينِ، راضٍ وقانِعُ
بهذا قَطَعْتُ العَهْدَ لله راكِعًا ... أسِيرُ على نَهْجِ النبيِّ مُدافِعُ

وقد يناسبُ المقامَ إيرادُ مقطعٍ من قصيدة لطيفة بعثَ بها إلى الوالدِ صديقُه المربِّي الفاضلُ الشيخُ عثمانُ الصالح[2] رحمه الله، اغتباطًا وسرورًا بالوالدِ حينما أطلقَ بعض لحيته، ومما قالَ فيها:

جَمَالُ المَرْءِ أصْبَحَ باللِّحاءِ ... أَرَاهَا في الفَتى وَجْهَ البَهاءِ
رَأيتُكَ [مُلْتَحٍ] فَرَأيتُ شَهْمًا ... يَسيرُ إلى المَحامِدِ والعَلاءِ
أُهَنِّيكُمْ بِشَكلٍ مِنكَ أَضْحَى ... كَشَمسٍ بالشُّرُوقِ وبالضِّياءِ
فبالدِّينِ الحَنيفِ لَكُمْ مَنارٌ ... بِفِقْهٍ قَد عُرِفْتَ بِلا مِراءِ
بِتَقوى الله حَقًّا قَد شَرُفتُمْ ... لَكُم مِنَّا عَظيمٌ مِنْ ثَناءِ
ومَنْ كانَت لَهُ التَّقوى رِداءً ... فَأَنْعِمْ بِالجَلالِ وبِالكِساءِ

١. هو الشاعرُ عبدالله بن عبدالرحمن السلُّوم؛ من العَناقِر، من بني تميم، عمل سكرتيرًا خاصًّا لصاحب السمو الملكي الأمير سلمانَ بن عبدالعزيز، وتوفِّي في ١٤٢٣/٨/١٢هـ.

٢. هو الشيخُ والمربِّي الفاضلُ عثمان بن ناصر بن عبدالمحسن الصالح ، من مواليد المجمَعَة في عام ١٣٣٥هـ ، تنقَّلَ في عددٍ من الوظائفِ التربوية الجليلة، وتوفِّي بالرياض ١٤٢٧هـ.

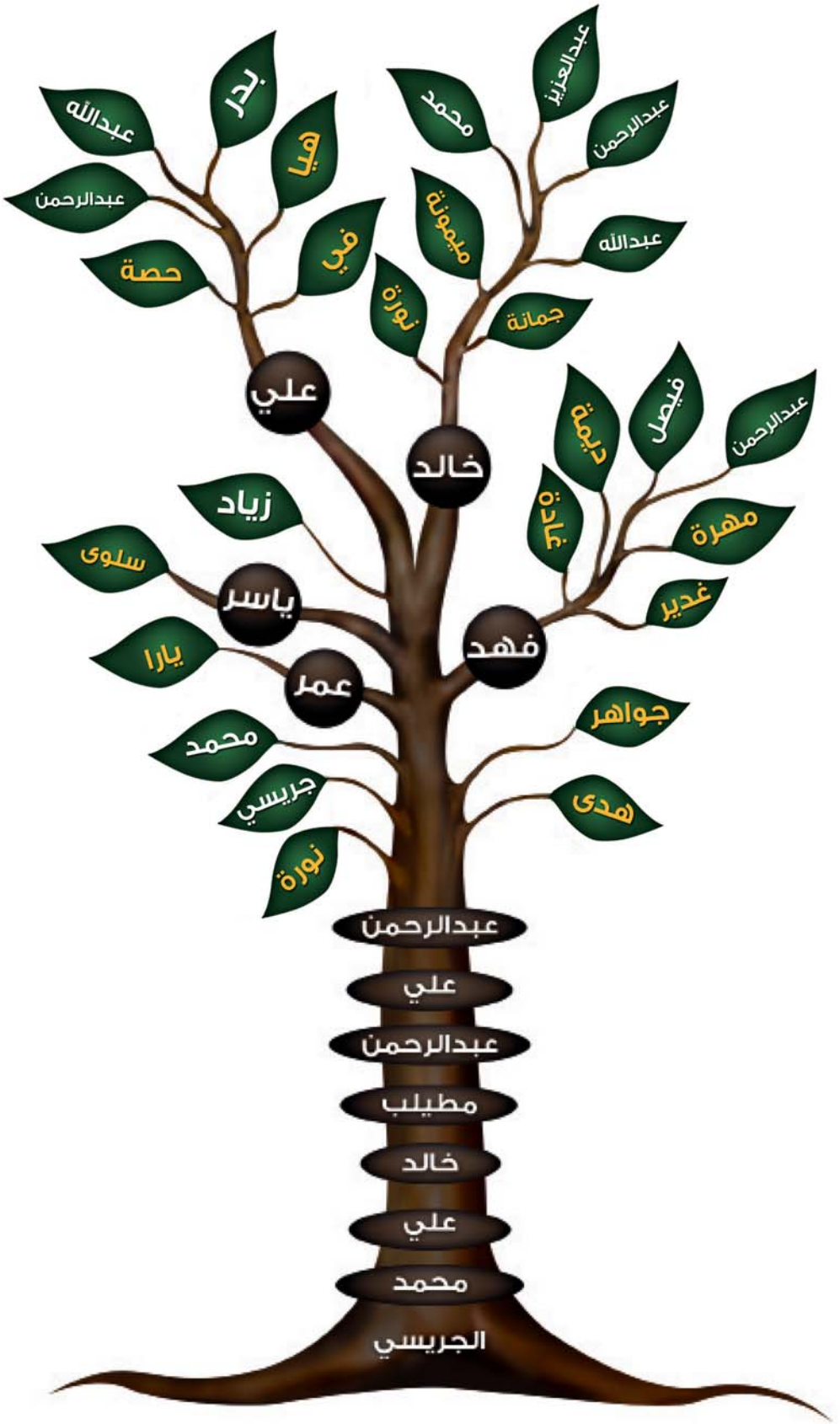

شجرة أسرة عبدالرحمن بن علي الجريسي وهي جزء من شجرة عائلة الجريسي
التي تنتمي إلى الأساعدة من عتيبة

الفصل التاسع

محطات في مسيرة النجاح

إنجازاتٌ وطنيَّة

إن ما تحقق للوالد من نجاحات – بفضل الله – يعدُّ إنجازات وطنيَّةً؛ إذ أسهمت في النهضة الاقتصادية وخدمة الوطن ورفعته، وكان له مشاركةٌ فاعلةٌ وتعاونٌ وثيقٌ مع أجهزة الحكومة، سواءٌ في تمثيله وطنَهُ المملكةَ العربيةَ السعوديةَ في كثيرٍ من المعاهدات والاتِّفاقات الدوليَّة الاقتصادية، وحُضور المؤتمرات والنَّدْوات، أو في عُضويته لعَشَرات من مجالس إدارة هيئات حكوميَّة وشَركات ومؤسَّسات، وقد توَّج ذلك بحُصوله على وسام الملك عبدالعزيز منَ الدَّرجَة الأولى، ودونَكُم نماذجَ ممَّا تولاَّه من المناصب المهمَّة:

رئيسُ الجانب السعوديِّ في «جَمعيَّة الصَّداقة السعودية الصِّينية»:

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٨٧م، ورَأَسَ الوالدُ الجانبَ السعوديَّ في هذه الجمعيَّة، ورَأَسَ الجانبَ الصينيَّ الدكتور وانق تاو، (وزير النِّفط الصيني سابقًا). وهي تمثِّلُ العلاقات التجاريةَ والشعبيةَ بين السعودية والصِّين. ومن المعروف أن جمعيَّات الصداقة في الصِّين لها أثرٌ بيِّنٌ ومهمٌّ في تنمية العلاقات التي انطَلَقَ منها مجلسُ الأعمال السعوديُّ الصِّينيُّ.

يقولُ الوالدُ: «إن الصينَ بلدٌ عجيبٌ، عددُ سُكَّانه أكثرُ من «مليار وأربع مئة مليون نسَمَة»، وفي عام ١٩٧٤م تقريبًا لم يكن لديهم دولارٌ واحدٌ، وحَياتُهُم كانت بُدائيَّةً وساذَجَة، حتى في مجال السيَّارات لا يستعملونَ سوى سيَّارات صينيَّة أو روسيَّة صغيرة، واقتصَرَت الصناعةُ عندَهُم على الخَزَف والأقمشَة، وكانوا تحت الحُكم الشُّيوعيِّ، وليس لهم معرفةً كبيرةً بالعَلاقات الدوليَّة والتجارية والصناعية الخارجية! وفي غُضون العقدَين الماضيَين تغيَّرَت الصِّينُ جدًّا، ونهضَت نهضةً ضخمة، حتى أصبحَت «مصنعَ العالم»، وتُعدُّ الآنَ من أقوى دول العالم، ولدَيها قُدرةٌ ماليَّةٌ كبيرةٌ ومؤثِّرَة.

وأهمُّ ما شدَّ انتباهي في الصِّين هو التزامُ الصينيينَ بنظام دقيق في حياتهم، وهم جادُّونَ في عملهم ومُتعاونونَ فيما بينهُم ومع الآخَرينَ على نحوٍ كبير، وكلُّ ذلك ساعدَهم على تحقيق قفزة حضارية نوعية؛ صارَت معها الصينُ مقرًّا لأكبر الصِّناعات العالميَّة، ومحلَّ أنظار كُبريات الشَّركات في العالم؛ لما امتازَت به من قلَّة أجور الأيدي العامِلَة، والالتزام التامِّ في العمَل».

ويُضيف: «عندما بدأنا في التعامُل معهُم كان حَجمُ التبادُل التجاريِّ ثلاثَ مئة مليون دولار، وبعد إنشاء جمعية الصَّداقة ومجلس الأعمال الصِّينيِّ وصلَ مقدارُ التبادُل في نهاية ٢٠٠٨م إلى اثنين وأربعينَ مليارَ دولار، وهو حجمُ التعامُلات التجارية بين الدولتَين، وباتت الصِّينُ ثانيَ أقوى شَريك للسعودية – عالميًّا – بعدَ أمريكا؛ حالَّةً بذلك محلَّ اليابان، وتَعُدُّ الصينُ السعوديةَ أهمَّ شريك لها في منطقة غرب آسيا والشَّرق الأوسَط، خصوصاً وأنَّ المملكة والصين تسعيَان إلى أنْ يصلَ حجمُ التبادل التجاري بينهما عام ٢٠١٥م إلى ٦٠ مليار دولار».

البروفيسور عبدالرحمن الجريسي
وعن يمينه أبناؤه: علي وفهد وعمر
وعن يساره: خالد وزياد ومحمد وجريسي

ويتذكَّرُ الوالدُ زيارتَهُ الأولى للصِّين في سنة ١٩٧٤م، أي قبل أكثر من ستة وثلاثين عامًا، فيحدِّثُنا عنها؛ موازنًا بين ما رآهُ حينَها وبين ما يراهُ اليومَ، قائلاً: «عندما زُرتُها كانت وسيلةَ النقلِ الشائعةَ الدراجةُ الهوائيَّةُ، وجميعُ الأبنيةِ لا تتجاوَزُ طابقَين، والسيَّاراتُ قليلةٌ، والفنادقُ يسيرَةٌ، وليس في البلد سوى الصِّناعاتِ الصِّينيَّةِ والطعامِ الصِّينيِّ، ولا تكادُ تجدُ فيها مطعمًا ولا طعامًا جيِّدًا! وكذلك لم يكن فيها مراكزُ تجاريةٌ، ولا مَصانعُ كبيرةٌ. هذا ما كانت عليه الصِّينُ قبل زُهاء أربعة عقود، أما اليومَ فتبهَرُكَ فيها ناطحاتُ السَّحابِ والأبنيةُ الضخمةُ الشاهقَةُ المُشيَّدَةُ بأعلى جَودة، وصارَت تُنافسُ أمريكا وأوروبا بأبنيتها وشَركاتها ومَصانعها. وفي زيارة أخرى التقيتُ الرئيسَ الصينيَّ، وحدَّثَنا عن عُمقِ العَلاقاتِ بين الصِّين والسعودية، وأن المملكةَ أهمُّ الشُّرَكاءِ لهم. كما تشرَّفتُ بمرافقة خادم الحرمَين الشريفَين في زيارتِه الأخيرةِ للصِّين، وكنت أود تعلُّمَ اللغةِ الصِّينية، غيرَ أن ضيقَ وقتي حالَ دونَ ذلك».

رئيسُ «مجلسِ الأعمالِ السعوديِّ الصِّينيِّ»:

أثمرت جمعيةُ الصَّداقةِ الصِّينيَّةِ تأسيسَ مجلسِ الأعمالِ السعوديِّ الصِّينيِّ الذي رأسَهُ الوالدُ أيضًا عام ٢٠٠٣م، وهو يتألَّفُ من عددٍ من رجالِ الأعمالِ من البلدَين، ويُديرُه من الجانبِ السعوديِّ مجلسُ الغُرَفِ التجارية، وتُعقَد سنويًّا أربعةُ اجتماعاتٍ تكونُ في كلٍّ من الدولتَين. وتُسهِمُ جمعيةُ الصداقةِ ومجلسُ الأعمالِ الصينيُّ في الاجتماعاتِ مع اللِّجانِ الرسميَّة، وتعرضُ ما لدَيها من مُقترَحات تهمُّ البلدَين، وهذه خُطوةٌ جيِّدةٌ؛ لأنَّ المملكةَ العربيةَ السعوديةَ نَهَجَتْ أن يكونَ لها مجلسُ أعمالٍ سعوديٌّ مع كلِّ دولِ العالم، وهي تنطلقُ من مجلسِ الغُرَفِ التِّجارية.

وقد مُنِح الوالد – بفضلِ اللهِ وكرَمِه – عام ٢٠٠٨م وسامَ السفيرِ الشعبيِّ الصينيِّ في بكين، وهذا الوسامُ تمنحُهُ جمعيَّاتُ الصداقةِ الصِّينيةُ على مُستوى العالم، وهو الوحيدُ الذي حصل عليه في منطقةِ الشرقِ الأوسَط.

عضوُ اللجنةِ القياديَّةِ العُليا لـ« الحِوارِ السعوديِّ الياباني» ثم رئيسُ «مجلسِ الأعمالِ السعوديِّ الياباني»:

كان الوالد عضواً في لجنة الحوارِ السعوديِّ الياباني المشترَك والتي تطوَّرت حتى أصبحَت عام ١٩٩٩م ما سُمِّيَ: مجلسَ الأعمال السعوديَّ الياباني، الذي يرأَسُه الوالدُ، وكانت إقامتُه لتمتين العلاقةِ بين البلدَين أكثر، بحُكم التعاونِ التجاريِّ الكبيرِ والمتميِّزِ بين السعوديةِ واليابان.

هذا على الصعيد الرسمي، أما على الصعيد الشخصي فيسرُدُ لنا الوالدُ صلتَهُ باليابان قائلاً: «كانت أول زيارة لي إلى اليابان في عام ١٩٦٢م، ولم تكن اليابان حينها مزدحمة كما هو حالها اليوم، فقد كانت الطرق سهلة وواضحة، والتنقل فيها يتم بيسر وسهولة، وكان معظم اليابانيين في ذلك الوقت يستخدمون

الحافلات في تنقلاتهم، ومما لفت انتباهي وأثار تعجبي استغلال عامة اليابانيين للوقت واحترامهم للمواعيد، وكذلك حرصهم على ممارسة الرياضة حتى في الشارع وبخاصة عندما ينتظرون الباصات فتراهم يمارسون الرياضة بشكل جماعي، ومنها التمارين الخاصة باليدين والجسم بشكل عام .

ومن المواقف الطريفة التي أتذكرها أنني كنت على موعد مع مالك مصنع صغير للصناعات اليدوية وعندما حضرت في الموعد ودخلت إلى مكتب المالك، لم يتحدث معي بل قام وأخذ بيدي وأخرجني إلى خارج المكتب، فظننت أني قد أخطأت في المكان، ولكن تبين لي سبب هذا التصرف حين أشار إلي بخلع حذائي خارج المبنى، وهي عادة عند اليابانيين في ذلك الوقت أن تخلع حذاءك قبل دخول أي مكانٍ تقصده.

وقد توطدت علاقتي مع اليابان، واستوردتُ منها كلَّ ما يخُصُّ مجالَ تقْنيَّة المكاتب والأجهزَة المكتبيَّة والاتِّصالات. وبحُكم العلاقة التجارية الوثيقة بين السعودية واليابان أُسِّسَ مجلسُ الأعمال السعوديُّ الياباني عام ١٩٩٠م، وتولَّيتُ رئاستَهُ، وهو يضمُّ في عضويته أكثرَ من خمسينَ رجلَ أعمال، وتُعقَدُ أربعةُ اجتماعات سنويًّا، بمعدَّل اجتماعَين في السعودية واجتماعَين في اليابان؛ لبحث ومناقشة المستَجدَّات التي تهمُّ الجانبَين. ويعَدُّ هذا المجلسُ من أكثر المجالس نشاطًا؛ لما لليابان من مكانة في التبادُل التجاريِّ مع المملكة، وقد كانت اليابانُ الشريكَ الثانيَ بعد الولايات المتَّحدَة الأمريكيَّة، بيدَ أن الصينَ سبقَتها إلى احتلال هذه المكانة أخيرًا.

وما يُميِّزُ رجالَ الأعمال اليابانيين أنهم دقيقون في التفاوُض، ولكن بعد الاتِّفاق يلتزمونَ بتعهُّداتهم واتِّفاقاتهم، وهذا الأمرُ جعلَهُم من أنجح شعوب العالم.

وقد وفَّق الله مجموعةَ الجريسيِّ للحُصول على وكالات لعدد من كُبرَيات الشركات في اليابان، خصوصًا في مَجال الأجهزة المكتبية والحواسيب والاتِّصالات. وتمتازُ الصناعةُ اليابانيةُ من غيرها بالجَودَة العالية، وتمتازُ المصانعُ اليابانيةُ بالانضباط في التعامُل؛ إذْ يُصرُّ اليابانيونَ على أن يكونوا رمزاً للأمانة في التعامُل. وقد بلغوا اليومَ مرتبةً عاليةً بين دول العالم المتقدِّمة في مجال التصنيع، مع أنهم لم يمضِ عليهم في خوض هذا الميدان إلا قُرابةُ خمسينَ عامًا فقط!

ومن تمام فضل الله عليَّ أن حَظيتُ بتكريم رئيس وزراء اليابان – نيابةً عن الإمبراطور – إذْ مَنَحَني أهمَّ وسام وأعظَمَه في اليابان؛وهو (وسام الشمس المشرقة)، وكان هذا شرفًا كبيرًا لي».

عضوُ مجلس إدارة «مجلس الأعمال السعوديِّ الأمريكيِّ»:

يخبرُنا الوالدُ عن أهميَّة هذا المجلس فيقول: «لمَّا كانت أمريكا هي الشَّريكَ الأولَ للسعودية، وتتمتَّعُ بأهميَّة كبيرة في جميع الميادين كان لهذا المجلس أثرٌ بارزٌ في تنمية العلاقات بين البلدَين، ويُعنى المجلسُ بكلِّ ما

يتصلُ بالمعاملاتِ التجاريةِ من استيرادٍ وتصديرٍ، وقد عقدت الجلسة الافتتاحية لمجلس الاعمال السعودي الأمريكي في شهر أبريل عام ١٩٩٤م في واشنطن، ويرأسُه حاليًّا الشيخُ عبدُالعزيز القريشيُّ.

إلا أن تعاملي الشخصي مع أمريكا كان يسبق ذلك بثلاثة عقود، وتربطُني بالشَّركاتِ العملاقةِ الأمريكيَّةِ علاقةٌ قويةٌ، خُصوصًا في مجالِ التِّقنيَّةِ والبَرمجيَّاتِ وتِقنيَّةِ أثاث المكاتبِ».

رئيس الجانب السعودي في «مجلسِ الأعمالِ السعوديِّ البريطاني»:

ترأس الوالد حفظهُ الله مجلس الأعمال السعودي البريطاني من عام ٢٠٠٤م إلى ٢٠٠٦م، ولقد كان للمجلس الأثر الكبير في تمتين العلاقات التجارية بين البلدين في تلك الفترة.

عضوُ المجلسِ التنفيذيِّ لـ« الغُرفةِ التجاريةِ الدولية»:

انضمَّ الوالدُ إلى عضوية غُرفةِ التجارةِ الدوليةِ (أي سي سي) ومقَرُّها فرنسا، من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٢م، ويختص المجلس التنفيذي لغرفة التجارة الدولية بصياغة السياسات التنفيذية لفعَّاليات غرفة التجارة الدولية بلِجَانها وهيئاتها المتنوعة، وهي المنظمة الأولى للمال والأعمال في العالم.

عضو «غرفة التجارة الإسلامية»:

كان الوالد عضواً في غرفة التجارة الإسلامية لفترتين الأولى من عام ١٤١٤-١٤١٧هـ، والثانية من ١٤٢٣-١٤٢٦هـ

نائبُ رئيسِ «اتِّحادِ الغُرَفِ العربيَّة»:

شغل الوالدُ عامَ ٢٠٠٤م منصبَ نائبِ رئيسِ مجلسِ الاتحادِ العالميِّ لغرفِ التجارةِ والصناعةِ والزراعةِ للبلادِ العربيَّةِ الذي تأسَّس بناءً على قرار اتخذته الدورةُ الثانية لمؤتمر الغُرَفِ العربيَّةِ المنعقدةُ في بيروت في عام ١٩٥١م، واتُّخِذَت بيروت مقرًّا له، ويَضُمُّ في عضويته ٢٢ دولة عربية وذلك لدَوْرَتين الأولى في الفترةِ ١٩٩٣- ١٩٩٦م، والثانية من ٢٠٠٤ - ٢٠٠٦م.

ويعدُّ هذا المنصبُ مسؤوليةً كبيرةً لما للملكة من ثقَلٍ اقتصاديٍّ وتجاريٍّ وسياسيٍّ في المنطقةِ عمومًا. ويتصلُ عملُ اتحادِ الغُرَفِ العربيةِ بكلِّ ما يخصُّ التبادلَ التجاريَّ، من صادراتٍ وواردات واستثمارات بين البُلدانِ العربية، ويشاركُ الاتحادُ في المؤتمراتِ ويتبادلُ فيها الاقتراحاتِ والرؤى والأفكارَ، ثم يخلُصُ إلى توصياتٍ تُعرَضُ على الملوكِ والأمراءِ والرؤساءِ في العالمِ العربيِّ، للدراسةِ والإقرارِ.

عضو «اتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي»:

كان الوالد حفظه الله عضواً في اتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي في الفترة من عام ١٩٩٠-١٩٩٨م، وكذلك من عام ٢٠٠٤ - ٢٠٠٦م.

رئيسُ مجلسِ إدارةِ «المدينةِ الصِّناعيَّةِ بالرياض»:

بصفته رئيسًا لمجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، كُلِّف الوالدُ برئاسة مجلس إدارة المدينة الصِّناعية بالرياض الذي تم تشكيله عام ١٤١٥هـ بأمر من وزير الصناعة والكهرباء ، وكان عمَل الوالد محصورًا في مُتابعة التطوير للمدينة الصِّناعية وتوسعتها، وتوفير الخدْمات لها؛ لتكونَ على أعلى المستويات في السعودية، وكان من ضمن أعماله في المجلس الإشرافُ على مدينة (سدير الصناعية).

ثم تحوَّل المجلس إلى (الهيئة السعودية للمدن الصناعية ومناطق التقنية)، واختير الوالد عضوًا فيها في العام ١٤٢٣هـ.

رئيسُ مجلسِ «الغُرَفِ التجاريةِ الصناعيةِ السعوديةِ»:

كان ذلك في دورتَين أثناءَ تولِّيه رئاسةَ مجلس (غُرفة الرياض)، من عام ١٤١١ إلى ١٤١٤ هـ، ومن ١٤٢٣ إلى ١٤٢٦ هـ. ولم تكُن هذه المهمَّةُ سهلةً، فهي مهمَّةٌ وطنيَّةٌ من الدرجَة الأولى، ليس على مُستَوى منطَقَة الرياض فحسبُ، بل على مُستَوى المملكة كلِّها. ومن أبرز مَهامِّها: ربطُ رجال الأعمال والمجالات التجارية في السعودية بكلِّ أنحاء العالم، وإبرازُ ما تحتاجُ إليه السعوديةُ من تطوير وتعاون، وإنشاءُ صَداقات وشرْكات مع دول العالم كافَّةً في المجال التجاريِّ.

أما أبرزُ ما قامَ به الوالدُ من إنجازات في مرحلَتَي رئاسته للمجلس فهو توثيقُ عُرَى الصداقة والعلاقة التجارية بين رجال الأعمال السعوديِّين ونظرائهم في الدول الأخرى، بعقد لقاءات ومؤتمرات دائمة، وذلك بإيفاد وفود منهُم إلى الخارج، وبدعوة واستقطاب الوفود الأجنبيَّة لزيارة المملكة، وإطْلاعهم على تطوُّر الاقتصاد الوطنيِّ. وكان لهذا التواصُل كبيرُ الأثر في فتح آفاق واسعة لإنجاز شرْكات وجلب استثمارات ومؤسَّسات وشركات عالميَّة للسوق السعودية.

رئيسُ مجلسِ إدارةِ «شركةِ أَسْمَنْتِ تبوك»:

في عام ١٤٠٤هـ صدر قرار معالي وزير التجارة بالترخيص بتأسيس منشأة صناعية باسم أسمنت تَبُوك، وكان تحويل المُنْشَأة إلى شركة سعودية مساهمة فكرة تُراودُ أميرَ منطقة تَبُوك الأميرَ فهدَ بن سُلطان، وكُلِّفَ الوالدُ بتحقيقها على أرض الواقع، وقد وفَّقهُ الله في ذلك، فصدر في عام ١٤١٥هـ قرار معالي وزير التجارة بتاسيس شركة أسمنت تَبُوك، وأصبحَت واقعًا مَلموسًا يُشيدُ به الجميعُ، وطُلب منه أن يكونَ رئيسًا للشَّركة. وكان لدعم الأمير أثرٌ كبيرٌ في النجاح وإنجاز العمل، ولكن عندما تمَّ التأسيسُ وصارت الشركةُ جاهزةً للعَطاء، اعتذَرَ الوالدُ عن عدم رئاستها؛ لعدد من الأسباب، أهمُّها انشغالُه بأعمال الغرفة التجارية بالرياض، وبُعدُ المسافة بين محلِّ إقامته وموقع الشركة في مدينة تبوك. وتعدُّ الشركةُ اليومَ من أفضل شركات الأسْمَنت في السعودية.

رئيسُ مجلسِ إدارةِ «بنك طَيِّب» في البحرين:

يحدِّثُنا الوالدُ عن هذا المصرف قائلًا:«كان صديقي إقبالُ ممداني – وهو أميركيُّ الجنسيَّة – صاحبَ فكرةِ تأسيسِ بنك (طَيِّب) في البحرين، وقد تعاونَّا في إنشائه عام ١٩٧٩م، وتوليتُ رئاسةَ مجلسِ إدارته، واستمرَرتُ عضوًا في المجلسِ مدَّةَ خمسَ عشرةَ سنةً من عام ١٩٨٨–٢٠٠٤م، كنت أسافرُ فيها باستمرارٍ إلى البحرين لحضورِ الاجتماعاتِ الدَّوريةِ لمجلسِ الإدارة».

وهو بنكٌ استثماريٌّ، يسعى لتحقيقِ استثماراتٍ خليجيَّةٍ وعالميَّةٍ ناجحةٍ من خلال تنوُّع المحافظِ الاستثماريَّة، وشراءِ عقاراتٍ في أوروبا وأمريكا، وله فروعٌ في الهند وكازاخستان وتركيا.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «مؤسَّسةِ النَّقد العربيِّ السعودي (ساما)»:

كان الوالدُ عضوًا في مجلس إدارةِ مؤسَّسة النقد العربيِّ السعوديِّ (ساما) منذ عام ١٤١٨هـ، في ثلاث مراحلَ متتالية، وهي المراحلُ التي تولَّى رئاسةَ المجلسِ فيها كلٌّ من: معالي الشيخ عبدالعزيز القريشي، ومعالي الأستاذ حمد السيَّاري، ومعالي الدكتور محمد الجاسر. وكان الدَّورُ المَنُوطُ بهم تداولَ المستَجِدَّاتِ الدولية

الجريسي في مكتبه ويظهر في الخلفية مجسم لطائرة الخطوط الجوية العربية السعودية

والإقليمية ومتابَعتَها في عالَمي الاقتصادِ والمالِ، وكلِّ ما يهمُّ المصلحةَ العامَّة في هذا المجالِ.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «الخطوطِ الجويَّةِ العربيَّةِ السعوديَّة»:

تحظى الخطوطُ الجويةُ العربيةُ السعوديةُ باهتمامٍ كبيرٍ من وُلاةِ الأمرِ، وهي تحتَ مظَلَّة وليِّ العهدِ وزيرِ الدِّفاعِ والطَّيَران والمفتِّشِ العامِّ الأميرِ سُلطانَ بن عبدالعزيز، كيف لا، وهي الناقلُ داخلَ المملكةِ وخارجَها؟! وقد بقيَ الوالدُ عضوًا في مجلسِ إدارتِها لثلاثِ مراحلَ بدأت في عام ١٤١٩هـ وانتهت في عام ١٤٢٩هـ، كان خلالها يُشارِكُ في رسم الاستراتيجيَّات لبرامجِ الخُطُوطِ، وتطويرِ أدائها على مَرِّ تلكَ السنوات.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «شركةِ الرياضِ للتعميرِ»:

كانت هذه الشركةُ تُعنَى بكلِّ ما يتعلَّقُ بتطويرِ العملِ المَيدانيِّ في المجالِ العقاريِّ في العاصمةِ الرياض. وقد انضمَّ الوالدُ إلى عضويةِ مجلسِ إدارةِ الشركةِ عام ١٤١٥هـ، واستمرَّ به حتى عام ١٤٢١هـ.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «بنكِ فيصلٍ الإسلاميِّ»:

كان الوالدُ من المؤسِّسينَ لبنكِ فيصلٍ الإسلاميِّ، وعضوًا في مَجلسِ إدارتِه، وهو بنكٌ استثماريٌّ من أوائلِ المصارفِ التي انطلقَتْ بمفهومِ تطبيقِ الشريعةِ الإسلاميَّة، وأُسِّس في مقرِه بالبحْرَين في ١٤/٧/ ١٩٨٢م، ذلك أنَّ الإجراءاتِ والشروطَ في البحرين سهلةٌ، وليس ثَمَّةَ قيودٌ صعبةٌ على إنشاءِ مَصْرِف. وقد غُيِّرَ اسمُه فيما بعدُ إلى (البنكِ الشَّامل).

عضوُ مجلسِ إدارةِ «المؤسَّسةِ العامَّةِ للتأميناتِ الاجتماعيَّة»:

وهي مؤسَّسةٌ ترتبطُ بوزارَةِ العَمَل، وكان دورُه فيها المشاركةَ في وَضعِ الخُطَطِ والاستراتيجيَّاتِ والدِّراساتِ للمؤسَّسة؛ حتَّى تتماشى مع سوقِ العَمَلِ في القطاعِ الخاصِّ في السعودية. وبقي الوالدُ عضوًا في مجلسِ إدارتِها ستِّ سنواتٍ من ١٤٠٢/٦/٢٨ إلى ١٤٠٨/٦/٢٨هـ.

عضوُ اللجنةِ القياديَّةِ العُليا لـ« الحوارِ السعوديِّ الفرنسيِّ»:

أُسسَّت هذه اللجنة للتنسيق بين الجانبين السعودي والفرنسي بهدف الخروج بصيغة تَوافُقية مشتركة لإنشاء مجلس الأعمال السعودي الفرنسي، وقد أنهت اللجنة أعمالها بقيام الوالد ممثلاً عن الجانب السعودي بالتوقيع على اتفاقية إنشاء مجلس الأعمال السعودي الفرنسي في باريس عام ٢٠٠٢م.

عضوُ «مؤسَّسةِ عُكاظٍ للصِّحافَةِ والنَّشرِ»:

يقول الوالدُ: «في عام ١٤١٧هـ عُرِضَ عليَّ أن أكونَ عضوًا في مؤسَّسة (عُكاظٍ للصِّحافَةِ والنَّشر) فوافقتُ على ذلك، وصِرتُ عضوًا في جمعيَّةِ الشُّرَكاءِ، وهم نحوُ عشَرَةِ شُركاءَ».

عضوُ «الفريقِ السعوديِّ في الاتِّحادِ العربيِّ للتحكيمِ الدَّوْليِّ»:

كان الوالدُ منذ عام ١٤٢١هـ عضوًا في الاتِّحادِ العربيِّ للتحكيمِ الدوليِّ؛ وذلك بحكم رئاسته للغُرفة التجاريَّة والصناعيَّة بالرياض، وكان دَورُهُ مع زُمَلائه أعضاءِ الفريقِ السعوديِّ في الاتحادِ متابعةَ نَدَواتِ التحكيمِ الدولي، والمشاركةَ في التحكيمِ في الأمورِ التجاريةِ والعلاقاتِ بين الدولِ، وكانت الجهةُ التي يُجْرَى التخاطُبُ معَها هي غرفةَ التجارةِ الدَّولية (آي سي سي) في فرنسا التي كان الوالدُ عضوًا فيها أيضًا.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «الهيئةِ العامَّةِ للغذاءِ والدَّواءِ»:

انضمَّ والدي إلى عضويةِ مجلسِ إدارةِ الهيئةِ العامَّةِ للغذاءِ والدَّواءِ بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ١، وتاريخ ٧ /١/١٤٢٤ هـ، واستجابةً للواجبِ الوطنيِّ؛ لما لهذه الهيئةِ من أهميَّة. وكان يُسْهِمُ في تقديمِ الأفكارِ التطويريةِ، ومناقشةِ الدِّراساتِ والبحوثِ الميدانيَّة، ومتابعةِ كلِّ جديدٍ في هذا المجالِ الحيويِّ.

رئيسُ اللجنةِ التأسيسيَّةِ لـ«الشركةِ التمويلِ العقاريِّ»:

نشأت فكرةُ تأسيسِ لجنةٍ لشركةِ التمويلِ العقاريِّ عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م باقتراحٍ عددٍ من رجالِ الأعمالِ، وما زالت في طَورِ التأسيس. يقولُ الوالد: كان الاقتراحُ يقضي أن تُقامَ هيئةٌ مدعومـــةٌ برأسِ مالٍ كبيرٍ، ليكونَ مصدرًا للتمويلِ العقاريِّ في السعودية، وتُعنى هذه الجهةُ بتحفيزِ القطاعِ العقاريِّ، وتمويلِ المشاريعِ التنموية، والعملِ على توفيرِ المساكنِ للمواطنينَ من فئةِ ذوي الدَّخْلِ المحدودِ والمتوسِّط.

نائبُ رئيسِ مجلسِ «التنظيمِ الوطنيِّ للتَّدريبِ المشتَرَك»:

يهتمُّ هذا المجلسُ بكلِّ ما يخصُّ الوزاراتِ والجهاتِ الحكوميَّةَ والقطاعَ الخاصَّ؛ بدعمها بما تحتاجُ إليه سوقُ العمل، وتلبيةِ حاجاتِ السوق، وتدريبِ الشَّبابِ السعوديِّ حتى يصبحَ قادرًا على الانخراط في العملِ الحكوميِّ، والقطاعِ الخاصِّ، وتهيئةِ جوٍّ من الانسجامِ بين القطاعاتِ عمومًا. وقد عيِّنَ الوالدُ في ١٤٢٤/٤/٩هـ نائبًا لرئيسِ مجلسِ التنظيمِ الوطَنيِّ للتدريبِ المشتَرَك.

عضوُ «مجلسِ القُوى العاملَة»:

في عام ١٤٢٣هـ اختير الوالد لعضوية مجلس القوى العاملة، ويحدثنا الوالدُ عن الغاية من إقامة هذا المجلس فيقول : «يهدف المجلس إلى التنسيق بين وزارَةِ العملِ والقطاعِ الخاصِّ في مَجالِ التوظيفِ والتدريب؛ لإنشاءِ جيلٍ من الشَّبابِ القادرِ على الانخراطِ في مَجالِ العملِ الخاصِّ والقطاعِ الخاصِّ وتوفيرِ كلِّ حاجاته، والعملِ على تحديد سقف أعلى لعدد العمالة الوافدة ومرافقيها بالنسبة لعدد السكان في المملكة».

عضوُ «لجنةِ دراسةِ وتطويرِ الوَضعِ الرياضيِّ والشَّبابيِّ في المملكة»:

كان الوالد في الفترة من ١٤٢٣هـ – ١٤٢٤هـ عضوًا في لجنةِ دراسةِ وتطويرِ الوَضعِ الرياضيِّ والشَّبابيِّ في

المملكة التي أُسِّست بهدف التشاور بينَ فئات المجتمع التي تهتمُّ بالرياضة، وتسعى إلى جعل الرياضة استثمارًا اقتصاديًّا يعودُ بالنفع على الدَّولة عمومًا، وعلى الرئاسة العامَّة لرعاية الشباب والرياضة خصوصًا، وعلى الشَّركات المعنيَّة بالاستثمار في هذا المجال. وبهذا تتحوَّلُ حقولُ الرياضة إلى مشاريعَ اقتصادية بين رجال الأعمال و الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وهي خطوةٌ على طريق (خَصْخَصة) قطاع الرياضة، وفتح المجال لإقامة شركاتٍ ومؤسَّساتٍ رياضيةٍ على المبدأ الاقتصاديِّ.

تمويل كراسي البحث العلمي:

إيمانًا من الوالد بأهمية البحث العلمي ودَعمًا للجامعات الوطنية في مسيرتها العلمية فقد تبنَّى تمويل كرسيين من كراسي الأبحاث، هما :

١- كرسي الشيخ عبدالرحمن الجريسي لأبحاث الحمض النووي (DNA): الذي أُنشئ في جامعة الملك سعود بهدف دعم الأبحاث وتطوير التِّقنيات الخاصة بفحص وتحليل الـ (DNA) .

٢-كرسي الشيخ عبدالرحمن الجريسي لدراسات حقوق الإنسان: الذي أنشئ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بهدف تقديم خِدْمات بحثية واستشارية وتدريبية متخصصة في مجال حقوق الإنسان، تجمع بين الكفاية العلمية والتميز المِهني.

إضافةً إلى أنهُ عضوٌ في الهيئة العلمية لكرسي الأمير محمد بن فهد لدعم المبادَرات الشبابية.

إنجازاتٌ خَيريَّة

ينظرُ الوالد إلى العملِ الخيريِّ بوصفه واجبًا دينيًّا ووطنيًّا، يقومُ على أساسٍ مُؤَسَّسيٍّ منظَّم ذي مِهْنيَّة، وقد طبَّقَ هذا المبدأ عمليًّا، حيثُ منحَ جزءًا من وقته للعملِ الخيريِّ؛ إيمانًا منه بهذا المبدأ الإسلاميِّ الأصيلِ وتحمُّلاً لمسؤوليته الاجتماعية، فهو عضوٌ في عددٍ من مجالس إدارات جمعيَّات خيرية كثيرة -كما سيأتي- وأنشأَ عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م مكتبًا خيريًّا له أهدافٌ واضحةٌ، ومعاييرُ محدَّدةٌ في تقويم مدى احتياج مَن يستحقُّ المساعدةَ، وأسندَ إدارتَهُ والعملَ فيه إلى فريقٍ متخصِّصٍ ذي خبرةٍ وكَفَاءَة، للنهوض به على خيرِ وجه، باذلينَ الجهدَ في البحث عن المحتاج قبلَ أن يأتيَ بنفسه، وذلك عبر لجانٍ مُتخصِّصة تتحقَّقُ من حاجة الناس؛ رغبةً من الوالد في احترام أوضاعهم وظروفهم - وبخاصةٍ المتعفِّفون منهم - والمبادرة بمدِّ يد العونِ لهم قبلَ أن يُضطرُّوا إلى الطلبِ.

ومن أبرزِ أهدافِ المكتبِ الخيري الأخرى:

- الإسهامُ في خدمةِ الإسلامِ ونشرِ العلمِ والثقافةِ.

- الإسهامُ في تأسيسِ دورِ تعليم القرآنِ الكريم.
- دعمُ الجهود المبذولة لدعوةِ غيرِ المسلمين إلى الإسلام.
- الإسهامُ في عمارةِ المساجدِ حسيًّا ومعنويًّا.
- الإسهامُ في الجهودِ الإغاثيةِ والإنسانيةِ والصحية.
- المساندةُ في التأهيلِ الاجتماعيِّ والتدريبِ وتطويرِ القدراتِ لإغناءِ المحتاجين عن السؤال.
- التعاونُ مع الجهاتِ ذاتِ العلاقةِ بالعملِ الخيريِّ لخدمةِ المجتمع.
- المساهمةُ في تقديمِ المِنَحِ الدراسيَّة، ورعايةِ الموهوبين.

ولا تنفصلُ فلسفةُ والدي في العمل الخيريِّ عن فلسفته في المال، فهو يرى أنه لا خيرَ في المال إذا أسعَدَ صاحبَهُ فقط، لذلك تجسَّدَت رؤيتُه في أن العملَ الخيريَّ المبنيَّ على بَذلِ المالِ لمستحقِّيه، أو لبناءِ مشروعاتٍ حضاريةٍ وتنمَويةٍ تخدمُ المجتمع، هو جزءٌ من سعادته الذاتيَّة.

تلكم هي فلسفةُ الوالدِ في العملِ الخيريِّ بإيجاز، فهو يَعُدُّهُ واجبًا أكيدًا يُمليه عليه دينُهُ نحوَ وطَنِه ومجتمعه، ويراهُ السبيلَ الأقربَ لمن أراد الإسهامَ في رفعةِ وطَنِه وعُلوِّ أمته، كما يرى أنه يجبُ أن يكونَ العملُ خالصًا لله تعالى، لذا يَحرِصُ كلَّ الحرصِ على إخفائه، ولكن غالبًا ما تأتيه شهاداتُ شكرٍ من جهاتٍ كثيرَةٍ، فيُعرَفُ إذْ ذاك عمَلُهُ، ولعلَّ في ذلك حكمةً أيضًا لحثِّ المقتَدِرينَ على البَذلِ في وُجوهِ الخير.

كما كان للوالد عناية فائقة بعِمَارة بيوت الله عزَّ وجلَّ، فقام ببناء عدد من المساجد في الرياض والدمام وبلدة رغبة وغيرها من مناطق المملكة، بل إنه تجاوز حدود الوطن في ذلك فكانت له إسهامات في بلدان مختلفة منها على سبيل الذِّكرِ لا الحَصْر: مساهمته في تأسيس مركز التراث الإسلامي في مدينة «مانشستر» البريطانية، وتبرُّعه بأرضٍ في موقعٍ استراتيجي حولَ عددٍ من الجامعات في العاصمة اليابانية «طوكيو» ليقيمَ عليه الأمير عبد العزيز بن فهد مسجد التوحيد الذي أصبحَ مركزًا إسلاميًّا يؤمُّهُ الكثير من أبناءِ الجاليةِ الإسلاميةِ في اليابان.

ويفضِّلُ الوالدُ أن يكونَ قريبًا من الجهاتِ الخيريَّةِ التي يدعمُها ويُسهمُ في أنشطَتِها، فنراهُ عضوًا في مجالسِ عددٍ من الجمعيَّاتِ الخيرية، ومنها:

عضوُ الهيئةِ الاستشاريةِ العُليا، واللجنةِ الماليَّةِ لـ«مؤسَّسةِ الأميرِ سُلطان بنِ عبدالعزيزِ آلِ سُعود الخيريَّة»:

اختير الوالد عضوًا في هذه الهيئة عام ١٤١٧هـ، وكانت مهمَّةُ اللجنةِ دراسةَ أمورِ المؤسَّسةِ وطريقةِ إدارة

استثماراتها ومُساهَماتها، مع اقتراح كلِّ ما تعتقدُ أنه يخدُمُ أهدافَها النبيلة. وكان الأميرُ سلطان رحمه الله قد قرَّر إقامةَ هذه المؤسَّسة، ورَصَدَ لها مبلغًا كبيرًا من المال؛ لضمان استمرار أعمال الخير فيها.

عضوُ اللجنة التأسيسيَّة وعضو لجنة تنمية الموارد بـ«مؤسَّسة الرياض الخيرية للعُلوم»:

في عام ١٤٢٣هـ اختير الوالد عضوًا في اللجنة التأسيسيَّة ولجنة تنمية الموارد بـ (مؤسَّسة الرياض الخيرية للعُلوم): هذه المؤسسةُ التي أقامَت جامعةَ الأمير سُلطانَ بن عبدالعزيز الأهلية التي كان الوالدُ أحدَ المؤسِّسينَ لها، منذ بدايتها المتمثلة في إنشاء كلية الأمير سلطان الأهلية والتي جاءت فكرتها عندما قرَّر رجالُ الأعمال في الرياض أن يعبِّروا عن فرحَتهم بعودة الأمير سلطان سالمًا من رحلته العلاجية إلى سويسرا، بإنشاء كلية تعليميَّة باسمه تخدُمُ الوطنَ والمواطنَ. وأقيم حفلٌ خاصٌّ بهذه المناسبة، وتشرَّف الوالدُ بإلقاء كلمة الحفل وأعلن فيها عن إقامة كليَّة الأمير سلطان الأهلية، وقد تبرَّعَ بتكاليفها عددٌ من رجال الأعمال جزاهُم الله خيرًا، وأعلنَ الأمير سلطان في الحفل نفسه أنه سيُسهِمُ بمبلغ خمسينَ مليونِ ريالٍ في تأسيس الكلية، ثم تحوَّلت الكلية بعد ذلك إلى جامعة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الأهلية.

عضوُ مجلس أمناء «جامعة الأمير سُلطان بن عبدالعزيز الأهليَّة»:

يُنبئُنا الوالدُ بخبر الجامعة قائلاً: « في عام ١٤١٨هـ قرَّر الأميرُ سلمانُ والمؤسِّسونَ تحويل كلية الأمير سلطان إلى جامعة لتكونَ سندًا للجامعات الحكوميَّة، واتَّخذنا قرارًا يقضي أن يمرَّ أيُّ طالب يرغبُ في الانتساب إليها بسَنة تحضيرية تُعينُه على التفوُّق والتميُّز. وحقَّقت الجامعةُ إنجازات كبيرةً أدَّت إلى إقبال كثير من أولياء الأمور لتسجيل أبنائهم فيها، واقتَدَت بنظام جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وذلك باستقطاب الكَفاءات العلميَّة في مُختَلف تخصُّصاتها، وسعَت إلى توظيف الطلاب وهم ما يزالونَ على مَقاعد الدراسة بأعلى الرَّواتب».

عضوُ «الهيئة العُليا لتطوير مدينة الرياض»:

انضمَّ الوالدُ في عام ١٤١٢هـ إلى عضويَّة الهيئة العامَّة لتطوير مدينة الرياض برئاسة أمير منطقة الرياض الأمير سلمانَ بن عبدالعزيز، ونائبه الأمير سَطَّام بن عبدالعزيز، وكان أمينُ مدينة الرياض الأميرُ عبدالعزيز ابن عَيَّاف أمينًا عامًّا للهيئة، وتضمُّ في عُضويَّتها عددًا كبيرًا من ممثِّلي الوزارات والجهات الحكوميَّة؛ وهي تبحَثُ في كلَّ ما يتصلُ بتطوير منطقة الرياض عمومًا، وهي المرجعُ الأكبرُ في كلِّ ما يرتقي بالرياض، من حيثُ الأمورُ الخدْماتيَّةُ، وأمورُ الطُّرُق، والتطويرُ، وتنفيذُ المشاريع.

عضوُ مجلس إدارة «صُندوق دَعم الحياة الفِطريَّة»:

تأسَّس صُندوق دعم الحياة الفِطرية عام ١٤١٥هـ؛ بناء على موافقة مجلس إدارة الهيئة العامَّة للحياة الفِطرية

مسجد أمير بلدة رغبة خالد بن علي الجريسي الذي شُيِّد ببلدة رغبة على نفقة عبدالرحمن الجريسي

مسجد مهرة الجريسي الذي شُيِّد بالدمام على نفقة حفيدها عبدالرحمن الجريسي

مسجد الجريسي الذي شُيِّد ببلدة رغبة
على نفقة عبدالرحمن الجريسي

مسجد هيا الجديد الذي شُيِّد بالرياض
على نفقة ابنها عبدالرحمن الجريسي

في المملكة لتوفيرِ فرصٍ أفضلَ لحمايةِ الحياةِ الفِطريةِ واستثمارِها.

يقولُ الوالدُ: «إن دعمَ الحياةِ الفطريةِ أمرٌ يهمُّ كلَّ مواطنٍ؛ إذْ يجبُ المحافظةُ عليها وإنماؤُها، وأن تَحظى باهتمامِ كلِّ مَسؤولٍ ومواطنٍ في السعودية، وقد كنتُ دُعيتُ عام ١٤١٨هـ لعضويةِ مجلسِ إدارةِ هذا الصُّندوقِ ، وقبلتُ بلا تردُّدٍ لشعوري بأنها مهمَّةٌ وطنيَّةٌ لا يَنْبَغي التأخُّر عن القيامِ بها».

عضوُ مجلسِ إدارةِ «المشروعِ الخيريِّ لمساعدةِ الشَّبابِ على الزَّواجِ»، وعضوُ اللجنةِ التنفيذيةِ للمشروع:

يقول الوالد: «إن هذا المشروعَ وليدُ فكرةِ أميرِ منطَقَةِ الرياضِ الأميرِ سلمانَ بنِ عبدالعزيز، وهو رئيسُهُ والدَّاعمُ الأولُ له. وقد شرَّفني الأميرُ بأن دعاني للمشاركةِ في دعمِ المشروعِ الخيريِّ والإسهامِ في أنشطته، وعضويةِ مجلسِ إدارتِه. وقد حملَ المشروعُ اسمَ عالمٍ جليلٍ خدمَ الإسلامَ والمسلمينَ عمومًا، والمملكةَ العربيةَ السعوديةَ خصوصًا، وهو رمزٌ من رموزِ الفقهِ والعلمِ والعَطاء، إنه سَماحةُ العلاَّمةِ الشيخِ عبدالعزيزِ بن بازٍ رحمه الله.

ولم آلُ جهدًا أنا وغيري من رجالِ الأعمالِ في وضعِ الخُطَطِ والاقتراحاتِ والآراءِ للنهوضِ بالمشروعِ؛ لأنه أولاً وأخيرًا عملٌ إنسانيٌّ اجتماعيٌّ وطنيٌّ دينيٌّ، ومن الواجبِ على كلِّ رجلِ أعمالٍ وكلِّ مُقتَدِرٍ أن يُسهمَ ويشاركَ فيه، وأن يبذلَ ما يستطيعُ من مالٍ وجهدٍ ووقتٍ لخدمةِ هذا المشروعِ النبيلِ، الذي يُسهِمُ في بناءِ المجتمعِ ومُساعدَةِ الشَّبابِ في التحصينِ واستكمالِ نصفِ الدِّين».

عضوُ مجلسِ أُمَناءِ «مؤسَّسةِ الملكِ عبدالعزيزِ ورجالِه للموهبةِ والإبداع»:

يقول الوالدُ: «كان لي شرفُ الانضمامِ إلى هذا المجلسِ مدَّةً من الزَّمَن، وقد سعدتُّ جدًّا بالإسهامِ في دعمِ المؤسَّسةِ؛ لما تؤدِّيه من رسالةٍ على درجةٍ عاليةٍ من الأهميَّة، وهي رعايةُ الموهوبينَ من أبناءِ الوطنِ، والعملُ على تطويرِ مهاراتِهم وقُدُراتِـهم ومواهبِهم، والأخذُ بأيديهم نحو استثمارِ مواهبِهم خيرَ استثمارٍ. ولا يخفى أن هؤلاءِ الموهوبينَ هم أملُ الأمةِ في غدٍ عزيزٍ مشرقٍ».

عضوُ مجلسِ السُّجون:

كان الوالدُ سبَّاقًا إلى دَعْمِ ومساندةِ كلِّ هيئةٍ أو جهةٍ يرى أنها تقدِّمُ الخيرَ لأبناءِ وَطَنِه، في مجالاتِ الحياةِ المختَلِفَة؛ ومن ثَمَّ قبلَ بالانضمامِ عضوًا في (مجلسِ السُّجون)، الذي تأسَّس بمُوجبِ قرارِ مجلسِ الوزراء رقم ٢٧٣ في ١٤٢٣/١٢/٢ هـ برئاسةِ سُمُوّ وزيرِ الداخلية، والذي يُعنى بدراسةِ أوضاعِ السُّجونِ والمسجونينَ، ووضعِ الاقتراحاتِ لتطويرِها، ولتحويلِ السجونِ من مراكزَ للعقوبةِ وأَسْرِ الحريةِ، إلى مراكزِ إصلاحٍ وتربيةٍ وهدايةٍ، ترتقي بالمسجونينَ وتُعِدُّهُم لحياةٍ كريمةٍ بعد خروجِهم من السِّجن.

الجريسي يكرم بطل الملاكمة العالمي محمد علي كلاي عندما زار مقر مجموعة الجريسي

عضوُ مجلسِ إدارةِ «جمعيةِ البرِّ الخيرية»:

تهتمُّ «جمعيةُ البرِّ» بالمحتاجينَ والضعفاءِ وتقدِّمُ لهم الدَّعمَ الدَّائمَ، وهي برئاسةِ أمير منطقةِ الرياضِ الأميرِ سلمانَ بنِ عبدالعزيز، وما يزالُ الوالدُ عضوًا فاعلاً فيها منذ عام ١٤٢٥هـ، لا يبخَلُ بمدِّ يدِ العونِ الماديِّ والمعنويِّ لها.

رئيسُ مجلسِ إدارةِ «الجمعيةِ الخيريةِ ببَلدَةِ رَغْبَة»:

كان قيامُ الجمعيةِ عام ١٤١٨هـ بدعوةِ عددٍ من أبناءِ (رَغْبَة) واتفاقِهم، على تأسيسِ جمعيةٍ خيريةٍ تخدُمُ بلدتَهُم والقُرى المجاورةَ لها، وتتَتبَّعُ أهمَّ الأمورِ التي تحتاجُ إليها المنطقةُ؛ لترفَعَها إلى الجهاتِ المختصَّةِ من وزاراتٍ ومؤسَّساتٍ حكوميَّة. وتستقطبُ الجمعيةُ التبرُّعاتِ وأموالَ الزَّكاةِ والمساهماتِ من أبناءِ (رَغْبَة)، وتعملُ على تقديمِ الأنشطةِ والخدْماتِ التي ترتقي بالمنطقةِ وتُضفي عليها مزيدًا من التقدُّمِ والازدهارِ. وبلغ عددُ المؤسِّسينَ للجمعيَّةِ أكثرَ من خمسينَ شخصًا، ونجحَت حتَّى الآنَ، ولله الحمد في سدِّ حاجاتِ البلدةِ. وتُعَدُّ الجمعيةُ قناةً من قَنَواتِ التواصُلِ بين أهالي بلدةِ (رَغْبَة) وأصحابِ القَرارِ في العاصمةِ الرياض.

عضوُ مجلسِ أُمَناءِ «مؤسَّسةِ عبدالعزيزِ بن بازٍ الخيريةِ»:

تكتسبُ هذه المؤسَّسةُ الخيريةُ أهميَّتَها من اسمِ العالمِ الجليلِ، سماحةِ الشيخِ عبدالعزيزِ بن بازٍ يرحمُه الله، وهي تنعُمُ برعايةٍ كريمةٍ من أميرِ منطقةِ الرياضِ الأميرِ سلمانَ بنِ عبدالعزيزِ، وقد أنشئت عام ١٤٢٢هـ، وما زال الوالدُ عضوًا فيها.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «الهلالِ الأحمرِ السُّعوديِّ»:

كان الوالد عضوًا في مجلس إدارة الهلالِ الأحمر السعودي، وكان يشارك في تقديم الاقترحات واتِّخاذِ القَراراتِ ووضعِ الخُطَطِ والاستراتيجيَّاتِ؛ بما له من مكانةٍساميةٍ في عالمِ المالِ والأعمالِ.

عضوُ مجلسِ إدارةِ «مركزِ الأميرِ سلمانَ الاجتماعيِّ»:

يتشرَّفُ الوالدُ أنه كان عضوًا في مجلسِ إدارةِ مركزِ الأميرِ سلمانَ الاجتماعيِّ، وأنه أحدُ المؤسِّسينَ له، وهو يعرِّف به قائلاً: « إن هذا العملَ الإنسانيَّ الراقي انطلقَ بمبادرةٍ من الأميرِ سلمانَ بنِ عبدالعزيز، وحَظِي بدعمِه ورعايته».

عضو «جمعية الأطفال المَعُوقين»، وعضوُ لجنةِ جائزةِ الجمعيةِ :

كان الوالد منذ عام ١٤١٥هـ عضوًا في الجمعية العمومية لجمعية الأطفال المعوقين، وقد مُنح العضوية الشرفية بالجمعية عام ٢٠٠٧م، وهو يشارك – بحُكمِ عُضويتِه في الجمعيَّة – في وضعِ معاييرَ لتقديمِ الجائزةِ لمَن يستحقُّها في خدمة هذا المجالِ، وذلك بإعدادِ دراساتٍ وبحوث وتداولِ الأمرِ في مجلسِ الجمعية؛ حرصًا على أن تذهبَ جائزةُ الجمعيةِ لمن يستحقُّها بجدارة. ولا يتوقَّفُ دَورُه عند هذا، فهو يدعمُ الجمعيةَ مع كثيرٍ من رجالِ الأعمالِ الفُضَلاءِ، وذلك أقلُّ ما يُمكنُ أن يقدِّمَه أمثالُهم في سبيلِ خدمةِ بلدِهم الغالي على قلوبنا جميعًا.

عضوُ «الهيئةِ العُليا لجمعِ التبرُّعاتِ لمسلمي البوسنةِ والهرسك»:

في أثناءِ الحربِ الغاشمةِ على البوسنةِ والهرسكِ وبعدَها، وبسببِ ما خلَّفَتهُ من مآسٍ وخَرابٍ وأزَماتٍ شتَّى طالت أهالي تلك البلادِ المسلمة، عاشَ إخواننا هناكَ في ظروفٍ صعبةٍ جدًّا، وكانوا في حاجةٍ ماسَّة إلى وقوفِ المسلمينَ إلى جانبِهم، وكانت السعوديةُ في ذلك الوقتِ من الدولِ القلائلِ التي نهضَت بكلِّ ما تستطيعُ إلى مساعدةِ أهلِ تلك البلادِ ومساندتِهم؛ بتقديمِ الدعمَيْنِ الماديِّ والمعنويِّ لهم، حيث أمر الملك فهد بن عبدالعزيز – رحمه الله – في عام ١٤١٢هـ بتأسيسِ الهيئةِ العُليا لجمعِ التبرُّعاتِ لمسلمي البوسنةِ والهرسكِ لتقوم بإيصالِ التبرعات النقدية والعينية وكفالةِ الأُسَرِ المسلمة المهاجرة من البوسنة وإقامة

المعسكرات لإيواء اللاجئين البوسنيين في ألبانيا، كما كان لأهلِ الخيرِ في المملكةِ جهودٌ ضخمةٌ مخلصةٌ في نُصرةِ إخوانِهم، ودعمِ الشعبِ البوسنيِّ المسلم.

عضوُ «اللجنةِ التأسيسيَّةِ للجمعيَّةِ الخيريةِ لرعايةِ الأيتام»:

تأسست الجمعيَّة الخيرية لرعاية الأيتام بمنطقة الرياض (إنسان) عام ١٤٢٠هـ، وهي تُعنى بتقديم كل أوجُهَ الرعاية الماديَّة والمعنويَّة للأيتام ومَنْ في حُكْمهم منذ الولادة حتى يستطيعوا مواجهةَ الحياة. وقد اختير الوالد عام ١٤١٨هـ عضوًا في اللجنة التأسيسية للجمعيَّة، ثم عضوًا في الجمعيَّةِ بعد تأسيسها.

عضوُ «الهيئةِ الأهليَّةِ الخيريةِ لإعمارِ المساجدِ بمنطقةِ الرياض»:

كان الوالد في عام ١٤١٧هـ عضوًا في الهيئةِ الأهليَّةِ الخيريةِ لإعمارِ المساجدِ بمنطقةِ الرياض، وتهتمُّ هذه الهيئةُ بتشييدِ المساجدِ في مُختَلفِ أرجاءِ العاصمةِ الرياض، مع دراسةٍ وتتبُّعٍ مدى الحاجةِ إلى بناءِ مساجدَ جديدةٍ في الأماكنِ والأحياءِ المختلفةِ بالمنطقة. ولا تخفى أهميَّةُ عملِ هذه الهيئة، خصوصًا في ظلِّ الاتِّساعِ المطَّردِ للمدينة، لئلا تخلوَ بقعةٌ فيها من مسجدٍ تُقامُ فيه الصلاةُ ويُذكَرُ فيه اسمُ الله.

تكريمٌ وجوائزُ مُستحَقَّة

إن هذه المسيرةَ الحافلةَ بالعَطاءِ المخلص، الذي غايته رضا الله أولاً، ونهضةُ الوطنِ ثانيًا، ونفعُ المواطنينَ والمجتمعِ ثالثًا، بوَّأت الوالدَ مرتبةً عليَّةً، وأنزلته منزلةًساميةً، وجعلتهُ في محلِّ ثقةِ ولاةِ الأمر، وإعجابِ كلِّ من عملَ معه في داخلِ البلدِ وخارجه. وقد حَظِيَ الوالدُ بتقديرِ جهاتٍ كثيرة، عرفَت قدرَه فكرَّمتهُ ومنحتهُ أعلى الأوسمةِ والجوائز، وفيما يأتي ذكرٌ لأبرزِ ما نالهُ منها:

وسامُ الملكِ عبدالعزيزِ من الدَّرَجةِ الأولى:

حصلَ على هذا الوسامِ العزيزِ في عهدِ خادمِ الحرمَينِ الشريفَينِ الملكِ فهدِ بن عبدالعزيز، يرحمه الله، في عام ١٤٢٠ هـ؛ تقديرًا لجهودِه في المجالِ التجاريِّ وتنميةِ أعمالِ الغرفةِ التجارية، ولمشاركتِه في المنظَّماتِ والمؤسَّساتِ الخيرية، ولما حقَّقه من فتحِ آفاقٍ استثماريةٍ عالميَّة، بتوثيقِ الصِّلاتِ بين رجالِ الأعمالِ السعوديين ونُظَرائهم الأجانبِ من مُختَلفِ بُلدانِ العالم.

ويتحدَّثُ الوالدُ عن شُعورِه حيالَ هذا الوسامِ قائلاً: «أشعرُ بالفخرِ والاعتزاز، لهذه اللفتةِ الكريمةِ من قيادةِ الدولة، وقد منحني هذا الوسامُ عزيمةً أقوى، على تقديمِ كلِّ ما أقدرُ عليه في خدمةِ ديني ووطني، والحفاظِ على سُمعةِ بلادِنا الغاليةِ، ومواصَلةِ دَفْعِ عجَلةِ التنميةِ في ميادينِ التجارةِ والصِّناعة».

جائزةُ «الجمعيةِ الإسلاميةِ المحمديةِ» باختيارِه الشخصيَّةِ الإسلاميَّةِ لعام ١٤٢٠هـ:

أسَّس هذه الجمعيةَ بطلُ العالم في المُلاكَمَةِ محمَّد علي كلاي في مدينة شيكاغو بأمريكا عام ١٩٧٥م، وكان للوالدِ تواصُلٌ دائمٌ مع الجمعية، وقد اتصلوا بالوالدِ وأخبروه أنهم منحوه جائزةَ الشخصيَّة الإسلامية عامَ ١٤٢٠هـ، وعندما زارَ محمَّد علي كلاي السعوديةَ قدَّمها له؛ تقديرًا لجهودِه.

الدكتوراه الفخريَّة في فلسَفةِ الاقتصادِ:

مُنح الوالدُ عام ١٩٩٩م، شهادةَ (دكتوراه) فخريَّةً في فلسَفةِ الاقتصادِ من جامعة (كنزنجتون) الأمريكية؛ تكريمًا له على جهودِه الكبيرةِ في تمتينِ التواصُلِ بين السعوديةِ والولاياتِ المتَّحدة الأمريكيَّة. يقول الوالد: «مُنحتُ هذه الشهادةَ؛ تقديرًا لنشاطي في مجلسِ الأعمالِ الأمريكيِّ واللجنةِ الدَّوليةِ للعلاقاتِ السعوديةِ الأمريكيَّة، وقد أُرسِلَتِ الشهادةُ إليَّ في السعودية».

الدكتوراه الفخرية في فلسَفةِ إدارةِ الأعمالِ:

يخبرنا الوالدُ عن هذه الشهادةِ بقوله: «في عام ٢٠٠٠م منحَتني جامعةُ أمريكا في ولايةِ (مونتانا) هذه الشهادةَ؛ تقديرًا لِمَا بذلتُه من خِدْماتٍ وأنشطةٍ لتعزيزِ العلاقاتِ والعملِ التجاريِّ بين أمريكا والسعودية، وقد تتبَّعوا كلَّ ما أقومُ به في الغرفةِ التجاريةِ من لقاءاتٍ وتطويرٍ تجاريٍّ واقتصاديٍّ، وعلى إثرِه قرَّرَتِ الجامعةُ مَنْحي هذه الشهادةَ التي أعتزُّ بها كثيرًا.

ومع أنني حصلتُ على شهادَتَيِ الدكتوراه المذكورتَين، أرفضُ أن أضعَ أمام اسمي لقب (دكتور)، وأنا – في الواقعِ – لم أقدِّم بحوثًا أو دراساتٍ أكاديميَّةً، ولم أدخُل فُصولاً جامعيَّة؛ لذا أفضِّلُ الاكتفاءَ باسمي: عبدالرحمن الجريسي».

شهادةُ درجةِ أستاذٍ زميلٍ في الاقتصاد:

قدَّمت جامعةُ أمريكا بولاية مونتانا الأمريكية سنةَ ٢٠٠١م هذه الشهادةَ إلى والدي، وهي كسابقاتِها؛ تقديرًا له على ما حقَّقهُ من تعزيزِ الصلاتِ التجاريةِ والاقتصاديةِ بين أمريكا والمملكة.

جائزةُ رجلِ العام ٢٠٠٤م من المعهدِ الأمريكيِّ للسِّيَرِ الذاتيَّة:

مُنحَ الوالدُ هذه الجائزةَ من المعهدِ الأمريكيِّ للسِّيَرِ الذاتيَّة، بعد رَصْدِ أنشطته في مجالاتٍ شتَّى، ودراسةِ أثرِها، وبخاصَّةٍ إنجازاتُه على صعيدِ الأعمالِ التجاريةِ المشتركةِ بين أمريكا والسعودية، ومشاركتُهُ الفاعلَةَ في تنميةِ العلاقاتِ بين الدولتَين.

وسام «جوقة ليوبولد الثاني برتبة كوماندوز»:

وهو وِسامُ بلجيكا الرفيعُ، من وليِّ عهدِ بلجيكا الأمير فيليب، منحَهُ للوالدِ في عام ٢٠٠٢م، في زيارةٍ له إلى السعوديةِ، وبعد لقائه بخادمِ الحرمَين، تفضَّلَ بزيارةِ الوالدِ في مقرِّ (مجموعةِ الجريسيّ)، ليقدِّمَ له الوسامَ بنفسِه، وهو يفتخرُ به كثيرًا، ويُعُدُّه من أحبِّ الأوسمةِ والجوائزِ إليه.

جائزةُ المؤسَّسةِ الأمريكيَّةِ العالميَّةِ لتقييم المنجَزات:

قامت المؤسَّسة الأمريكيَّة العالميَّة لتقييم المنجَزات، ومقرها في مدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا في الولايات المتَّحدَة الأمريكية بمنح الوالد جائزتها لعام ٢٠٠٠م، وكانت نتاجَ تقييم ما سعَى إلى تحقيقه، وما أنجزهُ من أعمالٍ في الغرفةِ التجاريةِ، وخصوصًا عقدَ الاجتماعاتِ الدَّوريةِ بين الجانبَين السعوديِّ والأمريكيِّ؛ لتنميةِ التبادُلِ التجاريِّ.

وسام «لَقَب ميداليةُ شرفِ الاستحقاقِ الذهبية»:

منح السيد نابوليتانو رئيس الجمهورية الإيطالية ورئيس جمعية الاستحقاق الإيطالية، الوالد وسام (لقب قائد وميدالية شرف الاستحقاق الذهبية) تقديراً لإسهاماته المتواصلة في تنمية العلاقات الاقتصادية الثنائية بين المملكة وإيطاليا وجهوده لتعزيز الروابط والتعاون البناء بين الشعبين الصديقين السعودي والإيطالي من خلال تعزيز العلاقات الاقتصادية والاستثمارية بما يُكَرِّس المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة بين البلدين.

جائزة وميدالية «ابن سينا»:

كَرَّمت اللجنة الأوربية لمنظمة الأمم المتحدة الوالد بمَنْحه جائزة ابن سينا في ديسمبر عام ٢٠٠٦ تقديرًا للجهود العظيمة والخدمات الجليلة التي يبذلها تجاه الشعوب.

وسام «ابن سينا»:

في سنة ٢٠٠٧م كرمت الأكاديمية الروسية للعلوم الاجتماعية الوالد بمنحه وسام ابن سينا تقديرًا لجهوده التي بذلها في مجالات مختلفة توزعت بين نشاطات تجارية واقتصادية وإنسانية، ووصفته الأكاديمية بالشخصية المتميزة لإسهاماته الكبيرة في تطوير العلاقات السعودية والعربية والعالمية ، كما تمَّ اختيار الوالد عضوًا في الأكاديمية الروسية للعلوم الاجتماعية بالإجماع في حفل كبير أقيم في أبريل عام ٢٠٠٧م ليكون بذلك أول شخصية تحصل على هذا الوسام من دول الشرق الأوسط والدول العربية ودول أمريكا اللاتينية .

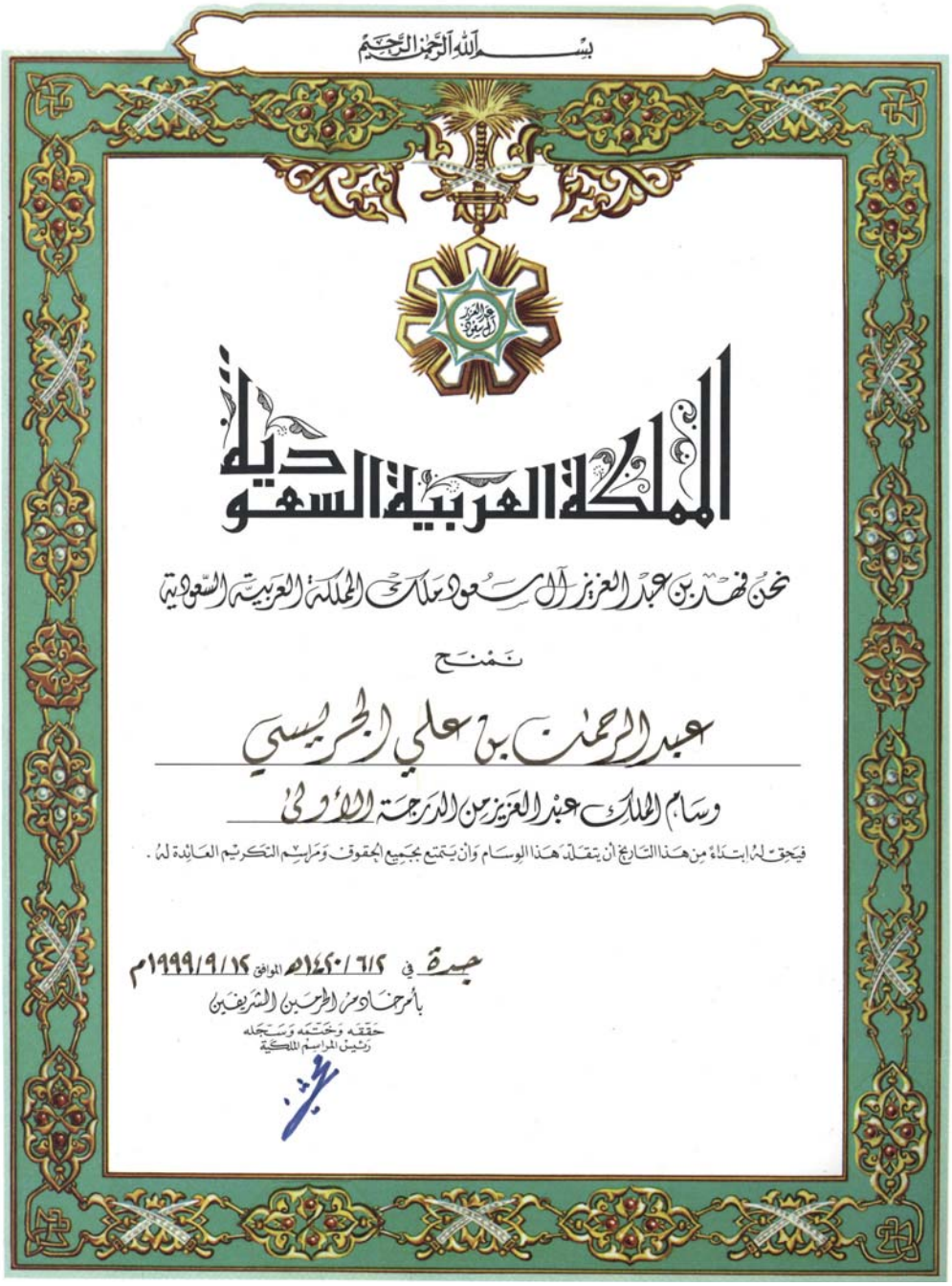

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

عبد الرحمن بن علي الجريسي

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى

فيحق له ابتداءً من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق والمراسم التكريم العائدة له.

حرر في ١٤٢٠/٦/١٢هـ الموافق ١٩٩٩/٩/١٢م

بأمر خادم الحرمين الشريفين

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

وسام الملك عبد العزيز
من الدرجة الأولى

الجريسي متقلدا وسام
الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى

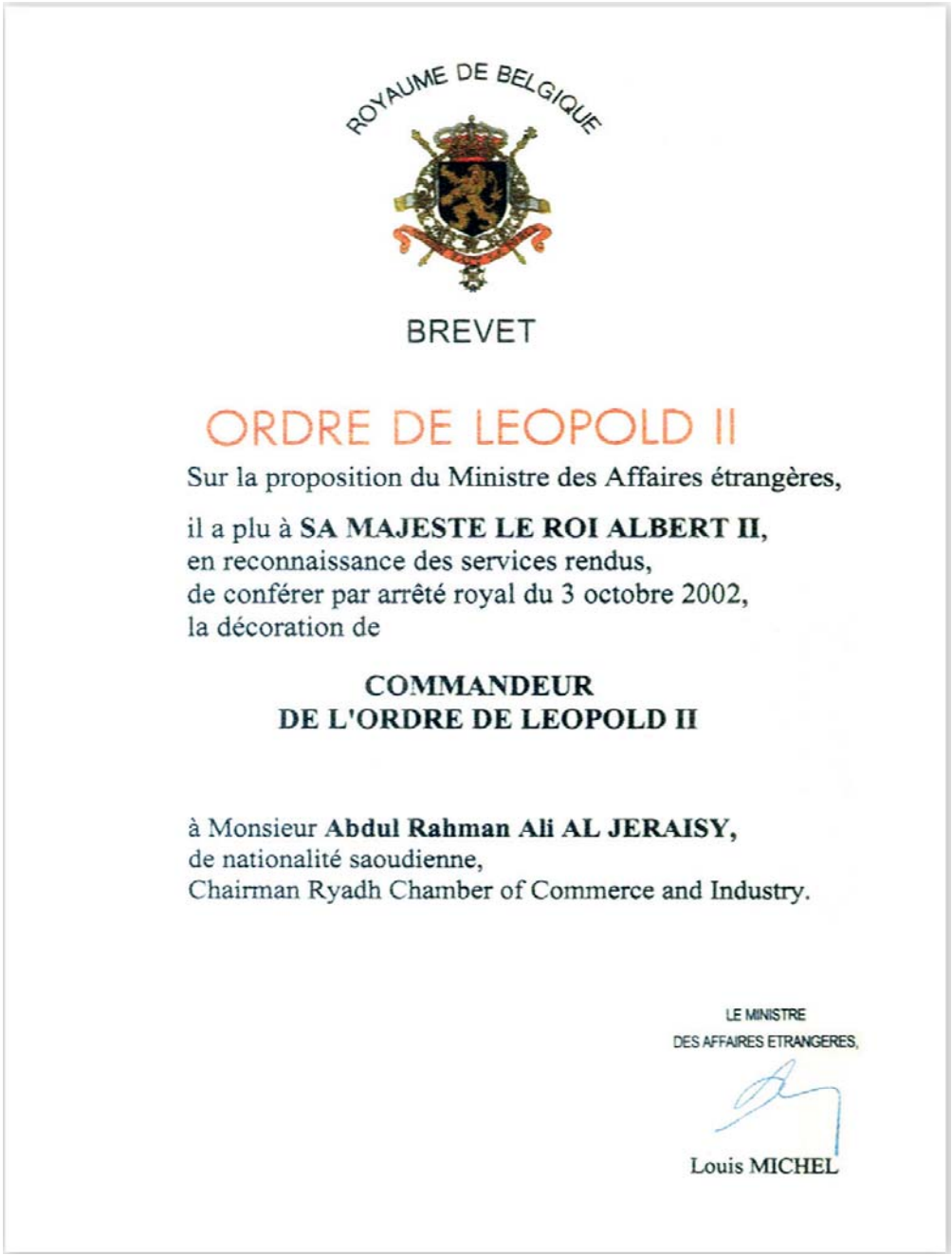

ROYAUME DE BELGIQUE

BREVET

ORDRE DE LEOPOLD II

Sur la proposition du Ministre des Affaires étrangères,

il a plu à **SA MAJESTE LE ROI ALBERT II,**
en reconnaissance des services rendus,
de conférer par arrêté royal du 3 octobre 2002,
la décoration de

COMMANDEUR
DE L'ORDRE DE LEOPOLD II

à Monsieur **Abdul Rahman Ali AL JERAISY,**
de nationalité saoudienne,
Chairman Ryadh Chamber of Commerce and Industry.

LE MINISTRE
DES AFFAIRES ETRANGERES,

Louis MICHEL

وسام «جوقة ليوبولد الثاني
برتبة «كوماندوز» ٢٠٠٢ م

الجريسي متقلدا وسام جوقة
ليوبولد الثاني

University of the Americas

Records Center: 17029 Devonshire Street, Ste. 206 • Northridge, CA 91325 • TEL: 818/898-2200 • FAX: 818/898-4001

Be It Known

Upon recommendation of the Academic Committee and in recognition of distinguished contributions to academic excellence, achievements in the discipline, and faithful service to the University and the Community, the President herewith appoints

Sheikh Abdul-Rahman bin Ali Al Jeraisy, PhD

Professor and Fellow

of

Economics

with all the rights, privileges and honors pertaining to that rank. In testimony thereof, by authority properly committed, we set our hand and seal this fifth day of February, 2001.

Thomas J. Lavin, PhD
Vice President

درجة أستاذ وزميل في الاقتصاد من جامعة أمريكا في ولاية مونتانا ٢٠٠١م

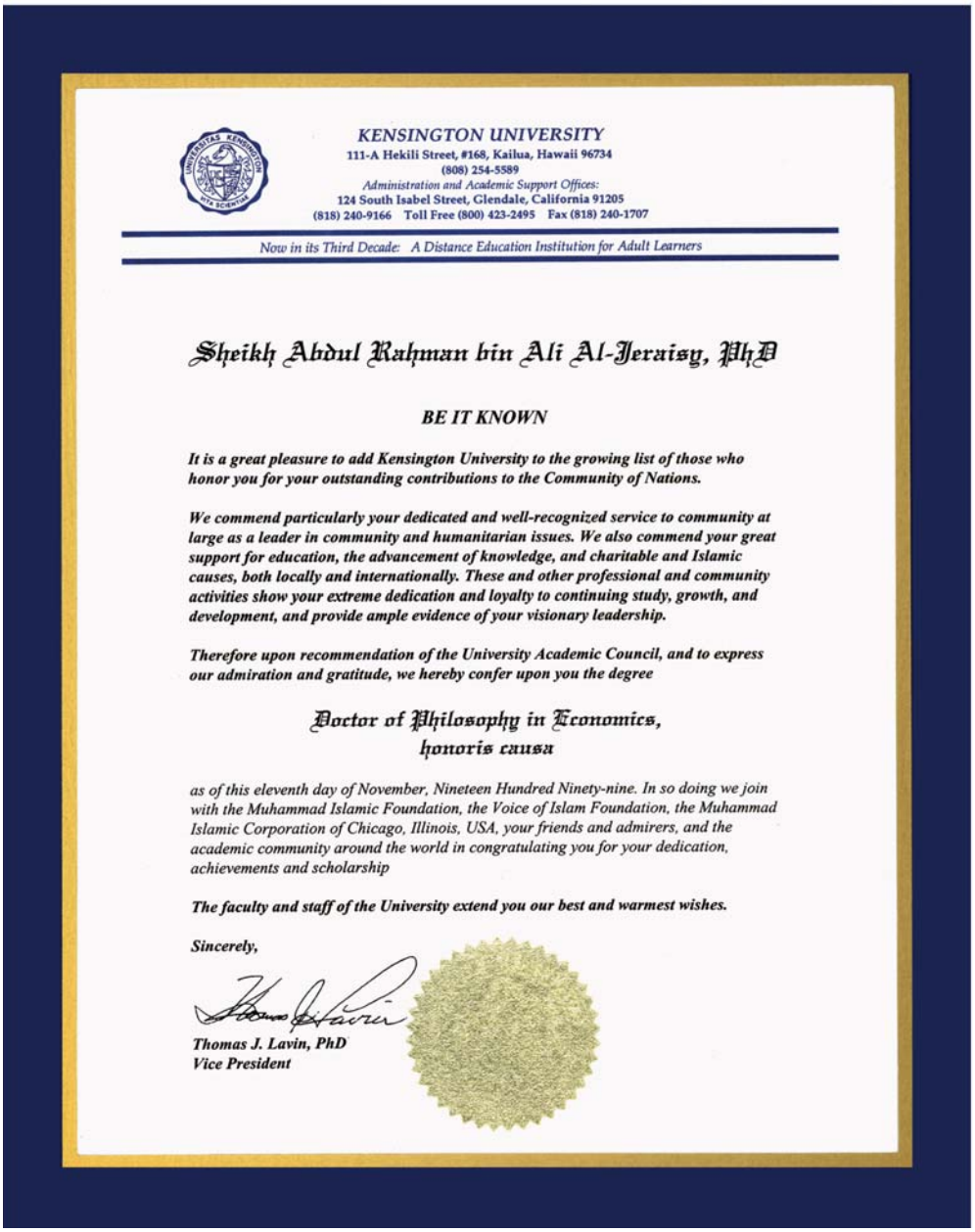

KENSINGTON UNIVERSITY
111-A Hekili Street, #168, Kailua, Hawaii 96734
(808) 254-5589
Administration and Academic Support Offices:
124 South Isabel Street, Glendale, California 91205
(818) 240-9166 Toll Free (800) 423-2495 Fax (818) 240-1707

Now in its Third Decade: A Distance Education Institution for Adult Learners

Sheikh Abdul Rahman bin Ali Al-Jeraisy, PhD

BE IT KNOWN

It is a great pleasure to add Kensington University to the growing list of those who honor you for your outstanding contributions to the Community of Nations.

We commend particularly your dedicated and well-recognized service to community at large as a leader in community and humanitarian issues. We also commend your great support for education, the advancement of knowledge, and charitable and Islamic causes, both locally and internationally. These and other professional and community activities show your extreme dedication and loyalty to continuing study, growth, and development, and provide ample evidence of your visionary leadership.

Therefore upon recommendation of the University Academic Council, and to express our admiration and gratitude, we hereby confer upon you the degree

Doctor of Philosophy in Economics,
honoris causa

as of this eleventh day of November, Nineteen Hundred Ninety-nine. In so doing we join with the Muhammad Islamic Foundation, the Voice of Islam Foundation, the Muhammad Islamic Corporation of Chicago, Illinois, USA, your friends and admirers, and the academic community around the world in congratulating you for your dedication, achievements and scholarship

The faculty and staff of the University extend you our best and warmest wishes.

Sincerely,

Thomas J. Lavin, PhD
Vice President

دكتوراه الشرف في فلسفة الاقتصاد
من جامعة كينجستون
الأمريكية ١٩٩٩

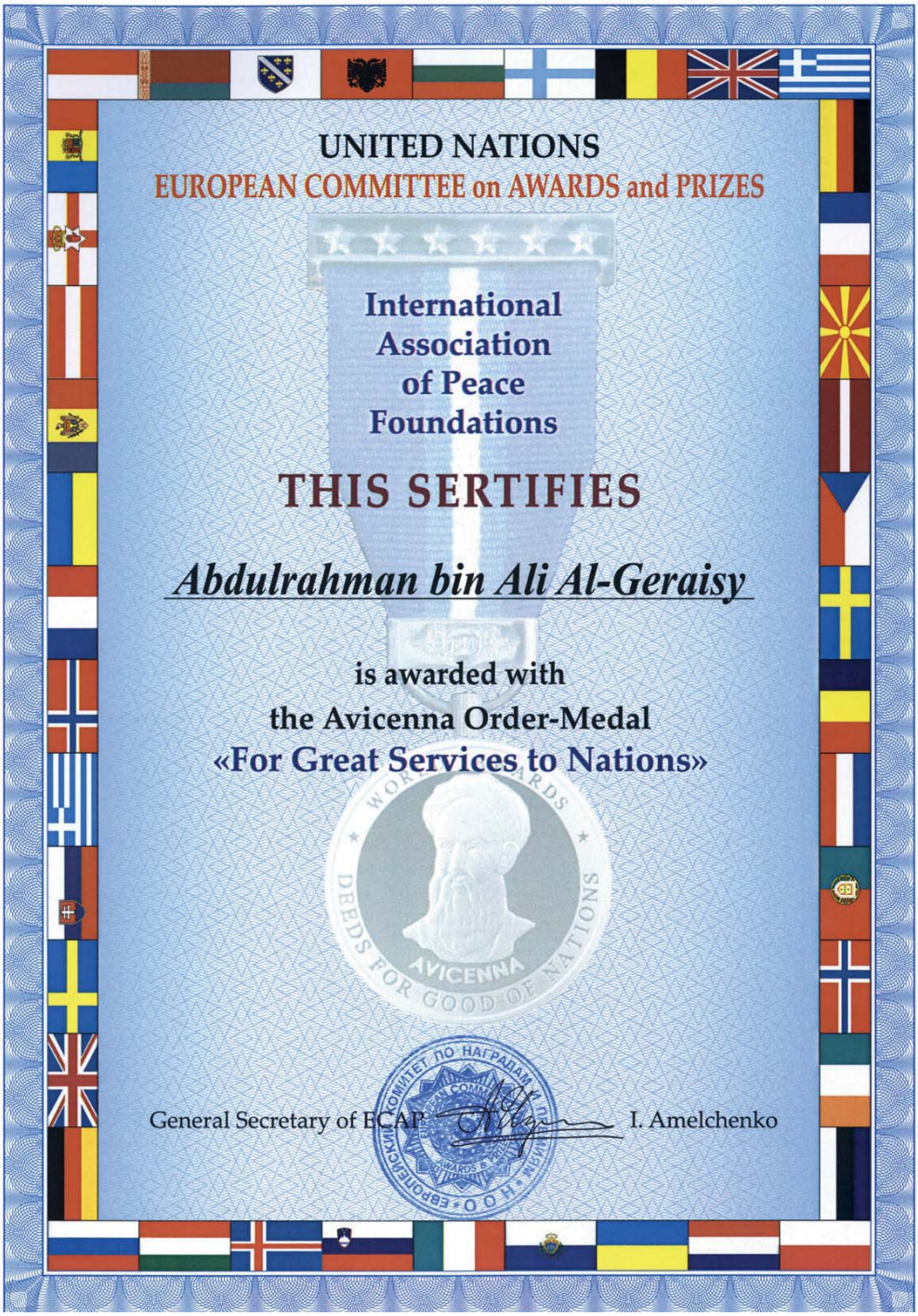

جائزة ابن سينا للمآثر العظيمة والخدمات الجليلة تجاه الشعوب من اللجنة الأوروبية لمنظمة الأمم المتحدة ديسمبر ٢٠٠٦ م

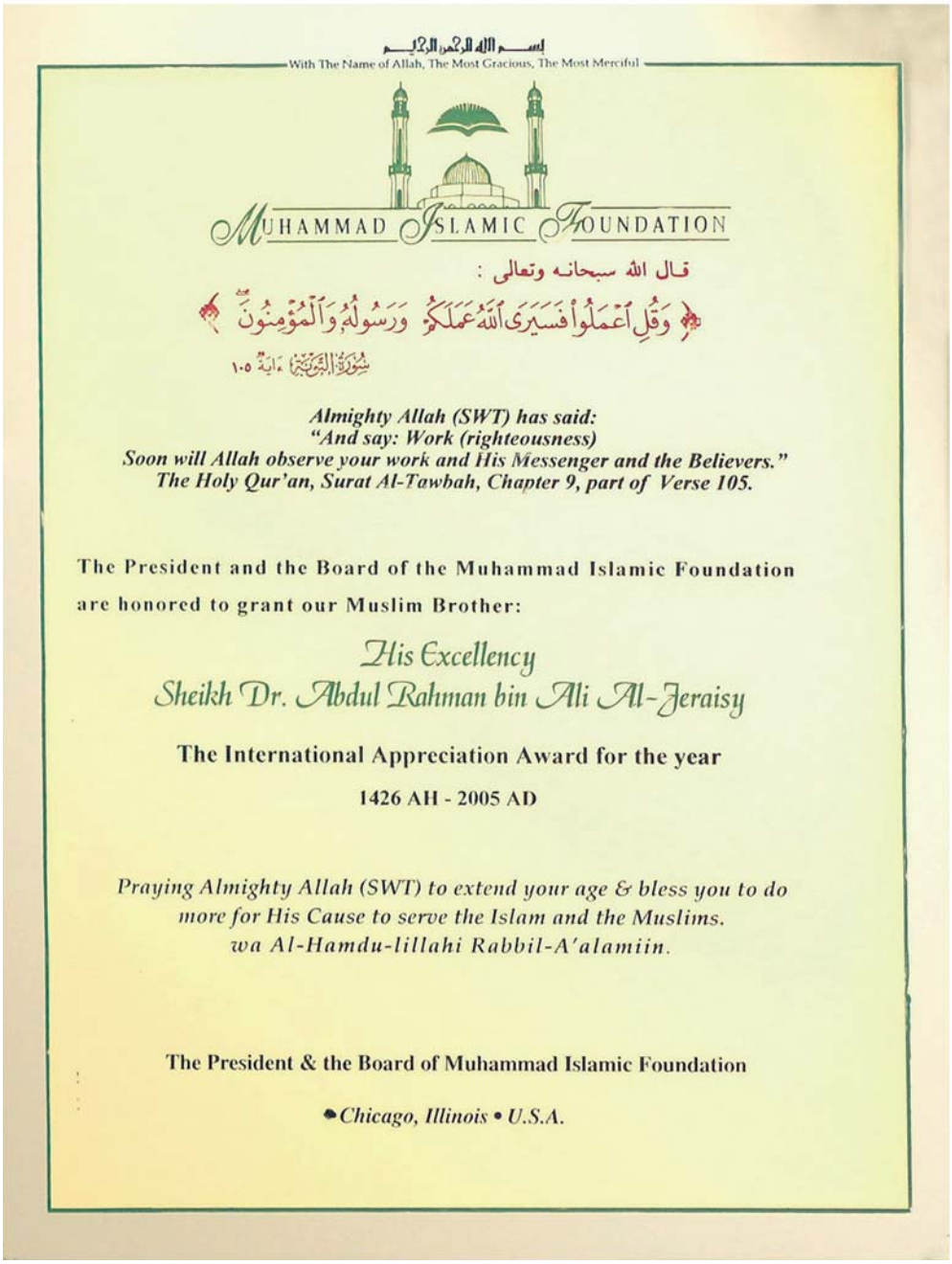

بسم الله الرحمن الرحيم
With The Name of Allah, The Most Gracious, The Most Merciful

MUHAMMAD ISLAMIC FOUNDATION

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾

سُورَةُ التَّوۡبَةِ، ءَايَةٌ ١٠٥

Almighty Allah (SWT) has said:
"And say: Work (righteousness)
Soon will Allah observe your work and His Messenger and the Believers."
The Holy Qur'an, Surat Al-Tawbah, Chapter 9, part of Verse 105.

The President and the Board of the Muhammad Islamic Foundation
are honored to grant our Muslim Brother:

His Excellency
Sheikh Dr. Abdul Rahman bin Ali Al-Jeraisy

The International Appreciation Award for the year

1426 AH - 2005 AD

Praying Almighty Allah (SWT) to extend your age & bless you to do more for His Cause to serve the Islam and the Muslims.
wa Al-Hamdu-lillahi Rabbil-A'alamiin.

The President & the Board of Muhammad Islamic Foundation

Chicago, Illinois • U.S.A.

جائزة الجمعية الإسلامية المحمدية
الشخصية الإسلامية لعام ١٤٢٠هـ

日本国天皇はサウジアラビア国人
アブドゥルラフマンアリアルジュレイシに
旭日重光章を贈与する
皇居において璽をおさせる
御璽
平成二十年十一月三日
内閣総理大臣
内閣府賞勲局長
第一二一〇九号

الوسام الياباني الذي قلده
رئيس وزراء اليابان للجريسي
نيابة عن الإمبراطور

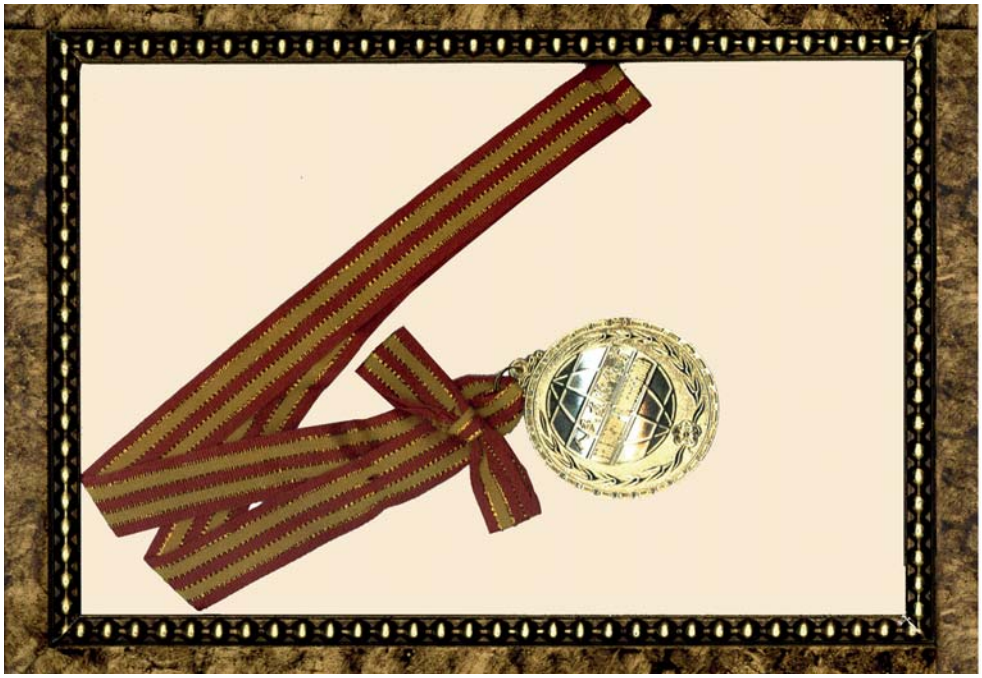

وسام سفير الصداقة الأهلية
من جمعية الصداقة بين
الشعب الصيني وشعوب
العالم ، مايو ٢٠٠٨ م

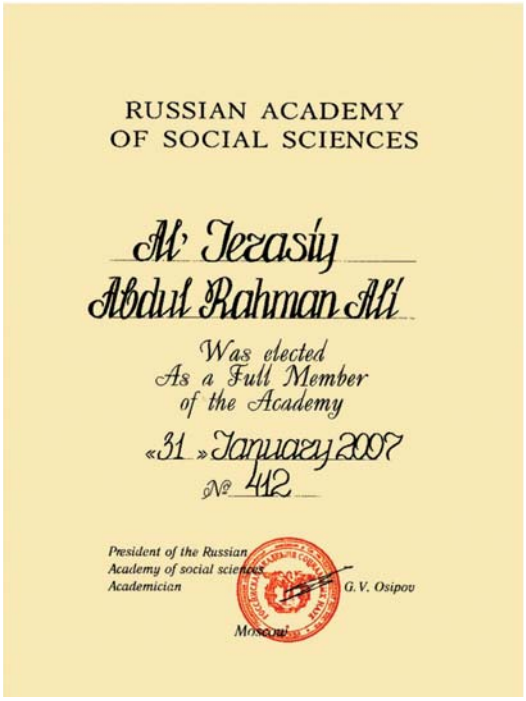

RUSSIAN ACADEMY
OF SOCIAL SCIENCES

Al' Jezasiy
Abdul Rahman Ali

Was elected
As a Full Member
of the Academy

«31» January 2007

№ 412

President of the Russian
Academy of social sciences
Academician G.V. Osipov

Moscow

دكتوراه بدرجة بروفيسور
من الأكاديمية الروسية للعلوم
الاجتماعية موسكو ٢٠٠٧

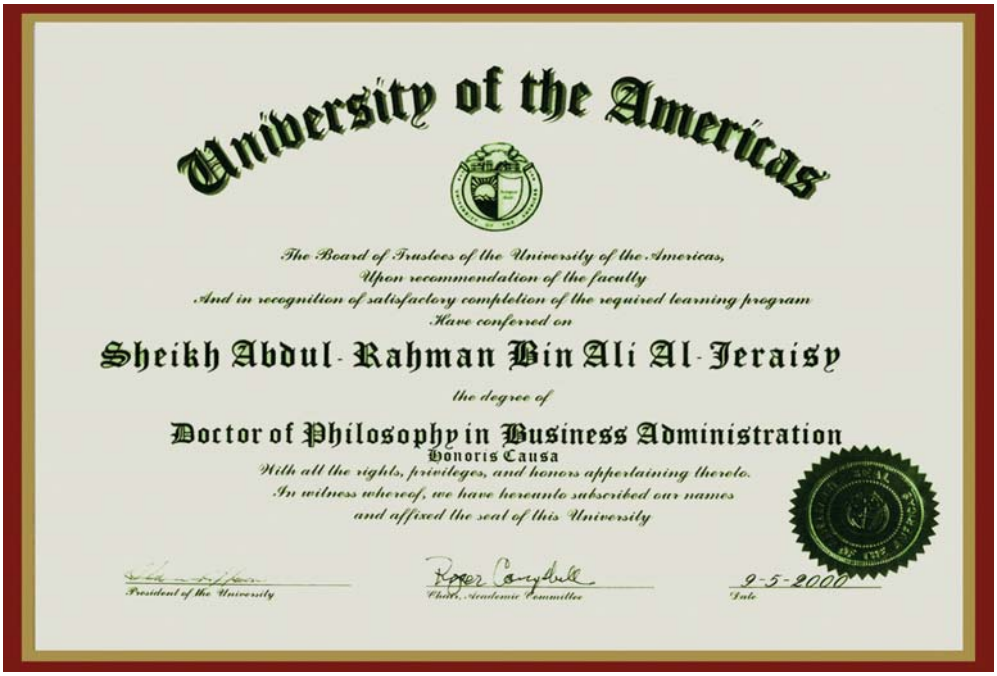

University of the Americas

The Board of Trustees of the University of the Americas,
Upon recommendation of the faculty
And in recognition of satisfactory completion of the required learning program
Have conferred on

Sheikh Abdul-Rahman Bin Ali Al-Jeraisy

the degree of

Doctor of Philosophy in Business Administration
Honoris Causa

With all the rights, privileges, and honors appertaining thereto.
In witness whereof, we have hereunto subscribed our names
and affixed the seal of this University

President of the University

Roger Campbell
Chair, Academic Committee

9-5-2000
Date

دكتوراه الشرف
من الجامعة الامريكية

الفصل العاشر

آراء ومواقف.. إضاءة للجيل

يضمُّ هذا الفصلُ طائفةً من آراءِ الوالدِ – حفظه اللهُ – ومواقفِه في بعضِ القضايا، مُستَقاةً من تجرِبَتِه الثرَّةِ في الحياةِ الإداريةِ الاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ، وسوف أقدِّمُ هذه الآراءَ والمواقفَ باختيارِ مقاطعَ وفقراتٍ من المقالاتِ التي كتبَها الوالدُ، وبإيرادِ اللقاءاتِ الصحفيَّةَ والتِّلفازيَّةَ التي أُجرِيَتْ معه في مناسباتٍ كثيرةٍ. وإنني إذْ أعيدُ نشرَ بعضِها هنا – وبخاصَّةٍ ما يتعلَّقُ بالاقتصادِ والتجارةِ والتجرِبةِ الإداريةِ – لآمُلُ أن تكونَ إضاءاتٍ يستنيرُ بها جيلُنا الحاضِر، والأجيالُ الآتيةُ بعدَنا.

الإدارَة

إن من أبرزِ ما يميِّزُ الإنسانَ عن كثيرٍ من المخلوقاتِ: أنه كائنٌ اجتماعيٌّ، بمعنى أنه لا غنى له عن العيشِ مع الجماعةِ، وعن الجهدِ المشتركِ لتسهيلِ أمورِ مَعيشَته. وتُعَدُّ الإدارةُ وسيلةً مهمةً لتنظيمِ الجهودِ الجماعيةِ، ومن هنا كانت حاجةُ الإنسانِ للإدارةِ، ومن هنا أيضًا أصبحت الإدارةُ ذاتَ أهميةٍ بالغةٍ بالنسبةِ للفردِ، وللجماعةِ عندَ سعيِها لسدِّ حاجاتِها، وتحقيقِ غاياتِها؛ فالإدارةُ تؤدِّي دورَ العنصرِ الفعَّالِ الذي يتغلغَلُ في جميعِ أوجُهِ النشاطِ الإنسانيِّ، ويحتاجُ إليها الفردُ كما تحتاجُ إليها المنشأةُ؛ فالفردُ يطلبُها لتسييرِ أمورِه وأمورِ أسرتِه، والمنشأةُ لتسييرِ أمورِها الإنتاجيةِ والتسويقيةِ، والماليةِ والشِّرائيةِ، وغيرِ ذلك من أوجُهِ النشاطِ اللازمةِ لاستمراريةِ العملِ.

لا تتوقفُ حاجةُ المنشأةِ إلى الإدارةِ على شكلِ المنشأةِ أو طَبيعتِها أو حَجمِها؛ لأن الإدارةَ عمليةٌ جوهريةٌ للمنشأةِ، سواءٌ كانتْ تلكَ المنشأةُ صغيرةً أم كبيرةً، تجاريةً أم صناعيةً أم زراعيةً، وسواءٌ كانت منشأةَ خدْماتٍ، أم شركةً، أم مشروعًا فرديًّا، أم مدرسةً، أم مزرعةً، أم جمعيةً خيريةً، فالإدارةُ تطبَّقُ في جميعِ أوجهِ النشاطِ الإنسانيِّ.

ويُعَدُّ حسنُ الإدارةِ وكَفاءَتُها من الخصائصِ المهمَّةِ التي تمتازُ بها المجتمعاتُ المتقدِّمةُ صناعيًّا عن المجتمعاتِ النامية، وقد تقدَّمتِ اليابانُ – مثلاً – بكَفاءةِ الإدارةِ وحسنِ استغلالِ الموارد المتاحة، فاليابانُ بلدٌ لا يمتلكُ الثرَواتِ الطبيعيةَ، وإنما يمتلكُ الكَفاءة في الإدارةِ، بحيثُ ترجَمتِ التجربةُ اليابانيةُ الإدارةَ بوصفِها إحدى الثرَواتِ غيرِ الملموسة، وأصبحَتْ تعدُّها عنصرًا مهمًّا من عناصرِ الإنتاجِ، بل عنصرًا منشِّطًا وحافزًا مؤثِّرًا، بحيثُ يمكنُ النظرُ إلى عناصرِ الإنتاجِ على أنها أربعةٌ، منها ثلاثةٌ ماديةٌ، وهي: القُوى البشريةُ، ورأسُ المالِ، والأرضُ، أما الرابعُ فعنصُرٌ غيرُ ماديٍّ وغيرُ مَلموسٍ، وهو الإدارةُ، وهذا العنصرُ يعملُ على تفاعُلِ العناصرِ الإنتاجيةِ الماديةِ الأخرى؛ لينتجَ عنها ما هو مطلوبٌ من سِلَعٍ وخِدْماتٍ، بأقلِّ ما يمكنُ من الجهدِ والتكاليفِ؛ أي: بكَفاءةٍ وفاعليةٍ إنتاجيةٍ عاليةٍ.

ويقعُ على عاتقِ الإدارةِ أمرٌ مهمٌّ، أُوليهِ شخصيًّا عنايتي، وأمنحُه قَدْرًا كبيرًا من وقتي؛ لأنه يحقِّقُ الكثيرَ في المستقبلِ، ويُلقي عن كاهلي احتمالَ مواجهةِ المفاجآتِ، وهذا الأمرُ هو وضعُ الموظَّفِ في العملِ الذي يُناسبُ مؤهِّلاتِه وخبراتِه وقُدراتِه، وهذا ما يعبَّرُ عنه بـ: (وضعِ الرجلِ المناسبِ في المكانِ المناسبِ).

أهتمُّ كثيرًا بإعطاءِ الثقةِ للأشخاصِ الذين يعملونَ لديَّ، مع مُتابعَتي المستمرَّةِ لإنتاجِهم. ومما لاشكَّ فيه: أنه إذا كان إنتاجُ أيٍّ منهم يُواكِبُ ما أَنشُدُهُ منه، فإنني أستمرُّ في منحِه تلك الثقةَ.

وغالبًا – ولله الحمدُ – أجدُ أنني أصَبتُ في اختيارِ الأشخاصِ الذين أمنحُهُم الثقةَ، وفي بعضِ الأحيانِ لا يُخالِفُني التوفيقُ في اختيارِ الشخصِ المناسبِ، وذلك ما يضطرُّني إلى التدخُّلِ لتدارُكِ ما يمكنُ تداركُهُ؛ للحدِّ من الأضرارِ التي قد تنتجُ من جرَّاءِ ذلك.

وعمومًا، أعتمدُ في إدارةِ أعمالي على اللامَركزيةِ، ولا سيَّما إذا كانتِ الإداراتُ القائمةُ على تسييرِ أعمالِ المؤسَّساتِ والشَّركاتِ في المجموعةِ: من الكَفاءاتِ الإداريةِ الجيدةِ، التي اختيرَت بدقَّةٍ وموضوعيَّةٍ، فأمنحُهُم الثقةَ، وأتابعُ وأراقبُ عن طريقِ الاطِّلاعِ على التقاريرِ الأسبوعيةِ والشهريةِ المتعلقةِ بالأشخاصِ الذين يعملونَ معي، والنتائجُ في نهايةِ كلِّ سنةٍ تكشفُ حقيقةَ الواقعِ.

إن الإدارةَ الناجحةَ قوةٌ غيرُ مرئيةٍ؛ بمعنى: أنها فنُّ استخدامِ الأسسِ العلميةِ في الإدارةِ، وهذا أمرٌ ربما لا يكونُ متوافرًا لدى الجميعِ؛ إذْ هو ابتداءً هبةٌ من اللهِ تعالى، ثم يقومُ الإنسانُ بتنميتِه بإتقانِ علمِ الإدارةِ، ثم يَصْقُلُهُ بالمِراسِ والتجربةِ الطويلةِ، ومع ذلك كلِّه فإن مقياسَ نجاحِ الإدارةِ يكون بما يترتَّبُ عليها عمليًّا من نتائجَ إيجابًا أو سلبًا.

عليه أقولُ: إن لسوءِ الإدارةِ مظاهرَ:

– منها الاستهانةُ بالمنافسينَ؛ وهذا قد يتيحُ لهم فرصةَ الاستيلاءِ على أجزاءٍ من سوقِ المنشأةِ، ويُستدَلُّ عليه عمليًّا بهبوطِ نسبةِ مبيعاتِ منتجاتِ المنشأةِ، لصالحِ المنشآتِ المنافسَةِ.

– ومنها اقتراضُ الأموالِ دونَ التخطيطِ للوفاءِ بها، فتقعُ المنشأةُ في مُشكلةِ العُسرِ الماليِّ، أو عدمِ القُدرةِ على السدادِ في موعدِ الاستحقاقِ؛ وهذا يَضُرُّ بسُمعتِها الائتمانيةِ، ويجعلُ الدائنينَ يتشدَّدونَ في طلبِ الضَّماناتِ عندَ الإقدامِ على إقراضِها مرةً أخرى.

– ومنها التوسُّعُ دونَ خبرةٍ، أو دراسةٍ كافيةٍ، وعدمُ الاحتفاظِ بسِجلَّاتٍ كاملةٍ دقيقةٍ، وسوءُ اختيارِ العاملين، أو عدمُ وضعِهم في الوظائفِ التي تناسبُ قدراتِهم.

– ومنها التساهلُ في منحِ الائتمانِ، أو التراخي في تحصيلِ الدُّيونِ التي للمنشأةِ؛ وهذا يجعلُ أموالَها تتجمَّدُ على شكلِ ذِمَمٍ مَدينَةٍ، أو يتحوَّلُ بعضُها إلى ديونٍ هالكةٍ.

وأودُّ في هذا المجالِ أن أُلْمِحَ إلى أمرٍ مهمٍّ قد يغيبُ عن أذهانِ البعضِ، وهو أن الإدارةَ مع كونِها فكرًا وممارسةً؛ يمكنُ تحديدُ سرِّ نجاحِها بمدى القُربِ من الثقافةِ والتُّراثِ الاجتماعيِّ، بحيثُ يصبحُ للعملِ الإداريِّ مصدرٌ يتَّسِمُ بالأصالةِ والرِّيادةِ. وأسوقُ هذه الفكرةَ لأنَ التفكيرَ في المستقبلِ قد أصبح هو الشغلَ الشاغلَ للقياداتِ وصُنَّاعِ القرارِ في القِطاعاتِ الاقتصاديةِ، وإن مواكبةَ المستجدَّاتِ العالميةِ قد فرضَت على الجميعِ

مستوًى خاصًّا من الأداء، وتُعَدُّ الإدارةُ إحدى الآليَّات الفاعلة التي يقعُ على عاتقها وضعُ استراتيجيَّات التطوير والتحديث، بوصفها الإطارَ المهيمنَ على مُجرَيات العمل.

ويترتَّبُ عليها أيضًا إنجازُ كلِّ الطُّموحات والآمال الكُبرى؛ فهي القادرةُ على تحويل النظريات إلى تطبيق فعليٍّ على أرض الواقع، ولكن هذه الحيثيَّات التي يدورُ في فَلَكها مجملُ العمل الإداريِّ تجعَلُنا نبحَثُ في كيفية وضع آليَّات محدَّدة – ليست بعيدةً عن تُراثنا وثقافتنا وتقاليدنا – نستطيعُ بها تحقيقَ النجاح المأمول، وتُمكِّنُنا من تحقيق أهدافنا وطُموحاتنا؛ حتى يستمرَّ عملُنا، وتكونَ له أصالتُهُ وريادتُهُ في كلِّ المجالات.

لا نريدُ استخدامَ الإدارة من أجل البناء والعلوِّ فقط؛ لأن بناءَنا سيظهَرُ عندئذ بناءً ماديًّا لا روحَ فيه، ولا استمرارَ له، وحين يرتبطُ عملُنا الإداريُّ بمفاهيمنا الثقافية، فإن عملَنا سيظهرُ معبِّرًا عن شخصيَّتنا المتميِّزة، وسيُعطي شكلاً مستقلاً، ويحقِّقُ هدفًا مأمولاً، أسعى جاهدًا للتوصُّل إليه، وهو إبرازُ و(بلوَرَةُ) ما يُسمَّى (الإدارةَ العربيةَ)، أسلوبًا وطريقةً ومنهجًا.

الجريسي مع رئيس جمهورية تركمانستان و الوفد المرافق له في اجتماع بالغرفة التجارية في الرياض

عَمَلُ المرأة

تمثِّلُ المرأةُ السعوديةُ ركيزةً أساسيةً في المجتمع، بوصفها عُنصرًا رئيسًا للموارد البشرية، تصلُ نسبتُهُ إلى ما يقاربُ نصفَ عدد السكَّان السعوديينَ. ونحنُ في دول مجلس التعاون نعاني نقصًا في اليد العاملة، ونحتاجُ إلى مشاركة المرأة في العمل أكثرَ من غيرنا من البلدان؛ ولهذا اهتمَّت الدولةُ بتوفير كلِّ الفرص للمرأة لتشاركَ في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وأعطَتْها حقَّ ممارسة الاستثمار في كلِّ الأنشطة الاقتصادية، في إطار القواعد والأنظمة المتَّبعَة النابعة من شريعَتنا الإسلامية السَّمحة، ووَفْقَ ما تقضي به تقاليدُنا وعاداتُنا الأصيلةُ، وما تقتضيه طبيعةُ المرأة وقدراتُها وتطلُّعاتُها؛ لتكونَ مفيدةً وعاملةً في مجتمعنا، دون أن نعرِّضَها لأيِّ مخالفات لِمَا نؤمنُ به ونعتقدُه، ولتعملَ المرأةُ في مكانٍ يحفَظُ لها قيمتَها وكرامتَها وأخلاقَها ودينَها.

وهنا أودُّ أن أُورِدَ موقفًا حصلَ لنا في أثناء زيارة قام بها وفدٌ من رجال الأعمال السعوديينَ وبعض أعضاء مجلس الشُّورى والإعلاميين إلى فرنسا، بعدَ أحداث الحاديَ عشرَ من سبتمبر، وقد كانت المملكَةُ آنذاك مستهدَفةً إعلاميًّا؛ قام أحدُ المتحدِّثينَ، وكان اسمُهُ: مسيو (بسبوس)، وهاجم المملكةَ، وقال: إن المملكةَ العربيةَ السعوديةَ هي سببُ الإرهاب؛ بسبب الدِّين الوهابيِّ، وإن المرأةَ السعوديةَ مهمَّشةٌ، وليس لها دورٌ في الحياة، قابعةٌ في البيت، مسلوبةُ الحقوق من قِبَل الرجل، واستطردَ إلى كلام آخرَ قاس جدًّا، أشعَرَنا جميعًا بالحَنَق والغَضَب؛ لكن كان يجبُ الردُّ بأسلوب مُقنع، يبيِّنُ مستوانا الحضاريَّ، ويُظهرُ الحقيقةَ التي تغيبُ عن الكثيرينَ؛ بسبب غياب الدور الفاعل للإعلام العربيِّ عامةً، فيما يتعلقُ بإبراز الوجه الحقيقيِّ للإسلام، ودور المرأة العربية المسلمة في عملية البناء، والوجود الفعليِّ في هذا البناء.

أعودُ إلى مداخلة مسيو (بسبوس)، فقد طلبتُ الردَّ عليه، وبدأتُ كلامي بقولي: إن مسيو (بسبوس) إما جاهلٌ بالإسلام وبوضع المملكة العربية السعودية، أو مكلَّفٌ بالإساءة للإسلام وللمملكة! إذْ ليس في المملكة دينٌ اسمُهُ الدينُ الوهابيُّ، فالدينُ في المملكة هو الإسلامُ، إلا إذا كان مسيو (بسبوس) يقصدُ الشيخَ محمدَ بنَ عبد الوهَّاب، فالشيخُ عالمٌ جاء من القرية إلى المدينة، ووجَدَنا نمارسُ الدينَ الإسلاميَّ على نحوٍ خاطئٍ، فصحَّحَ لنا ذلك، فقال: من الخطأ أيها المسلمونَ، أن تتقرَّبوا إلى الله بتقديس الشجر والحجر، بل اعبُدوا الله خالقَ الشجر والحجر، فأعادنا بدعوته إلى الدين الإسلاميِّ الصحيح، إلا إذا كنتم أيها الفرنسيونَ، لو جاءكم مسيو فرانسوا من الجبل إلى باريس، ووجدكم تتكلَّمونَ الفرنسيةَ على نحوٍ خاطئٍ، فتقولون: (نانَنْت)؛ أي: تسعُون، بدلاً من (كاترو فان ديس)، وصحَّح لكم ذلك، فهل تقبلونَ منه أو لا؟! لقد جاء بالشيءِ الصحيح، وصحَّح الخطأ، والعقلُ يحكمُ بوجوب قَبول الحقِّ، أليس كذلك؟!

أما موضوعُ تهميشِ المرأةِ في السعوديةِ وسَلبِ حقوقِها، فسأذكرُ لكم بعضَ الحقائقِ التي تميِّزُ المرأةَ السعوديةَ، وإذا لم ترغَبْ بعد ذلك السيداتُ الحاضراتُ في القاعةِ في أن يكُنَّ سعوديات، فأنا مخطئٌ:

– المرأةُ في المملكةِ تمثِّلُ ٣٨٪ من موظَّفي الدولةِ، في حين تشكِّلُ في فرنسا وأمريكا ٩٪ فقط، وفي اليابانِ ٣,٥٪؛ وذلك لأن للمرأةِ عندنا قِطاعًا خاصًّا بها، لا ينافسُها الرجلُ فيه.

– تتقاضى المرأةُ راتبًا شهريًّا مُساويًا تمامًا لراتبِ الرجلِ، وهذا غيرُ حاصلٍ في أمريكا وأوروبا عامةً؛ إذْ راتبُ المرأةِ يُراوِحُ عندهم ما بين ٥٠– ٦٠٪ من راتبِ الرجلِ.

– تحصُلُ المرأةُ عندنا على ضِعفِ ما يحصُلُ عليه الرجلُ من الإجازاتِ الرسميَّةِ.

– بموجبِ التنظيمِ الإسلاميِّ، تَبقى المرأةُ محافظةً على اسمِها، ولا تنسَلخُ من الخريطةِ الاجتماعيةِ بعدَ زواجِها؛ بل تبقى منتسبةً إلى أبيها وأسرتِها، (فلانةَ بنتَ فلانٍ آل كذا)، وهذا خلافَ ما يحدث غالبًا عندكم من انتساب المرأة إلى عائلة زوجها.

– تمتلكُ المرأةُ السعوديةُ ٧٠٪ من المدَّخراتِ في المصارفِ، في مقابلِ ٣٠٪ للرجلِ، والسببُ في ذلك أن التشريعَ الإسلاميَّ يكلِّفُ الرجلَ – وليس كرمًا من الرجلِ – أن ينفقَ على ابنتِه منذُ ولادتِها، وإذا تزوَّجت كلِّفَ الزوجُ ذلك، حتى وإن كان راتبُها مئةَ ألفٍ؛ ولا تُلزَمُ البتَّةَ بالإنفاقِ على الأسرةِ إلا إذا اختارت ذلك عن طيبِ خاطرٍ منها.

وهَممتُ أن أتابعَ، فإذا بي أسمعُ صوتَ إحدى الحاضراتِ تقولُ: «يا ليتَ لنا ما للمرأةِ السعوديةِ!»، وصفَّق الجميعُ.

ثم قلتُ للحضورِ: على كلِّ حال، مهما حصَّلْنا من تفوُّقٍ أو إنجازٍ، فنحنُ نسعى لطموحٍ أكبرَ، خصوصًا أن المرأةَ السعوديةَ قد اكتسبَتْ قَدْرًا كبيرًا من الثقافةِ والخبرةِ بأمورِ الحياةِ، تجعلُها حريصةً على كيانِها في أُسرتِها زوجةً وأمًّا. إن استقرارَ الأسرةِ عاملٌ أساسٌ في نجاحِ الفردِ في مشروعِه أو عملِه، رجلاً كان أو امرأةً، وقد شهد التاريخُ الإسلاميُّ منذُ بدءِ الدعوةِ حتى وقتِنا الحاضرِ نماذجَ مضيئةً للمرأةِ الناجحةِ في عملِها واستقرارِ أسرتِها، وتأتي في مقدِّمةِ هذه النماذجِ زوجُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم السيدةُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ، رضي الله عنها.

إن سيِّداتِ الأعمالِ قد استطعْنَ في بعضِ المجالاتِ الاستثماريةِ أن يتفوَّقْنَ على نظرائهنَّ من الرجالِ، ويُثَبِّتنَ أقدامَهنَّ بكلِّ اقتدارٍ في مُختَلفِ الأنشطةِ: التجاريةِ والصناعيةِ، والزراعيةِ والمقاولاتِ، ويكفي للدَّلالةِ على ذلك أن أذكِّرَ بأن قِطاعَ المقاولاتِ يُعَدُّ الأكثرَ استحواذًا واهتمامًا من قِبَلِ سيِّداتِ الأعمالِ السعودياتِ في السنواتِ الماضيةِ.

عليه أقولُ: إن أي دعوة إلى إغلاقِ الأبوابِ في وجهِ المرأةِ السعوديةِ وحرمانَها من المشاركةِ في تنميةِ البلدِ، هو إغلاقٌ للأبوابِ في وجهِ نصفِ المجتمعِ، وتفويتٌ للفرصةِ علينا في سُرعةِ البناءِ، ولا سيَّما أنَ الوقتَ ليس في صالحِنا، مع ما نراهُ من تقدُّمٍ سريعٍ في المجالاتِ كافَّةً. وبإغلاقِ الأبوابِ، قد تنعدمُ الفائدةُ من التخصُّصاتِ الجامعيةِ التي لا تُعدُّ الفتاةَ إعداداً متكاملاً؛ لكي تقومَ بدورٍ فعَّالٍ في المشاركةِ في التنميةِ الوطنيةِ، وأقولُ هذا عن تجربةٍ شخصيةٍ تتعلقُ ببناتي؛ فقد عملتُ – ولله الحمدُ – على تهيئتهنَّ لأداءِ دورٍ فاعلٍ في المجتمعِ، حيث تعملُ إحداهُنَّ في مركزٍ قياديٍّ في الدولةِ، وتعملُ الأخرى في مجالِ التدريبِ على التِّقنيَّاتِ، وهما مجالانِ من مجالاتٍ كثيرةٍ تأخُذُ في الحُسبانِ الدورَ الاجتماعيَّ للمرأةِ في عمليةِ التنميةِ، ولا تتعارضُ مع صيانةِ كرامَتِها والمحافظةِ على أخلاقِها.

لذا؛ أؤكِّدُ هنا على أهميَّةِ التنسيقِ بين الجامعاتِ السعوديةِ من جهةٍ، وبين مُختَلفِ أجهزةِ القطاعِ الخاصِّ وشركاتِه؛ إذْ إن هذا التنسيقَ سيعملُ على حصرِ كلِّ الخَريجاتِ، ومعرفةِ كلِ الوظائفِ النسائيةِ المتاحةِ، وحاجةِ شركاتِ القطاعِ الخاصِّ؛ لتوظيفِ أكبرِ عددٍ منهنَّ. وهذا التنسيقُ قد يدفعُ بالجامعاتِ السعوديةِ إلى العنايةِ بالتخصُّصاتِ التي يحتاجُ إليها المجتمعُ، فتستطيعُ الفتاةُ السعوديةُ الجامعيةُ تحديدَ نوعِ التخصُّصِ الذي تدرُسُهُ؛ بناءً على مدى حاجةِ المجتمعِ إليه.

وإنني لأتوجَّهُ بالنداءِ لشركاتِ القطاعِ الخاصِّ؛ للاستفادةِ من القُدراتِ والمؤهِّلاتِ المتوافرَةِ لدى الفتاةِ السعوديةِ، في مُختَلفِ التخصُّصاتِ الإداريةِ والماليةِ والاقتصاديةِ، ضمنَ الضوابطِ الشرعيةِ، التي لا بدَّ أن نُصِرَّ عليها؛ لكونِها الواقيةَ من متاهاتٍ نحرِصُ جميعًا على عدمِ الدخولِ فيها.

الاستثمارُ الأجنبيُّ

تنبعُ أهميةُ الاستثمارِ بالمملكةِ من كونِه أحدَ الركائزِ المهمَّةِ التي تَنشُدُها حكومتُنا الرشيدةُ؛ لتحقيقِ المزيدِ من التقدُّمِ والبناءِ، في ظلِّ التنافُسِ المتصاعدِ بين دولِ العالمِ في العقدَينِ الماضيَينِ؛ وذلك للمُحافَظةِ على رؤوسِ الأموالِ الوطنيةِ من النزوحِ إلى الخارجِ، ولاستقطابِ مزيدٍ من الاستثماراتِ الوطنيةِ والأجنبيةِ؛ للإسهامِ في تعزيزِ مسيرةِ التنميةِ في بلدِنا.

وفي ظلِّ التنافُسِ المحمومِ بين الدولِ في سبيلِ كسبِ المزيدِ من الاستثماراتِ الأجنبيةِ، فإن من المهمِّ جدًّا تأكيدُ الحاجةِ الماسَّةِ إلى مواصَلةِ تطويرِ البيئةِ والمناخِ الاستثماريِّ في المملكةِ، وجَعلُهُ أكثرَ جذبًا لرؤوسِ الأموالِ الأجنبيةِ، وذلك بالاستمرارِ في تطويرِ كلِّ الأنظمةِ واللوائحِ ذاتِ العلاقةِ بالمستثمرِ الأجنبيِّ. ومن المهمِّ أيضًا أن تنسَّقَ الجهودُ بينَ جميعِ الجهاتِ ذاتِ العلاقةِ بالاستثمارِ الأجنبيِّ، إضافةً إلى توفيرِ المعلومةِ الكفيلةِ بإيضاحِ كلِّ الفرصِ المتاحةِ للاستثمارِ أمامَ رأسِ المالِ الأجنبيِّ. ومن المهمِّ السعيُ إلى تطويرِ جميعِ الأدواتِ الاقتصاديةِ الجاذبةِ للاستثمارِ الأجنبيِّ، ومن أبرزِها إكمالُ البِنْيةِ التحتيةِ لتكونَ أكثرَ مُلاءمةً للاستثمارِ، وتهيئةُ اليدِ العاملةِ الوطنيةِ لتكونَ أكثرَ قدرةً على تلبيةِ احتياجاتِ الشركاتِ الأجنبيةِ المستثمِرةِ بالمملكةِ.

الجريسي في الملتقى الاقتصادي السعودي الألماني

العَمَلُ المِهْنِيُّ

كان الكثيرُ من الرجال المشهود لهم بالشَّهامة والأَنَفَة يعملونَ في مِهَنٍ يدَوية، فكنتَ ترى الواحدَ منهم يعملُ بنَّاءً أو نجَّارًا أو حَدَّادًا، وتراهُ في المناسبات وأيام الجُمَع يرتدي (البشت)، ويجلسُ في صَدرِ المجلس بكلِّ كرامةٍ وشرفٍ غيرَ عابئٍ إلا بأن تكونَ يدُهُ عُليا، يأكلُ من تعَبِه وجهدِه ويعملُ بما يحفظُ له كرامتَه.

إن صاحبَ المهنة خادمٌ لمجتمَعِه، يتضرَّرُ المجتمعُ بتقصيرِه، وينعُمُ بجِدِّه، وهو يمارسُ أشرفَ وسائلِ الكسبِ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعامًا قَطُّ خَيرًا مِن أَن يَأكُلَ مِن عَمَلِ يَدِه، وإِنَّ نَبِيَّ اللهِ داوُدَ – عَلَيهِ السَّلامُ – كانَ يَأكُلُ مِن عَمَلِ يَدِه).

ولقد أدرك أجدادُنا الأَوَّلُونَ ذلك المفهومَ جيدًا، وطبَّقوه في ممارساتِهم واقعًا، ولم يُستَثْنَ أحدٌ لمكانَتِه أو ثَروتِه؛ وهذا ما أدَّى بهم إلى بناءِ مجتمعٍ إسلاميٍّ قويٍّ متماسكٍ، فَرَض وجودَهُ على العالم أجمعَ.

لكن الغربَ قد حَرَصَ – وساعدناهُ بنحوٍ غيرِ مباشرٍ – على أن يبقى المسلمونَ مُحتاجينَ إلى علوم الغربيِّين وصناعتِهم وإنتاجِهم، خاصةً التِّقْنِيَةَ التي غزَتْ أسواقَنا، ووفَّرت الاحتياجاتِ الكماليةَ قبلَ الأساسية؛ فضعُفَ اشتغالُنا بما ينفعُ مجتمعَنا.

ولنستمعْ إلى ما قاله أحدُ الساسةِ الفرنسيينَ في هذا الشأن:

«إن العالَمَ الإسلاميَّ يقعُدُ اليومَ فوقَ ثروةٍ خياليةٍ من الذهبِ الأسودِ، والموادِّ الأوليةِ الضروريةِ للصناعةِ الحديثة، فلنُعْطِ هذا العالَمَ ما يشاءُ، ولنقوِّ في نفسِه عدمَ الرغبةِ في الإنتاجِ الصناعيِّ والفنيِّ، فإذا عَجَزنا عن تحقيقِ هذه الخطة، وتحرَّرَ العملاقُ من قيودِ جهلِه، وعُقدةِ الشعورِ بعَجزِه عن مُجاراةِ الغربِ في الإنتاجِ فقد بُؤْنا بالإخفاقِ السريع، وأصبح خطرُ العالَمِ العربيِّ – وما وراءه من الطاقاتِ الإسلاميَّةِ الضخمةِ – خطرًا داهمًا، يتعرَّضُ به الغربُ لكارثةٍ ينتهي بها، وتنتهي معهُ وظيفتُه القيادية).

إذن فلنعمَل نحن على إطلاقِ هذا العملاقِ، ولنُصلِحْ تلك القيَمَ السلبيةَ تجاهَ العملِ المهنيِّ والعمَّال، ولن يكونَ ذلك إلا بسيادةِ القيمِ الدينيةِ الإسلامية، وتصحيحِ النظرةِ الخاطئةِ القاصرةِ إلى العملِ المهنيِّ، وما يمكنُ أن يُضيفَهُ من قيمةٍ إلى الاقتصادِ وإلى المجتمع.

إن الطموحَ هو حقٌّ مشروعٌ لكلِّ شخصٍ، ومن الحسَنِ أن يسعى الإنسانُ للوصولِ إلى أعلى المناصبِ،

ولكن من غيرِ الطبيعيِّ أن يكونَ جميعُ أفرادِ المجتمعِ في مناصبَ قياديةٍ، أو أعمالٍ مكتبيةٍ؛ (فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له)؛ كما قال عليه الصلاةُ و السلام.

وقد تجدُ شقيقَينِ من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، تهيَّأتْ لهما الظروفُ والإمكاناتُ نفسُها؛ لكن أحدَهما نجح في شَقِّ طريقِه إلى أعلى المناصبِ، في حين بقيَ الآخرُ يُراوحُ في مكانه.

إن العملَ المِهْنيَّ تحتاجُ إليه بلدانُنا مثلما تحتاجُ إلى العملِ الذهنيِّ، وإن القرارَ الذي اتَّخذَهُ مجلسُ الوزراء، برئاسة خادمِ الحرمَينِ الشريفَينِ، بزيادةِ عددِ طلَّابِ المَعاهدِ والكلياتِ الفنيةِ والتِّقنيةِ هو قرارٌ حكيمٌ، سيكونُ له أطيبُ الأثرِ – دونَ شكٍّ – في زيادةِ عددِ الفنيِّين والمهنيِّين، ولكن يبقى على مُجتمَعنا مساعدةُ هؤلاءِ الخَريجينَ على الفَخرِ بالمِهْنةِ وحبِّ العملِ، وجعلُ مقياسنا الاجتماعيِّ في الحكمِ على الآخَرينَ بما يقدِّمونه من إنجازٍ وإتقانٍ وتفانٍ في بناءِ المجتمعِ، وتحقيقِ أهدافِ التنميةِ التي نحتاجُ إليها؛ للَّحاقِ بركبِ الحضارةِ التي سبقَتنا بمسافاتٍ كبيرةٍ؛ بسببِ قيمٍ سلبيةٍ وضعناها مكانَ قيمِ الإسلامِ الإيجابيةِ، ونظرتِه السليمةِ القويمةِ إلى العمَلِ بوصفِه وسيلةً لدَرءِ الفسادِ الذاتيِّ والاجتماعيِّ، ولدفعِ الفقرِ وبناءِ الاقتصادِ.

الجريسي يقص شريط افتتاح أحد المصانع التابعة لمجموعة الجريسي

الخَصْخَصَة[1]

لا تعدُّ الخصخصةُ غايةً في ذاتها، إنما هي – في مُعظَم الأحوال – وسيلةٌ أو أداةٌ لتفعيل برنامج إصلاح اقتصاديٍّ شامل ذي محاورَ متعدِّدة، يهدُفُ إلى إصلاحِ الأوضاعِ الاقتصاديةِ في دولة ما. ومن هذا المنطَلَق يتزامنُ عادةً تنفيذُ برامج الخصخصة مع برامجَ أخرى موازية ومتَّسقة معها، ويعملُ كلٌّ منها في الاتِّجاه نفسه، داعيةً إلى تحرُّر كلِّ الأنشطة الاقتصادية من القطاعِ العامِّ باتجاهَ القطاعِ الخاصِّ؛ أي: إن الخصخصةَ يجبُ أن تواكبَها تغييراتٌ جَذريةٌ لمفهوم مسؤولية الدولة؛ بالتحوُّل من الإدارة المباشرَة للاقتصاد وممارسة دورها السياسيِّ والاجتماعيِّ فيه، باتجاه المزيد من المشاركة الاقتصادية للقطاع الخاصِّ.

وأودُّ في هذا المجال تأكيدَ بعض الأمور المرتبطة باتجاه الدولة نحو الخصخَصة، وهي:

١. إن هذا التوجُّهَ لا يعني التقليلَ من كفاءة القطاع الحكوميِّ الذي استطاعَ أن يُديرَ هذه المشروعات بفاعليَّة ونجاح طَوالَ السنوات الماضية، وما زال مستمرًّا في الأداء بنفس الفاعلية ومستوى الإنجاز، فالباعثُ للتخصيص عندنا يختلفُ عنه في بقية الدول التي اتجهتْ إليه بسبب ضعف الأداء الحكوميِّ، وإخفاقه في تحقيق أهدافها التنموية. أما عندنا، فالباعثُ الأساسُ للتخصيص هو الرغبةُ في مزيد من إفادة المواطن، بتخلِّي الدولة عن مشروعاتها المنتجَة؛ ليشاركَ المواطنُ في رأس المال الوطنيِّ فيها، ويحقِّقَ الربحَ المناسبَ.

٢. إن زيادةَ دورِ القطاعِ الخاصِّ في عمليةِ التنمية، بتخصيص بعض المشروعات الحكومية لا يعني تقليصَ

١. يُقصد بها تحويل عدد كبير من القطاعات الاقتصادية والخدمات الاجتماعية التي لا ترتبط بالسياسة العليا للدولة ، من القطاع العام إلى القطاع الخاص.

دور القطاع العامِّ الحكوميِّ؛ بل إن المسؤوليات الجسامَ التي ستُناطُ بالقطاع الخاصِّ ستحتاجُ – بالضَّرورة – إلى مَزيد من الدعم والمؤازرَة من جانب القطاع الحكوميِّ، واستمرار التنسيق والتعاون المستمرِّ بين القطاعَين، ولكن على نحوٍ جديد أكثر عُمقًا وتفهُّمًا.

٣. الخصخصةُ في ذاتها ليست هدفًا تسعى إليه الدولةُ؛ بل هي جزءٌ من سياسة اقتصادية تنوي انتهاجَها لتطوير هيكلها الاقتصاديِّ، وإعادة توزيع المسؤوليَّات بين القطاعَين العامِّ الحكوميِّ والخاصِّ؛ لتتبوَّأَ مكانَها المرموقَ في المنظومة الاقتصادية العالمية، في ظلِّ الاتجاه نحوَ عولمة الاقتصاد الذي تجلَّى بوضوح في مَسار الاقتصاد العالميِّ. ولا يكونُ هذا إلا بعدَ تثبُّت الدولة من نموِّ قُدرات القطاع الخاصِّ ونُضجها، بدرجة تؤهِّلُه للقيام بإدارة هذه المشاريع الحيوية وتملُّكها، وهذا من شأنه تحقيقُ الأهداف الآتية:

- تحسينُ أداء المنشآت المنقولة ملكيتُها عن طريق إدارتها بالأسلوب التجاريِّ الذي يجعلُ الحافزَ التجاريَّ هو المحركَ لها، والحدِّ من البيروقراطية التي قد تكتَنفُ عملَ هذه المنشآت، مع تخفيض النفقات وتعظيم الأرباح.
- تخفيفُ الأعباء عن كاهل القطاع الحكوميِّ بتقليص الدعم والإعانات، وتوفير موارد الدولة، وتكثيف الجهود لإضافة خدْمات ومشروعات أخرى جديدة، تفي بالاحتياجات المتزايدة للمواطنين.
- زيادةُ الفُرَص الاستثمارية المتاحة أمامَ المواطنينَ، وفتحُ مجالات جديدة لاستثمارات القطاع الخاصِّ، وإتاحةُ المزيد من فرص العمل.
- الاستغلالُ الأمثلُ للطاقات الإنتاجية والموارد الطبيعية المتاحة؛ وهذا يؤدِّي إلى تعظيم القيمة المضافة لناتج الاقتصاد الوطنيِّ.
- تنشيطُ سوق رأس المال بتحفيز المواطنينَ على الاستثمار في الداخل، وعودة رؤوس الأموال السعودية المستثمرَة في الخارج، واجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية؛ للمشاركة مع رأس المال الوطنيِّ.

وأعتقدُ أن سياسةَ الخصخَصة تُعَدُّ إحدى أهمِّ السياسات التي تساعدُ في السيطرة على بعض جوانب القُصور، التي يعانيها اقتصادُنا الوطنيُّ، ومن ثَمَّ تهيئتُه ليتَماشى مع مُتطلَّبات العولمة، وزيادة الفُرَص الاستثمارية، وجعل سوق المملكة سوقًا حرَّةً، لا يمكنُ أن تتحكَّمَ بها إلا قُوى السوق. وهذا مَطلبُ كلِّ مواطن ورجل أعمال ومسؤول، ومَطلبُ الاقتصاد عمومًا؛ ليصلَ إلى مَصافِّ الاقتصاد العالميِّ في نجاحه، ولا يخفى أثرُ نجاح الاقتصاد في مستقبل الدول والمواطنين.

وأرى أن التدرُّجَ في عملية التخصيص هو أنجحُ الوسائل لتحقيق عملية الخصخصة؛ وذلك بالسَّماح بتقديم القطاع الخاصِّ لخدْمات موازية لِمَا يُقدِّمُهُ القطاعُ الحكوميُّ، ثم التخلِّي تمامًا عن بعض القطاعات الاقتصادية لصالح القطاع الخاصِّ.

السِّياحةُ الداخليةُ من منظورٍ اقتصاديّ

إن تطورَ السياحة الداخلية في المملكة من شأنه أن يؤدِّيَ إلى تقليص تدفُّق الأموال السعودية إلى الخارج، وإنفاقها بدلاً من ذلك في الداخل؛ وهذا يُسهمُ في تخفيف العبء عن ميزان المدفوعات، فماذا سيكونُ عليه حالُ الاقتصاد لو زدنا على ما سبق جذبَ السياحة من الخارج؟ وما يمكنُ أن يؤديَ إليه ذلك من دفع النموِّ الاقتصاديِّ إلى الأمام، فضلاً عن تنويع مصادر الدخل، وخلق المزيد من فرص العمل، بما يحقق التنمية الاقتصادية المنشودة.

إن من الأهمية البالغة الإشارةَ إلى أنه ليس ثَمَّ ما هو أكثرُ ذكاءً من رأس المال، فهو دائمًا يبحثُ عن المكان الذي يشعرُ فيه بالأمن والأمان. ولمَّا كان عنصرُ المخاطرة من أهمِّ العناصر الملازمة للاستثمار، ولمَّا كانت المملكةُ تتمتَّعُ بمُناخ استثماريٍّ آمن، بما تمتازُ به – بفضل الله – من استقرار سياسيٍّ واقتصاديٍّ، فإن رجالَ الأعمال السعوديين خاصةً، والذين لم يتردَّدوا يومًا في الاستثمار في هذا القطاع السياحيِّ مدعُوُّون إلى استثمار رؤوس أموالهم استثمارًا أكبرَ في هذا القطاع، ولا سيَّما إذا عَلِمنا أنَّه على المدى البعيد، سوف تمثِّلُ السياحةُ السعوديةُ قطاعًا اقتصاديًّا مهمًّا؛ مواكبة للاستراتيجية الوطنية التي تتبنَّاها الحكومةُ للنهوض بهذا القطاع، وسيُسهم ذلك – في المدى المتوسِّط والبعيد – في إحداث نُقلة نوعية في رفع معدَّل النموِّ الاقتصاديِّ، وتنوُّع مصادر الدخل القوميِّ، والتخفيف من مُعدَّلات البَطالة.

الجربسي بصحبة أحد الضيوف في جولة داخل مزرعته في محافظة المزاحمية

صُنِع في السُّعودية

أعتقدُ أن الصناعةَ في المملكة هي خيارٌ استراتيجيٌّ، وخاصةً عندما تكونُ ذاتَ قُدرةٍ تصديرية عاليةٍ تُمكِّنُها من اجتياح الأسواق الخارجية؛ لنرى في تلك الأسواق عبارةَ: (صُنعَ في السعودية) على مُنتَجاتنا، وهي علامةٌ نعتزُّ بها ونفخَرُ؛ لأنها تعني الجَودةَ، وتعني أن المملكةَ قد تمكَّنت من وُلوجِ الطريقِ الذي سيُوصِلُها – بإذنِ اللهِ تعالى – إلى مَصافِّ الدولِ الصناعيةِ المتطورة.

وأنا في هذا المقامِ أتكلمُ بوصفي مواطنًا سعوديًّا أولاً، ورجلَ أعمالٍ سعوديًّا ثانيًا؛ إذْ لا يمكنُ تقديرُ مدى الفخرِ والاعتزازِ ونحن نرى علامتَنا الوطنيةَ تعلو منتجات سعوديةَ المَنشأ مُتوافرةً في أسواقٍ عالميةٍ، وتُطلبُ لذاتها بوصفِها منتجاتٍ تنافسُ غيرَها بأعلى المعاييرِ، وأولُها رقيُّ الجَودة.

وأودُّ أن أؤكدَ في هذا المجالِ حقيقةً مهمةً؛ وهي أن خيارَ التصنيعِ في عمليةِ التنميةِ للاقتصادِ السعوديِّ يعدُّ من أهمِّ المحاورِ الأساسيةِ للتنميةِ الاقتصاديةِ الرامية إلى تقليلِ الاعتمادِ على النِّفْطِ الخامِ مصدرًا أساسيًّا أو وحيدًا للدخلِ؛ وذلك لأن الصناعةَ تعدُّ أهمَّ قطاعاتِ القاعدةِ عاليةِ الإنتاجيةِ وسريعةِ العائدِ، فضلاً عن أنها القطاعُ الأمثلُ للاستفادةِ من الميزاتِ النسبيَّةِ المتوافِرَةِ في الاقتصادِ السعوديِّ.

والحقيقةُ التي يجبُ أن نقرَّ بها ونؤكدَها هي: أن التصديرَ ليس مهمَّةَ جهةٍ واحدة، وإن كانت تقعُ بالدرجةِ الأولى على عاتقِ المصدِّرِ؛ فهناك شركاءُ في العمليةِ التصديريةِ لا بدَّ أن تتكاتفَ جهودُهم لتحقيقِ هدفِ تنميةِ الصادراتِ، والدولةُ هي أحدُ هؤلاءِ الشركاءِ الرئيسين، وقد تبنَّت الدولةُ فكرةَ تنويعِ مصادرِ الدخلِ، ودَعْمِ تنميةِ الصادرات. وفي هذا المجالِ يمكنُنا الاستفادةُ من تجاربِ الدولِ التي سبقَتْنا في التصديرِ وحقَّقَتْ نجاحاتٍ كبيرةً، وأصبحَتْ تجاربُها محلَّ دراسة؛ مثلِ سنغافورةَ، وتايوانَ، وتركيا، وكوريا، واليابانِ؛ ونجدُ أنها جميعًا أَوْلَتِ اهتمامًا كبيرًا للصَّادراتِ؛ لوجودِ جهازٍ قويٍّ يتولَّى رسمَ سياسةِ التصديرِ، والتنسيقَ مع الأجهزةِ المعنيَّةِ بالتجارةِ الخارجية.

وإذا كنا نتكلمُ على تشجيعِ الصادراتِ، وتوفيرِ المُنْتَجِ السعوديِّ بعلامَتِه المميِّزةِ في الأسواقِ العالمية، وعلى تشجيعِ الصناعةِ السعودية، وتأمينِ الظروفِ الجيدةِ لانطلاقتها ومساهمتِها في الاقتصادِ الوطنيِّ، فإني أرى أن البدايةَ تكونُ أسهلَ في رعايةِ المشروعِ الصناعيِّ، بالاهتمامِ بالمشاريعِ الصغيرةِ والمتوسِّطةِ التي تُعَدُّ العمودَ الفقريَّ لتحقيقِ التطورِ الشاملِ وبلوغِ غاياتِ النموِّ الاقتصاديِّ، خاصةً أن المشروعاتِ الصغيرةَ من أهمِّ الروافدِ الرئيسةِ للوصولِ إلى المعدَّلاتِ المطلوبةِ من التنميةِ في دولِ العالمِ المتقدِّمِ والدولِ النامية على السواء؛ بدليلِ ما طالعَتْنا به التجاربُ الاقتصاديةُ في الماضي في بعضِ الدولِ، وكيف أن تقدُّمَها الذي تحصدُ ثمارَهُ اليومَ كان على أكتافِ هذه المشروعاتِ ودعمِها وتنميتِها، عندما قامَتْ بتطبيقِ سياساتٍ وبرامجَ طموحة تهدفُ إلى دعمِ هذه الفئةِ من المشروعاتِ الاقتصاديةِ وتشجيعِها؛ لتكون – كما حصلَ لاحقًا – مجموعةَ لَبِناتٍ في كياناتٍ كبيرةٍ.

السَّعْوَدَة

السعودةُ ليست عمليةَ إحلالٍ فحسبُ؛ بمعنى: إما أن نقومَ نحنُ – رجالَ الأعمالِ – بهذا العملِ أو لا؛ بل هي واجبٌ وطنيٌّ يحقِّقُ الأمنَ الاقتصاديَّ والاجتماعيَّ للمجتمعِ، ويسهمُ في وقفِ هَدرِ المالِ العامِّ الذي يتسرَّبُ إلى خارجِ الوطنِ؛ جرَّاءَ تحويلاتِ الأيدي العاملةِ الوافدةِ، التي تقدَّرُ سنويًّا بأكثرَ من سبعينَ مليارَ ريالٍ.

ولكن تحقيقَ الأهدافِ – كما علَّمَتنا الحياةُ – لا يكونُ بالتمنِّي؛ بل بالعمَلِ الجادِّ والدَّؤوبِ، الذي يقومُ على التخطيطِ والتنظيمِ الفعَّالِ؛ بمعنى: أنه حتى يتمَّ إحلالُ المواطنِ محلَّ الوافدِ، فإنه يستلزمُ وجودَ المواطنِ القادرِ القابلِ لتنفيذِ عمليةِ الإحلالِ هذه، وهذا يعني ضرورةَ وضعِ خُطةٍ استراتيجيةٍ شاملةٍ لتنميةِ القُوى البشريةِ السعوديةِ، تضعُ في الحُسبانِ أسسَ التأهيلِ الشاملةِ ومناهجَهُ؛ تعليمًا وتدريبًا، يشاركُ في إعدادِها جميعُ الأطرافِ المعنيةِ بتخطيطِ القُوى العاملةِ وتنميةِ الموارِدِ البشريةِ، مع مراعاةِ وجودِ ممثِّلين للقطاعِ الخاصِّ.

إن نظرةً فاحصةً لهيكلِ الاقتصادِ السعوديِّ تدفَعُنا إلى التفكيرِ في أمرٍ مهمٍّ جدًّا، يتمثَّلُ في ضرورةِ تشجيعِ المؤسَّساتِ الصغيرةِ والمتوسِّطةِ؛ للاتجاهِ نحوَ السعوَدَةِ؛ لأن هذه المؤسَّساتِ تشكِّلُ نسبةً كبيرةً في هيكلِ الاقتصادِ الوطنيِّ بالمملكةِ، يصلُ إلى نحوِ ٩٠٪ من إجماليِّ عددِ مُنشآتِه، وعلى سبيلِ المثالِ: نجدُ أنه في قطاعِ الصِّناعةِ تبلغُ نسبةُ عددِ المصانعِ الصغيرةِ – التي يقلُّ رأسُ مالِها المستثمَرُ عن عشرينَ مليونَ ريالٍ – نحوَ ٧٤,٤٪ من إجماليِّ عددِ المصانعِ، وتبلغُ نسبةُ عددِ المصانعِ المتوسِّطةِ – التي يُراوحُ رأسُ مالِها المستثمَرُ بين عشرينَ مليونَ ريالٍ وخمسينَ مليونًا – نحوَ ١٤,٧٪.

ومن المعروفِ أن المنشآتِ الصغيرةَ والمتوسطةَ تتَّسمُ بقُدرتِها على توفيرِ فرصِ العملِ؛ لاعتمادِها على الأيدي العاملةِ أكثرَ من حجمِ رأسِ المالِ، فضلاً عن انخفاضِ تكلفةِ فرصةِ العملِ بها، فطبقًا لتقديرِ الخبراءِ: نجدُ أن قيمةَ الاستثماراتِ المطلوبةِ لتوفيرِ فرصةِ عملٍ بمنشأةٍ صغيرةٍ تعادلُ ١/٥ من قيمةِ الاستثماراتِ المطلوبةِ لتوفيرِ هذه الفرصةِ بمُنْشَأةٍ كبيرةٍ.

اقتصادُنا في دائرةِ العَولَمَة

منذُ سنواتٍ طويلة أطالبُ المؤسَّساتِ والشركاتِ الخليجيةَ عمومًا والسعوديةَ خصوصًا، بالاندماجِ فيما بينها؛ وصولاً إلى كسبِ حصَّةٍ أكبرَ في السوق؛ لما في الاندماجِ من تضافُرِ الجهودِ ورفعِ الكفايةِ الإداريةِ والإنتاجيةِ رفعًا يعودُ بالنفعِ على الشركاتِ المندمجة.

ولمَّا كنا قد دخَلنا في عصرِ العَولمة، فإن من الواجبِ علينا التذكيرَ مرارًا بأهميةِ الدَّمجِ بين الشركاتِ المتماثلة، إن كانت ترغبُ حقًّا في البقاءِ في دائرةِ المنافسة، خاصةً أن المرحلةَ المقبلةَ ستشهَدُ انفتاحَ الأسواقِ بعضِها على بعض؛ وهذا يعني أن ضمانَ الاستمرارِ في السوقِ لن يكونَ إلا لتلك الشركاتِ ذاتِ المنتَجِ الأفضلِ جَودةً، والأقلِّ تكلفةً، وهذا بالطبعِ لا يمكنُ أن يتحقَّقَ إلا للشركاتِ ذاتِ الإمكاناتِ الكُبرى.

ولو أننا تتبَّعنا سلسلةَ الاندماجاتِ الاقتصاديةِ الضخمةَ، التي شَهِدناها سابقًا، لأدركنا أن ثمةَ الكثيرَ من الشركاتِ العملاقةِ التي اندمجت، على الرُّغمِ من أن الإمكاناتِ والموازناتِ الماليةَ لتلك الشركاتِ منفصلةً تفوقُ في حَجمِها موازناتِ بعضِ الدول.

إنني أؤكدُ أهميةَ أن تدركَ دولُ الخليجِ عمومًا – وقد أصبَحَت في دائرةِ العَولمة باختيارها أو دونَ اختيارها– المخاطرَ التي تحيطُ بها؛ بسببِ تفكُّكِ قُدراتِها الاقتصادية؛ الذي سيؤدِّي إلى خسارتِها لمنافسةِ السوقِ في مواجهةِ الاندماجاتِ الاقتصاديةِ الموحَّدة، التي تحرِصُ على تحقيقِها شركاتُ دولِ العالمِ المتقدِّم.

وثَمَّةَ جانبٌ آخرُ مهمٌّ، وعلى رجالِ الأعمالِ السعوديينَ والخليجيينَ بذلُ جهودِهم من أجلِ تخطِّيه؛ لِمَا في ذلك من مصلحةٍ لهم ولاقتصادِهم، ويتمثَّلُ في تمسُّكِ كثيرٍ من أصحابِ المؤسَّساتِ والشركاتِ العائليةِ باستمرارِ السيطرةِ العائليةِ على تلك المؤسَّساتِ والشركات، وعدمِ التفكيرِ الجادِّ في تحويلِ المؤسَّساتِ والشركاتِ العائليةِ إلى شركاتٍ مُساهَمة، على الرُّغمِ من تعدُّدِ الجوانبِ الإيجابيةِ التي يمكنُ أن تحقِّقَها جرَّاءَ ذلك.

ومن تلك الجوانبِ الإيجابيةِ للشركاتِ المساهَمةِ أنها تَحظى بالدَّعمِ والمساندَةِ الحكوميَّة، خاصةً في الظروفِ التي تتعرَّضُ فيها أيُّ شركةٍ مُساهَمةٍ لهزَّاتٍ عَنيفة، وهذا الدعمُ الحكوميُّ هو بمنزلةِ الضَّمانِ الذي يكفُلُ اجتيازَ تلك الشركاتِ لأيِّ تقلُّباتٍ اقتصادية.

وإذا كانتِ الشركاتُ العائليةُ الخليجيةُ العملاقةُ قد استطاعَت في الماضي أن تُبحرَ إلى بَرِّ الأمان؛ اعتمادًا منها على إدارةِ شخصٍ واحد فقط (مالكِ الشركة) – بسببِ قلَّةِ الإجراءاتِ والأنظمةِ التي كانت تتطلَّبُها المنافسةُ والنجاحُ الاقتصاديُّ آنذاك – فإنّ الأمرَ في وقتِنا الحاضرِ لم يعُد كذلك؛ في ظلِّ ظهورِ كثيرٍ من

الأنظمة والإجراءات القانونية التي تتخذُها الدولُ في سَعيها للوصول إلى الأسواق الخارجية، وهذا يؤكدُ أن نجاحَ الشركة في الوقت الحاضر لا يمكنُ أن يتمَّ بناءً على قرارٍ فرديٍّ، وإنما لا بدَّ من المشاركة الجماعية في إصدار القرار الذي يتوقَّفُ مصيرُ الشركة عليه، وهذا لا يتمُّ – عادةً – إلا في الشركات المساهَمة لا في الشركات العائلية الخاصة.

أخيرًا: إنني أتوجَّهُ بدعوة رجال الأعمال في المملكة خاصةً والخليج عامةً، إلى الاهتمام الواعي بمتطلَّبات العَولمة؛ لكسب أكبر حصَّة ممكنة من الأسواق المحلية – على الأقلِّ – من مُنافسيهم الأجانب، وذلك بالطبع لن يتحقَّقَ ما لم يتحقَّق اندماجٌ بين جميع المنشآت التجارية والصناعية والزراعية والخدْميَّة المتماثلة، وما لم تتكون الشركاتُ المساهمةُ الكبيرةُ؛ للوصول إلى إنتاج سِلَع وخدْمات أكثرَ جودةً وأقلَّ تكلفةً، ترفعُ من قُدراتها التنافسية في منطقة الخليج في مواجهة الشركات الأخرى؛ مما يساعدُ على تعظيم فوائد العَولمة، ويخفِّفُ من الآثار السلبية التي قد تنجُمُ عن رفع القيود أمامَ التجارة العالمية وتدفُّق الاستثمارات المباشرَة ذات القُدرات التنافسية العالية.

المجتمعُ السعوديُّ بينَ الإسرافِ والادِّخار

إن عدمَ الإسرافِ والعملَ على ترشيدِ الإنفاق لا يقتصرُ على كونه مطلبًا اقتصاديًّا واجتماعيًّا، وإنما هو مطلبٌ دينيٌّ؛ وفي ذلك يقولُ اللهُ تعالى في مُحْكَمِ كتابِه: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}.

أعتقدُ أن المواطنَ السعوديَّ مطالبٌ بالاستفادة من تلك التجارِبِ التي مرَّت وما زالت تمرُّ باقتصادنا الوطنيِّ، فعندما انخفضَتْ مداخيلُ الدولة السنويةُ من عوائدِ النِّفط، إضافةً إلى ما واجهَهُ الاقتصادُ السعوديُّ من تحدِّياتٍ – وهي نتاجٌ طبيعيٌّ للمتغيِّراتِ التي شَهِدَها الاقتصادُ العالميُّ – نجدُ أن الدولةَ لم تتردَّد في انتهاجِ سُلوكٍ ترشيديٍّ في الإنفاق، لعددٍ من السنوات؛ رغبةً منها في إنهاءِ العَجزِ الذي تُعانيه الموازنةُ، وفي استمرارِ توفيرِ الحياةِ الآمنة، التي اعتادَ المواطنُ السعوديُّ أن يحياها، وأرى أنه ينبغي على الأفرادِ الإفادةُ من تلك التجارِبِ التي اجتازَتْها حكومَتُنا، أيَّدَها الله.

وبرغمِ خطرِ ظاهرةِ الإسرافِ وقلَّةِ الادِّخارِ لدى فئةٍ كبيرةٍ من السعوديين، نجدُ أن تلك الظاهرةَ – ويا للأسَفِ – لم تلقَ الاهتمامَ الكافيَ من قِبَلِ كثيرٍ من رجالِ الاقتصادِ والباحثينَ. ومع أن سياسةَ الترشيدِ الإنفاقيِّ على مستوى الدولِ والحكوماتِ تحظى باهتمامِ عددٍ كبيرٍ من المتخصِّصينَ والكُتَّابِ، فإن سياسةَ الترشيدِ الإنفاقيِّ وانتهاجَ سلوكِ ادخاريٍّ سليمٍ من قِبَلِ الأفرادِ لا يحظى بالنصيبِ نفسِه من الاهتمامِ والدراسة، مع كونه يتَّسِمُ بقَدْرٍ كبيرٍ من الأهمية؛ لذا أتوجَّهُ بدعوةِ جميعِ الكُتَّابِ والمتخصِّصينَ إلى تناولِ هذا الموضوعِ ودراسَتِه من كلِّ جوانبِه؛ وذلك من أجلِ غرسِ الحسِّ الادِّخاريِّ لدى كلِّ مواطنٍ سعوديٍّ.

أخيرًا: إن توجيهَ الأفرادِ إلى الاهتمامِ بالترشيدِ في الإنفاقِ الاستهلاكيِّ، والعنايةِ بالادِّخارِ الشخصيِّ، يحتاجُ إلى تفعيلِ الجهودِ، ليس على مستوى الأفرادِ فحسبُ، إنما على المستوى الحكوميِّ أيضًا. ولمَّا كان للادِّخارِ الشخصيِّ هذا الدورُ الفاعلُ في خلقِ مصادرَ تمويليةٍ لبناءِ التنميةِ السعودية؛ فإن على وزارةِ الماليةِ واجبًا مهمًّا في هذا الجانبِ، بالتعاونِ مع الجامعاتِ؛ من أجلِ إجراءِ الدراساتِ والأبحاثِ الكفيلةِ بتحقيقِ الوعيِ اللازمِ الذي يحتاجُ إليه الأفراد.

وكذلك، إن على وسائلِ الإعلامِ أيضًا واجبًا في توعيةِ الأفرادِ، وتوجيههِم إلى ضَرورةِ الحدِّ من إنفاقِهم الاستهلاكيِّ، وخاصةً في الكماليَّاتِ، والاهتمامِ بالادِّخارِ لتأمينِ مستوًى معيشيٍّ أفضلَ، إضافةً إلى القُدرةِ على التصدِّي لِمَا يتوقَّعُهُ الشخصُ في حياتِه من مُتغيِّراتٍ اقتصاديةٍ صعبةٍ، قد لا يستطيعُ تجاوزَها في المستقبلِ.

البَطالَة

في البداية أودُّ أن أوضحَ أمرًا، وهو أن في سوقِ العملِ لدينا وظيفةً أو عملاً معينًا، وهناك صاحبُ المؤسسة أو صاحبُ العملِ الذي يبحثُ عمَّن يَشْغَلُها، ولدينا شابٌّ جادٌّ وراغبٌ في العمل؛ أي: ما نسمِّيه العاطلَ من العملِ، وليس المُسْتَعطِلَ؛ أي: غيرُ الجادِّ، أو غيرُ الباحثِ عن تحسينِ دَخلِه وظُروفِه المعيشية.

واستنادًا إلى هذا التوضيح، فإن المشكلةَ ليست مشكلةَ فُرَصٍ وظيفيةٍ في السوقِ السعودية؛ لأن هذه الفرصَ متوافرةٌ بالفعل؛ بدليلِ انشغالها بأيدٍ عاملة أجنبية؛ لذا فإن المشكلةَ تنحصرُ في صاحبِ العملِ، وفي الشابِّ الباحثِ عن العملِ. فصاحبُ العملِ يبحثُ عن الرِّبحِ، ولا يبحثُ عن الخسارة، وهذا الربحُ يتحقَّقُ جزءٌ كبيرٌ منه باستقدامِ الأيدي الوافدةِ التي يستطيعُ أن يختارَها ضمنَ معاييرِه الخاصَّة، وفي الوقتِ ذاتِه يتحقَّقُ الربحُ بالأجورِ التي يحدِّدُها، وهي تضمنُ له توفيرًا معينًا في التكاليف.

ومن ناحيةٍ أخرى، نحنُ – رجالَ الأعمالِ الوطنيينَ – نريدُ إعطاءَ الفرصةِ والأولويةِ لمواطنينا، ونؤمنُ – بوصفنا من صانعي القرارِ – أنه إذا ما أُريدَ إقامةُ اقتصادٍ ناهضٍ ومنتج، فإن هذا الاقتصادَ ينبغي أن يقومَ على المزايا النسبيةِ للاقتصادِ السعوديِّ، وبأيدٍ وطنية، وليس على فرضيَّةِ أنه يمكنُ استقدامُ أيدٍ عاملةٍ رخيصة؛ ولكن الواقعَ لا يؤيدُ ذلك. فما الذي يحدثُ؟

إن رجلَ الأعمالِ السعوديَّ يواجهُ واقعًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا غيرَ مُستَساغ، فالشابُّ السعوديُّ قد تربَّى في ظروفٍ معيَّنة وتعوَّدَ مستوًى معيشيًّا معيَّنًا، في ظلِّ ظروفٍ اقتصاديةٍ لم تعُد متوافرة، ومفهومٍ اجتماعيٍّ خاطئٍ نحوَ العملِ والإنتاج؛ إذ إن غالبَ الشبابِ عندنا يبحثونَ عن العملِ في الجهاتِ الحكوميَّة، والذين يقبلونَ بالعملِ لدى القطاعِ الخاصِّ، إنما يقبلون به – غالبًا – انتظارًا لوظيفة حكومية، ثم سُرعانَ ما يتركونَ العملَ لدى القطاعِ الخاصِّ حين يتحقَّقُ لهم ما يُريدون. إن السعوديَّ المؤهَّلَ تأهيلاً جيدًا، ومناسبًا لمتطلَّباتِ العملِ، ويتحمَّلُ المسؤولياتِ الموكلةَ إليه، تبحثُ عنه مؤسَّساتُ القطاعِ الخاصِّ، وتدفعُ له راتبًا مجزيًا، مع ميزاتٍ ماليةٍ مغرية، لكن – ويا للأسف – هؤلاء قلةٌ نادرةٌ!

وسأضربُ هنا مثلاً من واقعِ شركاتِ الجريسيِّ، فعندما نعلنُ عن توافُرِ فرصٍ وظيفية، يتقدمُ لنا مئاتُ الشبابِ السعوديِّ، وبعدَ اختيارِ مجموعةٍ مؤهَّلة منهم، وشُروعِهم في ممارسةِ العملِ، وبعد أن تسلَّم لهم المهامُّ، سُرعانَ ما تبدو منهم بعضُ التصرُّفاتِ غيرِ المسؤولة؛ مثلُ كثرةِ الإجازاتِ المَرَضية، والتأخُّرِ والغيابِ دونَ إذنٍ، وغيرِها، وهذا يتسبَّبُ في خسارةِ الشركةِ ماديًّا، علْمًا أن بعضَهُم يتركُ العملَ دونَ سابقِ إنذارٍ، غيرَ مكترثٍ بحقوقِ صاحبِ العملِ والتزاماته.

في المقابل، إن ثمةَ تجاربَ مع شباب سعوديين أَكْفَاء، صَبَروا وتحمَّلوا ونالوا بعدها كلَّ ما طَمَحوا إليه، ويُعَدُّون لدينا من الأساسيينَ المهمينَ في الشركة، فالأمرُ إذن يتعلقُ بمدى الجدِّية والصبرِ والإنتاجِ؛ لكن الواقعَ – كما ذكرتُ – يشهدُ أن تلك النماذجَ قِلَّةٌ.

عليه أقول: إن البَطالةَ لدينا هي بَطالةٌ إراديةٌ وبرغبةٍ ذاتية، وإذا أردنا الحلَّ، فيجبُ أن نحصلَ على الحلقة المفقودة، بين مؤسَّسات القطاعِ الخاصِّ ورجالِ الأعمالِ من جهة، وهم الذين يبحثونَ عن الشبابِ السعوديِّ الذي لديه القدرةُ على تحمُّلِ مسؤوليةِ العملِ، والمثابرةِ والصبرِ، والاستقرارِ في العملِ؛ وبين الشبابِ الراغبِ في العملِ من جهةٍ أخرى. وقد اتخذت الدولةُ عبرَ الجهاتِ المعنيَّة بهذا الصددِ عدةَ خطوات عمليةٍ مهمة، ولا سيَّما في مجال تأهيلِ الشبابِ السعوديِّ القادرِ على العملِ وتدريبهم وتطويرهم، وَفْقَ احتياجاتِ سوقِ العملِ ومتطلَّباتها؛ لكنَّ هذه الإجراءات – على أهميَّتها – قد حلَّتْ جُزءًا فقط من المشكلة، وهو توافُرُ القدرةِ والكفاءةِ في العمل، لكنها لم تحلَّ موضوعَ الرغبةِ والالتزام، وهو أمرٌ تحرِصُ عليه شركاتُ القطاعِ الخاصِّ وتدفعُ مقابلَهُ غاليًا.

ومن ثَمَّ فإني أرى – من وجهةِ نظرٍ شخصية – أن البدايةَ تكمنُ في إعدادِ دراسةٍ عاجلة واقعيَّة لنظامِ العملِ والعمالِ السعوديِّ، مع الأخذِ في الحُسبانِ عدةَ أمورٍ، أهمُّها: الحرصُ على تحميلِ الشبابِ السعوديِّ مسؤوليات أكبرَ؛ لمصلحَته، ولضمانِ استمرارِه ومُثابرته، وأنه في حالِ تَركِه العملَ – بعدَ مباشرةِ مهامِّه فيه – يترتَّبُ عليه التزاماتٌ ماديةٌ ومعنويةٌ، لا بدَّ من استيفائها منه؛ وذلك من أجلِ دفعه للبقاء؛ لأن المتضرِّرَ في النهايةِ هو الاقتصادُ الوطنيُّ، بمعنى: أن نحرِصَ على تغييرِ نظرةِ المجتمعِ للعملِ والإنتاجِ بمختلفِ المهنِ والقطاعاتِ، عندها لن نجدَ بيننا عمالةً وافدةً تنافسُ أبناءَنا في مجالاتِ العملِ.

هذا، وقد آنَ الأوانُ للشبابِ السعوديِّ أن يمحوَ من ذهنِه الرغبةَ في الحصولِ على فُرَصِ العملِ المربحِ، في ظلِّ ظروفٍ سهلة وميسَّرة؛ كالعملِ نصفَ دوام، والحصولِ على إجازةٍ يومَي الخميسِ والجمعة، وغيرِها، وأن عليه أن يبدأَ بالتكيُّفِ مع ظروفٍ اقتصاديةٍ جديدة، تتطلَّبُ منه الصبرَ والمثابرةَ وإثباتَ الذاتِ؛ للحصولِ على فُرصِ العملِ المناسبة، وتحقيقِ الاستقرارِ الوظيفيِّ.

رأيٌ في الأزمَةِ الماليَّةِ العالميَّة

إن الأزمةَ الماليةَ – كأيِّ أزمة مرَّتْ عبرَ التاريخ – مرتبطةٌ بسقف زمنيٍّ، فهي ليست أزمةً أبديةً، ولكنها مرتبطةٌ بأجَلٍ لا بدَّ سينقَضي، وهي أشبهُ بمرضٍ عارضٍ يصيبُ الإنسانَ، فإذا ما حَرَصَ على تناولِ الدَّواءِ الصحيحِ بعدَ التشخيصِ الصحيحِ لمرَضِهِ فإنه سيتماثلُ للشِّفاءِ بإذنِ اللهِ تعالى.

ومن هنا فإنه يجبُ علينا في المملكةِ اتخاذُ بعضِ الإجراءاتِ الفاعلةِ للتعامُلِ السليمِ مع تداعياتِ هذه الأزمة، فأقولُ: إن من المهمِّ السعيَ في إيجادِ المحفِّزاتِ الاقتصاديةِ التي تعزِّزُ ثقةَ المستثمرِ المحليِّ والأجنبيِّ في السوقِ السعودية، ومن ذلك الإسراعُ في زيادةِ تحسينِ البيئةِ الاستثمارية، ومنحُ المزيدِ من المزايا والمحفِّزاتِ للمستثمرِ ولا سيَّما الأجنبيِّ؛ كي يشعرَ بالثقةِ والأمانِ وينجذبَ إلى المزايا التي تحقِّقُ له عائدًا أكبرَ.

ولا شكَّ أن مبادرةَ خادمِ الحرمَينِ الشريفَينِ بتخصيصِ ٤٠٠ مليارِ دولارٍ في السنواتِ الخمسِ المقبلةِ لبرنامَجِ الاستثمارِ الحكوميِّ للقطاعَينِ الحكوميِّ والنِّفطيِّ، والإنفاقِ على المشروعاتِ والخَدْماتِ الأساسيةِ وتطويرِ القطاعِ النِّفطيِّ – توجِّهُ رسالةً اقتصاديةً مهمَّةً وقويةً ومُطَمْئِنةً للمستثمرِ المحلِّيِّ، مفادُها: إن السوقَ المحليةَ ستظلُّ تحظى بالإنفاقِ المطلوبِ الذي يُغذِّي دورةَ الاقتصاد، ويضمنُ كفايتَهُ وسلامتَهُ وحيويتَهُ وبُعْدَه عن الانكماش.

الجريسي في ساحة سوق المال بنيويورك (وول ستريت)

ثقافةُ الجَودَة

إن التقيُّدَ بالمواصَفات وعلامات الجَودَة بات همًّا مُشتركًا تتسابقُ لتحصيله جميعُ الدول والمنظمات، ومنها الغرفُ التجاريةُ بوصفها راعيةً للنشاط التجاريِّ والصناعيِّ الخاصِّ. ونَحرِصُ – في الغرفة التجارية الصناعية بالرياض وعبرَ المراكز والإدارات التابعة لها، ومنها مركزُ التطوير التقنيِّ والجَودة – على تعزيز علاقتنا مع الهيئات والجهات ذات الصلة بهدف تطوير ثقافة الجَودة والقياس، والسَّعي إلى تعزيز مفاهيم الشفافية بين العاملينَ في مؤسَّسات القطاع الخاصِّ، ولخدمة مُنتجاتنا الوطنية التي صار لها – بفضل الله – سوقُها المحليةُ والدوليةُ الواسعة.

وأودُّ أن أوضحَ هنا أن الغرفةَ لا تنطلقُ في دعوتها وجهودها للتعريف بالمنتجات الوطنية ذات الجَودة العالية، وتشجيع جمهور المستهلكينَ على استهلاكها، من قاعدة أنها مُنتَجاتٌ وطنيةٌ وحسبُ، لكنها تستندُ في الوصولِ برسالتها إلى مُبتغاها المتمثِّل بزيادة انتشار تلك المنتَجات على أوسع مدًى ممكن؛ استنادًا إلى ما تحقَّقَ لها من جَودة ومعاييرَ ذات مواصفات عالمية؛ لأن المستهلكَ لا يركُنُ فقط إلى التجاوب مع الشعور الوطنيِّ وحدَه، وهو ما يجعلُ الدعوةَ مزدوجةً بين المنتج والمستهلك معًا، فكما أننا نشجعُ المستهلكَ على استخدام المنتَج الوطنيِّ، إننا لنحُثُّ المصنِّعين المحلِّيين أيضًا على ضَرورة اتِّباع المواصفات الوطنية والدولية التي تكفُلُ لهم قَبولَ منتجاتهم في السوق السعودية والعالمية.

السوقُ الخليجيةُ ومستقبلُ الاقتصادِ الخليجيِّ

لا شكَّ أن الإعلانَ عن قيام السوق الخليجية المشتركة سيؤثِّرُ إيجابًا في المواطن والاقتصادات الخليجية، وسيُساعد دولَ الخليج على استكمال وَحدتها الاقتصادية في مواجهة العالم الخارجيِّ. ولا يخفى أن السوقَ الخليجيةَ المشتركةَ ستمنحُ المواطنَ الخليجيَّ حريةَ ممارسة الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية في أيِّ مكان على امتداد دول المجلس، دونَ تمييز بين مواطني هذه الدول، وخصوصًا في مزاولة المهن والحرف والتداول والشراء، وتأسيس الشركات، والعمل في القطاعات الحكومية والأهلية، والتأمين الاجتماعيِّ، والتقاعد، وتملُّك العَقار، وتنقُّل رؤوس الأموال، والمعاملة الضريبية، والاستفادة من الخدْمات الصحية والتعليمية والاجتماعية، والتنقُّل، والإقامة. وستتيحُ لرجال الأعمال إقامةَ مشروعاتهم الاستثمارية في دول المجلس.

إن السوقَ الخليجيةَ المشتركةَ ستفتحُ صفحةً جديدةً في تمكين حكومات دول المجلس من التعامل الأقوى مع التكتُّلات الاقتصادية العالمية في ظلِّ العَولمة والصوت الاقتصاديِّ الأعلى في عالم اليوم؛ وهو ما يتطلَّبُ تكامُلاً أكبرَ يعزِّزُ مواقفَها التفاوضيةَ مع العالم الخارجيِّ الذي اتجهَ للتكتُّل والاندماج، ويرفعُ من قُدراتها التنافسية مع الاقتصاد العالميِّ، ويزيدُ من قدراتها على الاندماج في الاقتصادات العالمية. وستُسهم في رفع معدلات التجارة البَيْنيَّة الخليجية، وستتمكنُ من إزالة المعوقات التي تعترضُ حريةَ انسيابية السلع بين الدول الأعضاء، وسيتحققُ اتساعُ الرُّقعة الجغرافية أمامَ التجارة والاستثمار ليتمكَّنَ المورِّدون والمستثمرون من حرية الحركة وزيادة الفوائد المتحققة، بما يُعرف بالسوق الأوسع والاقتصاد الأكبر، وتحقيق كَفاءة أعلى للإنتاج واستخدام أمثل للموارد، فضلاً عما ستستفيدُه الصناعةُ الخليجيةُ من ذلك على وجه الخصوص بما يُعرَف بالإنتاج الواسع، وهو ما يَجْني فوائدَهُ المواطنُ الخليجيُّ والاقتصاداتُ الخليجيةُ كلُّها.

وأتطلَّعُ – كما يتطلَّع زملائي رجالُ الأعمال والاقتصاديُّون، والمستثمرون، والصناعيُّون – إلى مسارعة الأجهزة الحكومية المختصَّة في دول المجلس إلى إزالة أيِّ عَقَبات أو عَوائقَ نظامية أو إجرائية قد تعترضُ طريقَ التطبيق الصحيح والسَّلس لاتفاقية السوق المشتركة، وتحولُ دون الاستفادة القُصوى من جميع المزايا التي توفِّرُها تلك الاتفاقيةُ لأبناء دول المجلس. وأراها فرصةً ممتازةً – في ظلِّ تطبيق السوق المشتركة – أتيحَت لرؤوس الأموال الخليجية المهاجرة، للعودَة إلى دول المجلس، والعمل بقوَّة في قطاعات كثيرة واعدة، وعالية الجَدوى والرِّبح.

دروسٌ مستفادَةٌ من (١١ سبتمبر)

لا تزالُ تداعياتُ الحادث الأليم الذي هزَّ العالمَ يوم الحادي عشر من سبتمبر، تُلقي بظلالها على مُعظَم دول العالم شرقًا وغربًا؛ لتشابُك مصالح الدول، وتداخُل المحليِّ منها مع الإقليميِّ والعالميِّ. وإن علاقاتنا الاقتصاديةَ والسياسيةَ تأثَّرت تأثرًا ملحوظًا؛ إذ كشفت المحنةُ عن كهوف ظلَّتْ مستكينةً فيما مَضى من الزمن، وإذا بها تتربَّصُ الآنَ بالمسلمينَ والعرب وبخاصة المملكةُ، وتُسلِّطُ على الجميع أسنَّةَ الإعلام الحادَّةَ؛ تشويهًا متعمَّدًا يُخفي وراءَهُ خططًا مدروسةً سيكونُ من الصعب التنبُّؤُ بمآلاتها.

واقتصاديًّا، كان لا بدَّ أن نسعى جاهدينَ إلى إيجاد نوع من التوازُن في علاقاتنا بالآخرينَ، فليس أضرَّ على مسيرتنا الاقتصادية من الاقتصار على شريك واحد كبير، أو على مُنْتَج واحد نقومُ بتصديره إلى هذا الشريك؛ إذ هناك أكثرُ من فضاء وأكثرُ من شريك، بل هناك المجموعةُ العربيةُ التي كثُرَ الحديثُ اليوم عن ضرورة تدعيم وجودها بمزيد من التعاون والتكامل التجاريِّ والاقتصاديِّ، وستكونُ فرصةً طيبةً أمامَ اقتصادنا العربيِّ عمومًا – والسعوديِّ خصوصًا – لانتهاج مسار جديد يدعِّم فيه اتجاهَ التكامُل، مع زيادة نسبة التبادل التجاريِّ العربيِّ البَيْنِيِّ الذي لا يزيدُ على ٨٪ في مقابل ما يزيدُ على ٨٠٪ في التعامل مع (الآخر) البعيد!

ومن المفيد أيضًا أن نبحثَ عن شركاءَ جدد لاقتصادنا؛ مثل الصين واليابان وروسيا وآسيا الغربية، ويجبُ أن تقومَ علاقاتُنا التجاريةُ على مبدأ (win-win-strategy) أي سياسة العلاقة الرِّبْحية المتبادَلة التي من الممكن أن نكسرَ بها الطريقةَ التقليديةَ في تعامُلاتنا، وهذه دعوةٌ مخلصةٌ لقطاعاتنا الإنتاجية غير النِّفطية للأخذ بزمام المبادرة عاجلاً.

وبالإجمال إن الحديثَ عن ضرورة إعادة النظر في علاقتنا الاقتصادية بالخارج، يجب أن يتَّسعَ ليشملَ عناوينَ أخرى تصبُّ جميعًا في تعزيز تمسُّكنا بهويتنا وثقافتنا الإسلامية العظيمة، مع وضع مصلحة اقتصادنا الوطنيِّ في مقدِّمة سُلَّم أولويَّاتنا.

التنميةُ وبناءُ الإنسان

بناءُ الإنسانِ يكونُ – بدايةً – بضمانِ حريته وكرامته المتمثلة في التزاماتِ الدولةِ تجاهَ المواطنِ بما تُتيحه من توفيرِ الرخاءِ والازدهارِ، وتحقيقِ الاحتياجاتِ الأساسيةِ في كلِّ المجالاتِ.

وإن بناءَ الإنسانِ يتحقَّق باستيعابِ نماذجَ للتطوُّرِ لا تكونُ مختلفةً أو مغايرةً لظروفه المتميزة، وتكونُ أكثرَ ملاءمةً لواقعه الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، بحيثُ يكون الفردُ – بَمنْحه المزيدَ من الفرصِ للإبداعِ والابتكارِ– هو المؤثرَ الرئيسَ في العمليةِ الإنمائيةِ التي تعودُ بالنفعِ عليه، ولا تجعلهُ أسيرًا لمسارِ التنميةِ، أو مجردَ أداةٍ فيها، كما هو الشأنُ في بعضِ المجتمعاتِ الأخرى.

هذه في تصوُّري هي المعادلةُ التي مكَّنَت المجتمعَ السعوديَّ – بما عُرف عنه من استقرارٍ وتوازنٍ – من الحفاظِ على مقوِّماته الذاتيةِ وسلوكِ أفرادِه المستجيبِ لأهدافِ تكريمِ الإنسانِ كما تريدُهُ شريعتُنا الإسلاميةُ السمحةُ، وكما يَنشُدُهُ المجتمعُ الإسلاميُّ السليمُ.

وإن الحديثَ عن مجالاتِ التنميةِ في هذه الأرضِ الطيبةِ لا بدَّ أن ينطلقَ من تفهُّمِ خصوصيةِ المجتمعِ السعوديِّ، ومن تطلُّعاته الموازيةِ لتلك الخصوصيةِ، ليس فقط على مستوى تبنِّي المخطَّطاتِ والنماذجِ الإنمائيةِ المتطوِّرة، إنما على مستوًى يحفَظُ للمملكةِ رصيدَها العربيَّ والإسلاميَّ، بوصفِها دولةً أصيلةً ومعاصرةً تتحملُ مسؤولياتها تجاهَ كلِّ المجتمعاتِ العربيةِ والإسلاميةِ والصديقةِ.

صورة تذكارية لمجموعة من الشباب السعوديين الذين تلقوا دورة تدريبية في معهد الجريسي للتدريب. وتضم الصورة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز وعن يمينه الشيخ عبدالرحمن الجريسي

سوقُ العمَلِ والحاجةُ إلى التخصُّصاتِ التِّقْنية

أكَّدت خُططُ التنمية الخَمْسيَّة المتلاحقَةُ الارتباطَ المباشرَ بين التعليم التِّقْنيِّ العالي من جهة، والتوصُّل إلى تقدُّم تنمويٍّ مَنشود من جهة أخرى، وذلك بتأهيل الأيدي العاملة الوطنيَّة في مُختَلف المجالات التِّقْنية لسَدِّ الحاجة التي يفرضُها سوقُ العمل بالمملكة، وعلى الرُّغم من التطوُّر التنمويِّ الملحوظ الذي شَهدناهُ في السنوات الماضية لا يمكنُ إغفالُ حقيقة مَفادُها أن مُستَوى التِّقنية المستخدمة في المملكة لا تُجاري ما تحقَّق من تطوُّر تنمويٍّ، وذلك كنتاج طبيعيٍّ لمحدودية الكليَّات والبرامج التِّقْنية. ويكفي للدَّلالة على ذلك أن نعلمَ أنَّ الطلابَ الملتحقينَ بمُختَلف الكلِّيات والبرامج التِّقْنية في المَملكة لا يتجاوزُ عددُهم ما نسبتُه ٧٪ من مجموع الطلبة الملتحقينَ بمُختَلف مؤسَّسات التعليم العالي.

وإذا كانت القطاعاتُ الاقتصاديةُ في المملكة تشهَدُ تطوُّرًا تنمَويًّا مَلحوظًا على امتداد الخُطَط التنمويَّة الخَمْسيَّة، فإن ما يجبُ وضعُه في الحُسبان هو تأكيدُ المسؤولية الملقاة على عاتق القطاعَين العامِّ والخاصِّ على حدٍّ سواء، وذلك بتبنِّي الكثير من المشاريع والتخصُّصات التِّقْنية، ولا سيَّما في المجالات الصناعية. ومن أهمِّ الجوانب التي تتطلَّبُ تضافُرَ ودَعمَ القطاعَين كلَيهما، العملُ على زيادة البرامج والمناهج التعليمية ذات الصِّلة الوثيقة بالعلوم التِّقْنية والارتقاء بمستَواها، وذلك توصُّلاً إلى إيجاد قاعدة جيِّدة من القُوى العاملة المؤهَّلة والقادرة على دفع عملية التطوُّر التِّقْنيِّ في المملكة، إضافةً إلى تفعيل الاستفادة من مراكز البحوث والدِّراسات التِّقْنية من قِبَل مُنشآت القطاع الخاصِّ.

وإننا إذ نكرِّرُ مرارًا التنبيهَ على أهميَّة تحقيق المُوَاءمة بين مُخْرَجات التعليم وحاجة سوق العمل، خاصةً في ظلِّ تضخُّم أعداد خرِّيجي الكلِّيات والجامعات ممَّن لا يحتاجُ إليهم سوقُ العمل فعليًّا، فإنني أؤكِّدُ أن التوسُّعَ في إنشاء وتطوير الكليَّات والبَرامج التِّقْنية لَيُعَدُّ بيتَ القصيد في هذا الجانب.

ولتحقيق ذلك أقترحُ أن تُنشأَ كليةٌ تقْنيةٌ في كلِّ محافظة من محافظات المملكة، على أن تُوضَعَ البرامجُ والتخصُّصاتُ التِّقْنيةُ لتلك الكليات وَفقًا لمَدى حاجة سوق العمل في تلك المحافظات، مع تأكيد ضرورة أن تمارسَ تلك الكليةُ مهامَّها تحت إشراف إحدى جامعات المملكة.

وإنَّ من المهمِّ أيضًا ألا تقتصرَ الكليَّاتُ على منح شهادات الإجازة (البكالوريوس)، وإنما يجبُ أن تُعنى بمنح شهادات الدبلوم، ولا سيَّما في بعض البرامج التِّقْنية التي يكتفي المتخصِّصونَ فيها بدراسة مرحلة زمنية لا تتجاوَزُ غالبًا السنتين.

الحياةُ الفطريةُ من منظورٍ دينيٍّ اقتصاديٍّ ثقافيٍّ

منذُ فجرِ التاريخِ تبوَّأت القيمُ الاقتصاديةُ والأخلاقيةُ والاجتماعيةُ والثقافيةُ مكانَتَها في ممارساتِ الإنسانِ وتطلُّعاتِه المختلفةِ، بل وفي مُعتقَداتِه، وقد أسهم التنوُّعُ الأحيائيُّ بكلِّ مستوياته إسهامًا أساسيًّا في دَعمِ إنتاجيةِ الزراعةِ والمراعي والغاباتِ، وفي تنميةِ فنونِ الصناعةِ والعُمرانِ، وخاصةً في المجتمعاتِ التي تعتمدُ عليها اعتمادًا مباشرًا. وحتى نتمكنَ من الحفاظِ على التنوُّعِ الأحيائيِّ الذي يرتبطُ مصيرُهُ – دومًا – بمصيرِ الموارِدِ الفطريةِ، كان لا بدَّ لنا من أن نغيِّرَ نظرتَنا الاقتصاديةَ إليه، وأن نعدِّلَ من طريقةِ تعامُلِنا معه، فننظرَ – باهتمامٍ بالغٍ – إلى ما قاله المسؤولونَ من أن أهمَّ قضايانا المعاصرةِ:

قضيةُ الحاجةِ إلى إيجادِ توازنٍ دقيقٍ بين تحقيقِ التنميةِ الاقتصاديةِ المطلوبةِ لرفاهيةِ الإنسانِ من جهةٍ، والمحافظةِ على البيئةِ ومواردِها الطبيعيةِ المتجدِّدةِ من جهةٍ أخرى، على نحوٍ يسمحُ للبيئةِ بمواصلةِ تزويدِ الإنسانِ باحتياجاتِه المعيشيةِ والمحافظةِ على نوعيةِ الحياةِ التي نحياها على كوكبِ الأرضِ، وهي قضيةٌ تهمُّ الإنسانيةَ جمعاءَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها؛ إذ إننا نعيشُ على كوكبٍ واحدٍ متجانسٍ، وإن ما يحدثُ في جُزءٍ منه يؤثِّرُ – بالضرورةِ – في باقي الأجزاءِ؛ لكنَّ تلك المسألةَ تهمُّنا – هنا في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ – بدرجةٍ أكبرَ وإلحاحٍ أشدَّ؛ وذلك لوقوعِ المملكةِ داخلَ نطاقِ الحزامِ الجافِّ وشبهِ الجافِّ؛ وهذا يجعلُ نُظُمَها البيئيةَ الهشَّةَ حساسةً، ومواردَها الطبيعيةَ محدودةً، وتحتاجُ – بدرجةٍ أكبر – إلى التعاملِ الحكيمِ والإدارةِ السليمةِ للمحافظةِ على الحياةِ الفطريةِ في حُدودِ الاتِّزانِ البيئيِّ الطبيعيِّ، لكي تفيَ باحتياجاتِ الطلبِ المتزايدِ على الموارِدِ الطبيعيةِ للجيلِ الحالي، وللأجيالِ الآتيةِ على حدٍّ سَواء.

التنوُّعُ قاعدةً للاستثمار

ربما كنَّا قد تابعنا الصُّعودَ البيانيَّ المثيرَ الذي شَهِدَه العالمُ في ستينيَّات القرن الماضي للاستثمار في سوق الأسهُم، وخصوصًا في الولايات المتحدة وأوروبا، وكيف أن أصولَ تلك الأسواق قَفَزَت في سنوات قليلة لم تتعَدَّ الخمسَ من بضع مئات الملايين من الدُّولارات إلى خمسة (ترليون) دولار أمريكي، وما حقَّقه المُضاربونَ فيها من أرباح خيالية؛ وكيف انتقلَ بعضُهم – بين عَشيَّة وضُحاها – من خانة آحاد الأرقام من العُملات إلى العَشَرات، لكنَّنا لن ننسى – بالمقابل – كيف حلَّت الصاعقةُ على هؤلاء؛ بسبب انتكاسات (البورصات) العالمية في أول السبعينيَّات وفي نهاية التسعينيَّات من القرن الماضي؛ كما حدَثَ في (بورصة) شيكاغو، وفي أسواق نمور آسيا. أما محليًّا، فإننا لا نزالُ نعيشُ تداعيات الانهيار الكبير لسوق الأسهم السعودية وخَسارتها؛ إذْ آلَت آمالُ الحالمينَ بثراءٍ سريعٍ إلى خَيباتِ أملٍ، ونَكْساتٍ مُوجعَة. ولذا أقول:

إن التوزيعَ المتوازنَ لرؤوس أموالنا مهما بَدَتْ صغيرةً، على أكثرِ من مشروع، سيضمَنُ لنا تحقيقَ عوائدَ وأرباح وإن بَدَتْ قليلةً، لكنها ستكونُ في الغالبِ مُستدامَةً، ونستطيعُ – فضلاً عن ذلك – أن نكسبَ من ورائها مَزيدًا من الخِبْرات والمعارف الإدارية في طريقة عملِ السوق وآليَّاته.

إن حالات الصعود والهبوط الحادَّةَ في دُنيا المال والأعمال في الداخل والخارج، وإن بَدَتْ مُوجعَةً، ستَبقى مُفيدةً لمن يملكُ الإرادةَ والرغبةَ، فمن رَحِم الخَسارَة تُولَدُ الأرباحُ، ومن معرفة الخطأ يتعلَّمُ المرءُ الصَّوابَ.

الجريسي في اجتماع مع وفد من رجال الأعمال من دولة الهند

كلمات مختصرة

هذه الآراءُ جمعتُها من عَشَرات المقابلات الصحفيَّة التي أُجريَت معَ والدي، سواءٌ بوصفه رئيسًا للغرفة التجارية الصناعية بالرياض، أو رئيسًا لمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية، أو رئيسًا لمجموعة الجريسيِّ، وهي تتميَّزُ باختصارٍ في الإجابة، وتكشفُ عن رأيه في بعض جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

المركزية واللامركزية:

المركزيةُ نظامٌ مفيدٌ ونافعٌ، بل ضَروريٌّ للإدارة في المؤسَّسات الصُّغرى ولرجال الأعمال المبتدئينَ، أما المؤسَّساتُ الكبرى والشركاتُ الضَّخمةُ فإنها تحتاجُ إلى اللامركزية؛ لأن المركزيةَ مُضِرَّةٌ لها، وذاتُ عواقبَ وخيمةٍ في كثيرٍ من الأحيان.

الصَّادراتُ السعودية:

تحوَّلَت صناعةُ النِّفط من مَصدَرٍ وحيدٍ للدَّخل الوَطَنيِّ إلى واحدة من مَصادره المتعدِّدة، فقبلَ بَدْء خُطط التنمية كانت المملكةُ تعتمدُ على تصدير سلعة واحدة تقريبًا، وكان النِّفْطُ وقتَها يشكِّل أكثرَ من ٦٤٪ من الناتج المحليِّ الإجماليِّ. أما اليوم فإن صادراتِنا متعدِّدةٌ، واعتمادَنا على النِّفْط في انخفاضٍ مستمرٍّ.

القطاعُ الخاصُّ:

قطاعٌ مُساندٌ، وداعمٌ رئيسٌ لخطَّة الدولة في عمليَّة التنمية.

التجارةُ:

هي علمٌ وتطبيقٌ ومَهارةٌ، وليست (شطارة).

الصِّناعةُ:

هي خيارٌ اقتصاديٌّ استراتيجيٌّ في المملكة، ولا سيَّما عندما تكونُ ذاتَ جَودَة عالية تمكِّنُها من مُنافسة مَثيلاتها، وكذلك إن كانت ذاتَ قُدرة تصديرية عالية، تمكِّنُها من اجتياح الأسواق الخارجية.

المنتجاتُ الوطنيَّة:

أثبتَت جَدارَتَها، ويجبُ تفضيلُها، فهي ثَروةٌ لا تقدَّرُ بثمَن؛ لأنها محصِّلةُ جهد مجتمعنا الطَّموح وإبداعه، وإصراره على تقليص الهُوَّة الفاصلة بينه وبين باقي شُعوب البُلدان التي سبقَتهُ في هذا المجال.

الخَصْخَصَة:

هي عمليةُ نقلِ ملكيةِ المنشآتِ الاقتصاديةِ من الدولةِ إلى القطاعِ الخاصِّ؛ بهدفِ زيادةِ الفاعليةِ الاقتصاديةِ لتلكَ المنشآتِ؛ لذا فإن الحكمَ على جَدوى الخَصْخَصَةِ وعَدَمِها يعتمدُ على مدى تحقيقِها لهذا الهدفِ.

السوقُ العربيةُ المشتَرَكَة:

أنا من المناشدينَ إقامةَ سوقٍ عربيةٍ مشتركةٍ، وأعتقدُ أننا تأخَّرنا في ذلكَ كثيرًا؛ ولكنَّ إقامةَ السوقِ الخليجيةِ المشتركةِ قد تكونُ خطوةً على الطريقِ.

الأرباحُ والمخاطَرَة:

الأرباحُ هي هدَفٌ يسعى إلى تحقيقِه كلُّ رجلِ أعمالٍ، أما المخاطَرَةُ فيجبُ الابتعادُ عنها قدرَ الإمكانِ؛ لأنها قد تؤدِّي إلى الخَسارةِ التي تُلحقُ بصاحبِها أشدَّ الضَّرَرِ؛ ومن ثَمَّ يجبُ في أثناءِ سَعينا للرِّبحِ أن نكونَ حَذِرينَ، وحبَّذا لو نهتمُّ بعمَلِ الدِّراساتِ المسبقَةِ عن جَدوى المشروعاتِ المُزمَعِ القيامُ بها؛ حتى نقلِّلَ من نسبةِ المخاطَرَةِ فيها إلى أدنى حدٍّ مُمكنٍ.

الخَسارةُ:

الخسارةُ في الأعمالِ التجاريةِ نوعان: خَسارةٌ قاصمةٌ قاسيةٌ، قد تؤدِّي إلى إنهاءِ عملِ التاجرِ تمامًا. وخسارةٌ محدودَةٌ، يجبُ الاستفادةُ منها لعدمِ تكرارِها مُستقبلاً. ومن الأمورِ التي يجبُ على كلِّ رجلِ أعمالٍ أن يدركَها:

أن الخسارةَ قد تقعُ في أيِّ وقتٍ؛ لكنْ من الضروريِّ أن يكونَ مُحتاطًا لذلك، وأن يعملَ على الاستفادةِ من الظُّروفِ التي أدَّتْ إلى وقوعِها؛ حتى لا تتكرَّرَ، وإلا وصلَ إلى النوعِ الأولِ، وكانت نهايةَ عملِه التجاريِّ، لا قدَّر اللهُ.

وعلى المستوى الشخصيِّ إذا كانت الخسارةُ ناتجةً عن اجتهادٍ تسبَّبَ به أحدُ الذين منحتُهُم ثقتي فإنها لا تؤلمُني، ولكن ما يؤلمُني هو الخسارةُ التي يتسبَّبُ بها عن قصدٍ أحدُ الذين وَثِقتُ بهم.

الشركاتُ المساهمَةُ:

من الناحيةِ الاقتصاديةِ هي وسيلةٌ لجَذبِ مدَّخَراتِ المواطنينَ، وأداةٌ لتعبئةِ الاحتياطاتِ النقديةِ، ونقلِها من جانبِ العَرضِ إلى جانبِ الطَّلَبِ، لتُسهمَ في تَراكُمِ رأسِ المالِ وزيادةِ الاستثمارِ في البلدِ. أما من الناحيةِ الاجتماعيةِ فهي طريقةٌ لتوسيعِ قاعدةِ أصحابِ الأعمالِ، ودعوةٌ لأكبرِ عددٍ منَ الأفرادِ لدعمِ جهودِ القطاعِ الخاصِّ، من أجلِ تعبئةِ الموارد.

الشركاتُ العائليَّةُ:

أسلوبٌ لاستثمارِ المالِ يتفقُ معَ تقاليدِنا وعاداتِنا التي يكونُ فيها للأسرةِ والعائلةِ دورٌ كبيرٌ في حياتِنا الخاصَّةِ والعامَّةِ.

العمَلُ المِهْنيُّ:

تحتاجُ إليهِ بُلدانُنا مثلما تحتاجُ إلى العمَلِ الذِّهْنيِّ، والقرارُ الذي اتَّخَذَهُ مجلسُ الوزراءِ، برئاسةِ خادمِ الحرمَينِ الشَّريفَينِ – يحفظُه اللهُ – بتقليصِ عددِ الملتَحقينَ بالجامعاتِ، معَ زيادةِ عددِ طلابِ المعاهدِ والكليَّاتِ الفنيةِ والتِّقْنيَّةِ هو قَرارٌ حَكيمٌ سوفَ يكونُ لهُ أطيبُ الأثرِ – دونَ شكٍّ – في إقبالِ طلابِ المدارسِ على تلكَ المعاهدِ والكليَّاتِ.

الغُرَفُ التِّجاريةُ:

مَنوطٌ بها مَهامُّ كثيرةٌ، وخصوصًا في وقتِنا الراهنِ، الذي يتميَّزُ بزيادةِ الدَّورِ الذي يؤدِّيهِ القطاعُ الخاصُّ، بعدَ التوجُّهِ المتزايدِ الذي يشهَدُه العالَمُ نحوَ الخَصْخَصةِ، وما يُمكنُ أنْ يترتَّبَ على ذلكَ منْ تقلُّصٍ لدَورِ القطاعِ العامِّ في عَصرِ العَولَمَةِ، وقُربِ سَرَيانِ القَراراتِ التي اتخذَتْها مُنظمةُ التجارةِ العالميةِ.

الكتابُ:

هو خيرُ جليسٍ، وكنزٌ منَ المعرفةِ لا يقدَّرُ بثمَنٍ، فكلَّما زادَ اطِّلاعُ الإنسانِ، وكَثُرَ عددُ الكُتُبِ التي قرأها، توسَّعَت دِرايتُه، وتعمَّقَ إدراكُهُ، وتضاعَفَ حَجمُ ثقافَتِه، وفي ذلكَ فائدةٌ لحَياتِهِ وعمَلِه.

التأمينُ الصحِّيُّ:

حقٌّ لكلِّ ساكنٍ على هذهِ الأرضِ، ومنْ مَصلَحَتِنا أنْ يتمتَّعَ المواطنُ والمقيمُ دومًا بصِحَّةٍ جيِّدةٍ.

المرأةُ:

هي محْوَرُ ارتكازٍ للأسرةِ الصالحةِ، وما توفِّرُهُ منْ بيئةٍ مُستقرَّةٍ يجعلُ الرجلَ يسعى إلى إنجازِ أعمالِهِ باقتدارٍ، ويشُقُّ له طريقَ النجاحِ.

سيِّدةُ الأعمالِ:

لقد كرَّمَ الدينُ الإسلاميُّ المرأةَ، وكَفَلَ لها حقوقَها، ومنها حقُّها في العمَلِ، والمرأةُ المسلمةُ منذُ عصرِ الرسولِ – صلى اللهُ عليه وسلم – تعمَلُ في مُخْتَلفِ المجالاتِ والحقولِ التجاريةِ وغيرِها؛ لذا أؤكِّدُ أنَّ العملَ هو حقٌّ للمرأةِ كما هو حقٌّ للرجلِ؛ ولكنْ وَفْقَ الضَّوابطِ الشرعيَّةِ الكفيلةِ بحفظِ كرامتِها وشرفِها.

سيِّدةُ الأعمالِ الناجحةُ:

هي التي تختارُ بعنايةٍ المشروعاتِ المناسبةَ لقُدراتِها وإمكاناتِها، والتي تلبِّي احتياجاتِ السوقِ، فتوجِّهُ إليها استثماراتِها، وتقومُ بإدارَتِها بنفسِها في نطاقِ الأنظمةِ واللوائحِ، وتهتمُّ بالاطِّلاعِ على كلِّ ما هو جديدٌ في مجالِ نشاطِها؛ بهدفِ تحسينِ الأداءِ وتنميةِ هذا النشاطِ.

رجلُ الأعمالِ الناجحُ: مَن يُسايرُ العصرَ، ويسعى دومًا إلى التطويرِ والارتقاءِ.

التخصُّصُ: شعارُ التقدُّمِ الإنسانيِّ.

اقتصادٌ متميِّز: توسُّعُ التعليمِ التِّقْنيِّ العالي، وتحقيقُ المواءَمَةِ بين مُخرَجاتِ هذا التعليمِ وحاجةِ سوقِ العمَلِ.

العمَلُ: وسيلةٌ شريفةٌ لدَرءِ الفَسادِ الذاتيِّ والاجتماعيِّ، ولدَفعِ الفقرِ، وبناءِ الاقتصادِ.

التواضُع: صِفَةٌ أحرِص عليها.

الحياةُ: (ورشةُ) عملٍ، ومزرعةٌ للآخِرَة.

الوطنُ: هو الانتماءُ والوَلاءُ.

النَّجاحُ: ثمرَةُ الكفاحِ، وهو يتطلَّبُ ثلاثةَ أمورٍ: الإخلاصَ في العمَلِ، وعدمَ الاستسلامِ لأيٍّ من المصاعبِ، والتعلُّمَ المستمرَّ.

الخبيرُ الأجنبيُّ:

بلداننا تحتاج إلى الخُبَراءِ الأجانب بنفسِ المقدارِ الذي ينقُصُها من خُبَراءِ أبناءِ المنطَقَة، ولذلك فإن من واجبنا أن نهيِّئَ لهؤلاءِ الخبراءِ كلَّ الأجواءِ المناسبةِ التي تمكِّنُهُم من تقديمِ كلِّ ما لديهِم من كفايةٍ وخِبرَة، بأحسنِ صورةٍ مُمكنة.

الإيمان: وَقودُ الاطمئنان، وبخاصةٍ الإيمانُ بالقَدَر، على ما قال القائلُ:

إنَّ الأمورَ التي في اللَّوحِ قَد كُتِبَتْ ... إنْ لم تكُنْ يا فَتى تأتيكَ تأتيها

العَشوائيَّة: لا أعتقدُ أن لها أيَّ مكانٍ في خِياراتِ رجلِ الأعمالِ الناجحِ.

فلسفَتي في الحياة: تنطلقُ من مَقولة: اعمَلْ لدُنياكَ كأنكَ تعيشُ أبدًا، واعمَلْ لآخرَتكَ كأنك تموتُ غدًا.

تربيةُ الأولاد: مسؤوليَّةٌ مشتركةٌ بين الوالدَين؛ كلٌّ يقومُ بدورِه، لكنِّي أعتقدُ أن الدورَ الذي تقومُ به الأمُّ يفوقُ – كمًّا، وأهميةً – ما يقومُ به الأبُ.

موظَّفٌ لا تَستَغني عنه: كلُّ من يعمَلُ بإخلاصٍ وبجدٍّ، ويتعامَلُ مع الشركةِ على أنها مِلكٌ خاصٌّ له.

الغشُّ التجاريُّ: حَرامٌ، يجبُ التصدِّي له بكلِّ حَزمٍ.

نقلُ التِّقنية (تكنولوجيا): يجبُ أن يكونَ تعاملُنا مع التِّقنية بالسَّعيِ إلى تَوطينِها، لا الاقتصارِ على نقلِها.

الرِّشْوَة: حَرامٌ، وهي مَرَضٌ خطيرٌ، يجبُ تكاتُفُ الجميعِ للقَضاءِ عليه.

الإدارةُ بالاجتهادِ: المديرُ المجتهِدُ مطلوبٌ، لكن يظلُّ الأهمُّ تفعيلَ ذلك الاجتهادِ بالعلمِ والخبرةِ.

رجلُ أعمالٍ لا يصحو مبكِّرًا: إن البركةَ في البُكورِ.

شركةٌ تتأخَّرُ في دفعِ مُستَحَقَّاتِ موظَّفيها: تكتبُ نهايتَها بنفسِها.

مديرٌ يوقِّعُ دونَ أن يقرأَ: لا يُعتمَدُ عليه.

مصرفٌ يُهمِلُ صيانةَ أجهزةِ الصَّرفِ الآليِّ: سيدفعُ الثمنَ غاليًا.

مُنافسوك: مُنافَسَتي لهم تعودُ بالخيرِ على الإبداعِ في العمَلِ.

رجلُ أعمالٍ لا يحملُ بطاقةَ تعارُف: ليس برجُلِ أعمالٍ.

رجلُ أعمالٍ لا يتحدَّثُ لغةً ثانيةً: قد يخسَرُ كثيرًا.

كلمةٌ للشَّبابِ: تحلَّوا بالصبرِ والثقةِ والعزيمةِ، ولا تتعَجَّلوا صُعودَ القِمَّة.

كلمةٌ للموظَّفِ: اجعَل مَصلحةَ صاحبِ العمَلِ أولاً، فهذا يؤدِّي بالضَّرورةِ إلى تحقيقِ مصلحَتِك.

النِّية : عندما تَصدُق النوايا، فإن الصِّعابَ تَهونُ.

الأخطاء: كلَّما دَرَسنا الأخطاءَ، اختَصَرنا الطريقَ إلى النجاحِ.

الصِّدقُ: هو أساسُ التعامُلِ.

الأمانةُ: رأسُ المالِ.

الإخلاصُ: مِفتاحُ النَّجاحِ.

الوقت: الاهتمامُ بالوقتِ يختصرُ الطريقَ للوصُولِ إلى الهدَفِ.

احترامُ الناسِ: دعايةٌ مجانيَّة.

أُمنية تودُّ تحقيقَها:

كنتُ سألتُ الوالد منذ أكثر من عشرين عامًا عن أعظم أمانيه ، وكنتُ أتوقعُ أن تكون إجابتهُ حول توسيع ثروته أو تحقيق مناصبَ دنيوية؛ لكنه فاجأني بأنْ قال : أعظمُ أُمنيةٍ لديّ أن يكون عندي سِلاح يُمَكِّنُني بكَبْسةِ زرّ أن أُطهِّر البلادَ من الفَساد.

وأخيرًا كلمةٌ أودُّ تقديمَها:

لا شكَّ أن القيمَ الإسلاميةَ تمثِّلُ كينونةَ الشخصيَّة العربية الإسلامية، جَوهرًا ومَظهرًا، ومَنهجًا وسُلوكًا، وأيُّ أمةٍ متميِّزة بمظهَرِها، وبجَوهرِ أخلاقِها، وبحَضارَتِها ستكونُ – بلا شكٍّ – أمةً رائدةً ومؤثِّرةً وذاتَ رسالة. وإن أمةً هذه حالُها، وهذه قوةُ حضارتِها ستكونُ ندًّا للحَضارات الأُخرى، خاصةً أن حضارتَنا تتميَّزُ بمضمونِها الأخلاقيِّ والروحيِّ الثرِّ في عالمٍ أحوجَ ما يكونُ إلى الرُّوحِ والأخلاقِ في ظلِّ طُغيانِ المادةِ عليه، وقد قال الشاعرُ:

وإنَّما الأُمَمُ الأَخْلاقُ ما بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

ومن المُحزنِ أن شبابَ اليوم قد تأثَّروا بالمظاهرِ الخادعة، والتقليدِ غيرِ النافع؛ فوجبَ علينا –معشرَ الآباء– أن نعلِّمَ أبناءَنا الأخلاقَ التي تربَّى جيلُنا عليها؛ من صدقٍ وأمانة وإخلاصٍ ووَلاء، نعلِّمُهم قيمةَ الحياة، ونحاولُ أن نبنيَ في نفوسِهم أمرًا مهمًّا، هو شعورُهم بقيمةِ المالِ، ولذَّةِ إنفاقِه فيما يعودُ بالنفعِ عليهم وعلى مجتمعِهم، دونَ إسرافٍ فيما لا طائل وراءه.

إن التوازنَ الروحيَّ والماديَّ هو عِمادُ الحضارةِ والتقدُّم والخيرِ في الدنيا والآخرة، وهو البناءُ الحقيقيُّ لنا ولأجيالِنا القادمةِ، ويبقى أولاً وأخيرًا: رأسُ الحكمةِ مخافةُ اللهِ في كلِّ شيءٍ.

الفصل الحادي عشر

الجريسي في مرآة عارفيه

معالي الأمين عبد الله العلي النعيم[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ .. رجلٌ من رجالِ المملكةِ

لقد تعاملتُ تعاملاً مباشرًا مع سعادةِ الأخِ الشيخ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ، كواحدٍ من المجموعةِ الطيبةِ التي أسَّستْ مركزَ الأميرِ سلمانَ الاجتماعيَّ، فلَحَظتُ فيه الاستقامةَ والجدَّ في العملِ والتواضعَ والإخلاصَ في كلِّ شيءٍ، فكان نعمَ الزميلُ، آراؤُهُ جيدةٌ، ومداخلاتُهُ بنَّاءةٌ، وعطاءاتُهُ كبيرةٌ، قادرٌ على ضبطِ نفسِه، وحريصٌ على البذلِ في سبيلِ الخيرِ.

وإذا كان عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ شخصًا ناجحًا يُشارُ إليه بالبَنان، فإن هذا يرجعُ في رأيي إلى طموحِه الكبير، وقُدراته العاليةِ في إدارةِ وقتِه، ولا سيَّما من حيثُ ترتيبُ أولوياته؛ إضافةً إلى سموِّ أهدافه دائمًا، كما أنَّ لطباعِه التي رأيتُها مُلازمةً له – وخصوصًا الهدوءُ والتريُّثُ في اتخاذِ القراراتِ المهمَّة، والأمانةُ التي لا شكَّ في أنه نشأ يتلقَّاها في أساسِ تربيتِه، وكذلك حبُّهُ الشديدُ للخيرِ والمساعدةِ – أثرًا عميقًا في تحقيقِ النجاحِ الذي وصلَ إليه.

إن معرفتي بالأخ عبدِ الرحمنِ التي تعودُ إلى سَنواتٍ طويلةٍ – ولا تزالُ قويةً ومتينةً – تجعلُ شهادتي له مجروحةً، فلا يسَعُني في هذا المقامِ إلا أن أدعوَ له بالسعادةِ وطولِ العمرِ مع زيادةٍ في العملِ الصالحِ.

١. أمين أمانة مدينة الرياض سابقًا، ورئيس مجلس أمناء مكتبة الملك فهد الوطنية.

معالي الفريق عبد العزيز محمد هنيدي[1]

الجريسيُّ .. المُكافِح التِّقْني

عرَفتُ سعادةَ الشيخ عبد الرحمن بن عليٍّ الجريسيِّ منذ أكثرَ من عشرينَ عامًا، وتوطَّدَت معرفتي به في المرحلة التي كنتُ فيها رئيسًا لهيئة الإمدادات والتموين بالقوَّات الجوِّية؛ إذ بحُكم عمَلي المتَّصل بتوفير حوائج القوَّات الجوِّية من الأثاث واللوازم المكتبيَّة الإدارية والفنيَّة – كنتُ أجتمعُ بسعادته للمُناقشة في المسائل المتعلِّقة بجَودة البضاعة، والاتِّفاق على موعد التسليم، فضلاً عن تحديد السِّعر المعتدل المُناسب، فرأيت فيه بحقٍّ حرصًا كبيرًا على الالتزام بـ(مُثلَّث حُسن التعامُل التجاريِّ) كما يَطيبُ لي أن أُسمِّيَ تلك الصِّفات الثلاثَ الجادَّة.

وأذكر أنه كان لا يَفْتأ يردِّد مَقولة: «عُمَلائي هم شُرَكائي في تجارتي»، ويقصد أنه يتعاملُ مع عُمَلائه بصِدق وأمانة، ويحرِصُ على كسبِهم واستمرارِهم معه؛ لأنهم يكادونَ يكونونَ شُركاءَ لا عُمَلاء فحسب!

ومما يَلفتُ الانتباهَ في شخصيَّة أبي عليٍّ: تواضُعُه وحُسنُ تعامُله مع الجميع، وخاصَّة مع الشباب وأفراد المجتمع الذين لا تربطُه بهم مصلحة، فتراه يُجاملهم ويسمعُ آراءهم، وينصحُ لهم، ويقترحُ عليهم بصراحة. وهو معروفٌ بمحافظته على اللِّياقة البدنيَّة. وله حضورٌ ملموسٌ ومؤثِّر في النشاطات والمؤتمرات والمنتدَيات التجارية والصِّناعيَّة والاقتصادية، يغشاها دَومًا بصفته العامَّة والخاصَّة؛ بحُكم مَنصبه رئيسًا للغُرفة التجارية والصِّناعية بالرياض، على مَدار سنوات طويلة.

لا شكَّ أن الشيخ عبدَ الرحمن الجريسيَّ من وُجَهاء المجتمع السعوديِّ ورموزه، وصاحبُ خبرة عميقة في العمل التجاريِّ والصِّناعيِّ، والعَلاقات الاقتصادية الإقليميَّة والدَّوليَّة. وكذلك صاحبُ خبرة كبيرة في الحياة؛ فقد سافرَ كثيرًا، وزارَ جمًّا وَفيرًا من البلدان والمدُن محليًّا وإقليميًّا ودَوليًّا، وقابلَ الكثيرَ من الشخصيَّات الرفيعة المرموقة، وكوَّن ثقافةً واسعةً في المجالات التجارية والثقافيَّة والسِّياحيَّة وغيرها؛ باحتكاكه بشُعوب مُختَلفة تنتمي إلى ثقافاتٍ شتَّى، وهو من الرِّجال المُكافِحين في المملكة الذين يُشار إليهم وإلى عِصاميَّتهم بالبَنان.

---

١. قائد القوَّات الجوِّية سابقًا.

وقد بدأ مِشوارَ كفاحه بائعًا للأدوات المنزليَّة؛ حتى نَمَت التجارةُ لتصبحَ شركةَ (بيت الرياض الجريسي)، وما تزال ترتقي وتتقدَّم محقِّقةً نجاحًا بعد نجاح حتى غدَت (مجموعة الجريسي) إحدى أرقى الشَّركات العملاقة، والبيوتاتِ التِّجارية المشهورة.

ولم يقتصر تعاملُه على الأثاث واللوازم الحديثة للمكاتب؛ ولكنَّه تعدَّاها إلى مجال تقْنيَّة المعلومات؛ من حَواسيبَ وغيرها، وبات الخيارَ الأوَّلَ لكَثيرٍ من الدَّوائر الحكوميَّة ومؤسَّسات القِطاع الخاصِّ وشركاته.

وقد عرَفتُ كثيرًا من سيرةِ الشيخ الجريسيِّ من بعض عارفيه، وبخاصَّة الأستاذ محمد باقَيس، وهو أحدُ رجالِ الأعمال المُكافحين، الذين عملوا بجدٍّ وإخلاص معه في بداية عمله التجاريِّ، ولسنوات طويلة- عرَفتُ منه جُهودَ الشيخ وصَبرَه ودَأبه، وانضباطه في العملِ والمواعيد، وإصراره على شقِّ طريقه بنفسه، متوكِّلاً على الله وحدَه، حتى بلغَ هذا المستوى التجاريَّ والصناعيَّ الرفيع.

واشتَهر بقُدرته وكفايته في إدارة الأعمال، وأذكرُ أني كنت اقترحتُ على سعادته تدوينَ سيرةِ حياته وكفاحه الطويل والغنيِّ بالعِبَر والدُّروس النافعة التي تهمُّ رجالَ الأعمال وسيِّدات الأعمال، وخاصَّة أولئك الذين لم يكوِّنوا خبرةً طويلة في المجالَين التجاريِّ والصِّناعيِّ.

امتدَّت فروعُ (مجموعة الجريسي) على خريطةِ المملكة مُترامية الأطراف، وما تزال محافظةً على حُسن التعامل وجَودة المُنتَجات، مع حِرصِ الشيخ على تشجيع العاملينَ معه، حتى صار بعضُهم من رجال الأعمال المعروفين.

معالي الدكتور محمد بن إبراهيم السويل[1]

الجريسيُّ.. يستشرفُ المستقبلَ

لقد عرفتُ الشيخَ عبدَ الرحمنِ بنَ عليٍّ الجريسيَّ لِسُمعته الطيِّبة من الأعمالِ الجليلةِ التي تُنسَبُ إليه، قبلَ أن أتعرَّفَه شخصيًّا في اللقاءاتِ الاجتماعيةِ واللجانِ الرسميَّة، ثم في العملِ معه في مجالسِ إداراتِ بعضِ المؤسَّساتِ، وأخيرًا حينما وافقَ مشكورًا على الانضمامِ إلى المجلسِ الاستشاريِّ لرجالِ الأعمالِ في مدينةِ الملكِ عبدِ العزيزِ للعلومِ والتقنية.

وإنني على يقينٍ أن ثمةَ الكثيرين ممن عرفوا الشيخَ الجريسيَّ وعَملوا معهُ قبلي سيكتُبون عن المرحلةِ التي سبقَت معرفَتي به، فهم أعلمُ مني بذلك.

وحقيقةً لقد سعدتُّ حينما طُلبَ إليَّ الكتابةُ عن الشيخِ عبدِ الرحمنِ بنِ عليٍّ الجريسيِّ ورحَّبتُ بذلك؛ لما لهذا الإنسانِ من مكانةٍ خاصَّةٍ لديَّ، ولما يمثلُهُ من نموذجٍ للرجلِ العصاميِّ الذي بنى نفسَهُ بنفسه، واستطاعَ أن يكونَ أحدَ أهمِّ رجالاتِ الاقتصادِ في المملكةِ وفي الوطنِ العربيِّ، وكان له عملٌ رائدٌ في نقلِ تقنيةِ المعلوماتِ إلى المملكة.

فحينما أتحدَّثُ عن نقلِ التقنيةِ إلى المملكةِ فإن الشيخَ عبدَ الرحمنِ بنَ عليٍّ الجريسيَّ – ومن خلالِ إحدى مؤسَّساتِه التي جلبتِ الحاسوبَ الشخصيَّ وملحقاتِه إلى السوقِ السعوديَّة – كان يستشرفُ المستقبلَ في السبعينيَّاتِ الميلاديةِ، فقد كان بحَدْسِه يعلمُ أنَّ بلدًا كالمملكةِ – يستقبلُ نهضةً عمرانيةً واقتصاديةً – مقبلٌ على تنميةٍ في جميعِ الجوانبِ، وكان توجُّهُهُ الصحيحُ في عمليةِ التطويرِ للأعمالِ والإنسانِ بجلبِ التقنيةِ الحديثةِ ومتابعةِ التطوُّراتِ العلميةِ والتقنية، وحقًّا حصلَ ما كان يَنْشُدُهُ؛ فالمملكةُ ولله الحمدُ شهدَت نهضةً وتنميةً عظيمةً، واكتَبَتْها قَفَزاتٌ كبيرةٌ هي ما نشهَدُهُ اليومَ، ولعلَّ حصولَ شَركتِه على جائزةِ الشركةِ

١. رئيس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

الأسرع نموًّا بين شركات الحاسوب وتقنية المعلومات، هو أحدُ الشواهد على صدق حَدْس هذا الإنسان، وسرٌّ من أسرار إنجازاته المتعدِّدة وقدرته على تحقيق النجاح له ولوطنه على حدٍّ سواء.

وحين يأتي الحديثُ عن الوطن فللشيخ عبد الرحمن بن عليٍّ الجريسيِّ مواقفُهُ الوطنيةُ المعروفةُ، وإنَّ رئاستَهُ لمجلس الغُرَف السعودية والغرفة التجارية الصناعية بالرياض لعدد من الدورات تؤكِّدُ حسَّهُ الوطنيَّ ووقوفَهُ إلى جانب إخوانه من رجال الأعمال، وهو اليومَ أحدُ الأعضاء المهمِّين في المجلس الاستشاريِّ الأعلى لرجال الأعمال في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، نستفيدُ من خبراته ونجاحاته الكبيرة، ونستقي منه المشورةَ والرأيَ في كثيرٍ من القضايا التي تخدمُ التنميةَ في المملكة.

وفي هذه الوقفة القصيرة أتحدَّثُ عن الجوانب الشخصيَّة للشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ؛ فهو معروفٌ للجميع بتواضُعه الجمِّ وخُلقه الرفيع وحُسن تعامُله مع الجميع، ولقد لمستُ عن كَثَبٍ – بتعامُلي المباشر معه – مدى الانضباط والدقَّة في المواعيد والهدوء والوضوح في عرض الأفكار.

وأعلمُ يقينًا أنني لن أَفِيَهُ حقَّهُ في هذا الجانب، فحديثي عنه مَشُوبٌ بعاطفة كبيرة، وآمُلُ أن يكونَ هذا الكتابُ فرصةً يستكشفُ فيها القارئُ جوانبَ مضيئةً، وقصةَ كفاح للشيخ عبد الرحمن بن عليٍّ الجريسيِّ، استطاع بها أن يبنيَ صرحًا اقتصاديًّا يُعَدُّ من أهمِّ دعائم الاقتصاد الوطنيِّ، ونِبْراسًا لجيل اليوم والغد.

معالي السفير محمد عبد الحميد قاسم[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. شخصيةٌ اقتصاديةٌ متميزةٌ

عندما نسمعُ بفوزِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ، رئيسِ مجلسِ إدارةِ الغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياضِ، بجوائزَ تقديريةٍ من جهاتٍ رسميةٍ أو علميةٍ، فإن هذا – في تقديرِنا – تكريمٌ في موضعِه، فالشيخُ الجريسيُّ شخصيةٌ اقتصاديةٌ متميزةٌ، ويتصفُ بالحكمةِ والثقافةِ والدِّرايةِ بالأوضاعِ الاقتصاديةِ والسياسيةِ في المنطقةِ العربيةِ والعالمِ أجمع، والتحدياتِ التي تُفرزُها التطوراتُ العالميةُ المتلاحقةُ بشقَّيْها الاقتصاديِّ والسياسيِّ، وهذا ما مكَّنه من التحرُّكِ بفعاليةٍ لخدمةِ الاقتصادِ السعوديِّ.

وكذا فقد أولى أهميةً خاصةً للتعاونِ والتكاملِ مع الدولِ العربيةِ والإسلاميةِ الشقيقةِ، وعلى رأسِها جمهوريةُ مصرَ العربيةُ.

وفي هذا الصَّددِ أودُّ أن أسجِّلَ إشادتَنا وتقديرَنا الكاملَ لما يقومُ به الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ، والغرفةُ التجاريةُ في المملكةِ، من جُهودٍ لدعمِ العلاقاتِ الاقتصاديةِ بين الشقيقتَينِ مصرَ والسعوديةِ، والارتقاءِ بها إلى ذلك المستوى المتميِّزِ الذي وصلَتْ إليه علاقتُهما السياسيةُ تحتَ قيادةِ السيدِ الرئيسِ محمدِ حُسني مباركَ وخادمِ الحرمَينِ الشريفَينِ الملكِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ الذي يولي أهميةً خاصةً لدعمِ العلاقاتِ الاقتصاديةِ مع مصرَ. ومن ثَمَّ فإنَّ المرحلةَ القادمةَ ستشهَدُ – في تقديرِنا – المزيدَ من التنامي في العلاقاتِ الاقتصاديةِ، بما في ذلك النشاطُ الاستثماريُّ الذي نتوقَّعُ أن يشهدَ أيضًا قفزةً واسعةً، وذلك بجهودِ جميعِ الرجالِ الأمناءِ على مستقبلِ أوطانِهم.

وفي النهايةِ لا يسَعُنا سوى أن نرجوَ للشيخِ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ الشخصيةِ الاقتصاديةِ العربيةِ المتميِّزةِ دوامَ كلِّ الخيرِ والتوفيقِ، وأن نرجوَ للمملكةِ دوامَ الاستقرارِ والأمانِ والنماءِ والازدهارِ.

---

١. السفير المصري السابق في المملكة العربية السعودية، وحالياً مساعد وزير الخارجيَة المصرية للشؤون العربية.

الأستاذ نجيب الزامل[1]

الجريسيُّ.. ترشيحٌ لمنصبٍ جديدٍ[2]

الأستاذُ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الجريسيُّ اختير عضوًا في الأكاديميةِ الروسيةِ للعلومِ الاجتماعيةِ، وهو (تقديرٌ اقتصرَ على القلَّةِ المختارةِ في روسيا)- من خطابٍ بليغٍ وُجِّه لرؤساءِ اللجانِ القطاعيةِ في غرفةِ الرياضِ من قِبَلِ الأستاذِ حسينِ عبد الرحمن العَذْل – ولا أظنُ السيِّدَ العَذْلَ يُقيم لقاءً أو حفلاً في الغرفةِ للسيدِ الجريسيِّ من بابِ أنه حصل على تكريمٍ أو عضويةٍ، وإلا لما انتهَتِ المناسباتُ، ولكن من واقعِ أهميَّةِ ورقيِّ الأكاديميةِ الروسيةِ للعلومِ الاجتماعيةِ. وهذا يدعوني إلى تفكيرٍ آخرَ: أن يُعطى الجريسيُّ منصبًا عامًّا، ولكن دعونا نتحدَّثُ عن الحيثياتِ أولاً.

الجريسيُّ من الرجالِ النادرينَ ليس في الأعمالِ، ولكن في الناسِ عمومًا، الذين يتحلَّونَ بصفتَينِ اختلطَتا بمقدارٍ كما يخلطُ الكيميائيُّ الحريصُ عنصُرَينِ كيميائيَّين وهما: الكياسةُ الرفيعةُ، مع البساطةِ الذكيةِ. ولو راعَيتَ هذه المعادلةَ جيِّدًا سيتبيَّنُ لك مدى نُدرتِها، وهي في أكثرِ الحالاتِ لا يدَ لنا فيها، فهما صِفَتان من الطَّبائعِ المرسَلةِ التي تُخلَقُ مع صفاتِ التكوينِ في إنسانٍ مُختارٍ ثم تنمو معه، وينمِّيها هو من واقعِ أنَّ جذورَهما تنبتُ من خَلايا التكوينِ. ولا شكَّ أنَّ من يملكُهُما هو من المحظوظينَ لأنهما البوابتان المُشْرَعَتان لاستقبالِ قلوبِ الناسِ، وصدِّقني فإن كلَّ أنواعِ الناسِ من القادةِ الصارمين، إلى رجالِ الأعمالِ الحازمين، إلى الشُّعراءِ الحالمين يُبقي للقلبِ قيادًا لا يرتخي، ومشعلاً لا ينطفئ لقراراتِ العقلِ، أو لموجباتِ العلاقاتِ حين يتبلوَرُ إشعاعُ (الكاريزما) ليحكُمَ نوعيةَ العلاقاتِ.

وقد دُوِّنَ في التاريخِ السياسيِّ أن (نِهْرُو) كان من الزُّعماءِ الجماليِّين الذين تَبْزُغُ بهم هذه المعادلةُ المهمَّةُ لبناءِ العلاقاتِ الكبرى، لذا عاش (نِهْرُو) ومات ولم يُسجَّل له أو عليه أنه عاشَ صراعاتٍ أساسيةً مع

١. كاتب صحفي، وعضو مجلس الشورى.
٢. جريدة «الاقتصادية»: العدد: ٤٩٢٦ تاريخ ٢٠٠٧/٤/٧م.

خُصومه، أو أنه يومًا ضَعُفَت جُسورُهُ مع مؤيِّديه، وهو هنا فاق معلِّمَه غانْدي. لذا فإن الزعماءَ الكبارَ العاقلين يَحرِصون على اختيار وزراء خارجيَّتهم من هذا النوع ما أمكن، وكذلك اختيار كبار السفراء، وقد قرأتُ في مجلة أمريكية كبرى أن مشكلةَ الإدارة الأمريكية الكبرى مع الأمير بندر بن سلطان[١] كانت (كاريزمائيته) الشاهقةَ الحضور، وكذلك الحال مع سفيرنا في لبنان الدكتور عبد العزيز خوجة[٢] فإنه من علامات الرجال في هذه المعادلة الجمالية، ولك أن تتصوَّرَ كيف كان سيكونُ حالُنا مع الصِّراع اللبنانيِّ – وحالةُ لبنانَ شديدةُ السُّوء – لو لم يكن هو في المكتب الأول لنا في بيروت. نصلُ إلى السيِّد الجريسيِّ، حيث إنه من الممكن جدًّا أن يحوزَ منصبًا بهذه الأهمية وأن يكونَ مهيَّأً له تمامَ التهيئة، على أنَّ هذا ليس المنصبَ الذي نَنْشُدُهُ له.

ومن صفات السيِّد الجريسيِّ الواضحة أن العملَ التجاريَّ عنده تُغالِبُهُ صفةُ الهدف أكثرَ من أن تكونَ الوسيلةَ هي البازغةَ. بَيْدَ أن معظمَ فلسفة التجارة — في الواقع – قائمةٌ على أن العملَ وسيلةٌ للربح، وهذا مبدأٌ لا غُبارَ عليه ألبتةَ، إلا أنك حين تقلِّبُ تلك المعادلةَ فإنك تجبرُ عملَكَ لكي يكونَ هدفًا بذاته، أي أن يكونَ نافعًا للعموم أو للخصوص، فهنا يكونُ العملُ التزامًا منهجيًّا أكثرَ منه طريقًا مرنًا متشعِّبًا يصلُ إلى هدف أو أهداف. أعطيك أولاً مثلاً على (الخصوص) حين يكون العملُ هدفًا بحدِّ ذاته، فلو كنتُ أنا مثلاً من رجال الأعمال الحاملينَ لهذه الصِّفة لكنتُ وجَّهتُ كلَّ عنايتي ليكونَ عملي مكتبةً مختصةً ببيع الكتب، وهنا يكونُ العملُ محدَّدَ الجوانب من أجل رغبة منشودة، أو هواية محبوبة، أقولُ: لو كنتُ، لكني لستُ بذاك. وفي (العموم) مثلُ ما فعلَه رجلُ الأعمال الأمريكيُّ (هاورد هيوز) في ثلاثينيَّات وأربعينيَّات القرن الماضي في أمريكا حين أصرَّ أن يكونَ عملُهُ هدفًا بذاته وهو رفعُ تقانة مضمارَيْن يَهيمُ بهما حتى الجنون، وهما صناعةُ الطيَران وصناعةُ الأفلام، ودفع غاليًا من أجل ذلك ولم يَحِدْ، أو لم يستطعْ أن يَحيدَ. وهؤلاء الناسُ عندهم إلحاحُ الحسِّ الجماعيِّ، ومن الممكن أن يقودوا جمعيَّاتٍ عامةً كبرى للأعمال الهادفة، أو الصديقة للمجتمع.

والسيدُ الجريسيُّ كان عنيدًا بطبيعته في نشر الإفادة – وربما في رغبته الرِّيادية الإيجابيَّة – فالتزمَ التزامًا بالتقنية، ولا أخافُ أن أكونَ مُنحازًا إن قلتُ: إنه واحدٌ من أوضح رجال الأعمال الكبار توجُّهًا إلى هذه الناحية، (هيوز) تعلق بالتقنية (التكنولوجيا) في بلد عقيدتُه التقنية، ولكن أن يدخلَ هذا الرجلُ النجديُّ البسيطُ عالَمَ التقنية من بواباتها المتقدمة؛ مُستشرفًا مستقبلاً لم تكن تنظرُ إليه وكالاتٌ متخصِّصةٌ في ذاك الحين، ليختصَّ بالدائرة العملية التقنية، ثم يُحْكِمُ – تقريباً– قفلَ الدائرة، ولا تخرجُ أعمالٌ منها إلا تسريبًا أو جبرًا، فهنا تكونُ الرغبةُ الاستشرافيةُ ممتزجة مع خُلاصة الحسِّ الاجتماعيِّ لرفع قيمة أعماله ونشر وعي لمجتمعه في مخاطرٍ كانت — آنذاك – واسعةَ المسافة بين جُرُفَين، جُرُف المستقبل اللامرئيِّ، وجُرُف الحاضر

١. يتبوَّأ سموُّه حاليًّا منصبَ الأمين العامِّ لمجلس الأمن الوطنيِّ السعودي.
٢. هو الآن وزير الثقافة والإعلام.

المغري بربح سريع في غير مجال أسهلَ وأسرعَ للإتقان حالَ كثير من زملائه. ويمكنُهُ – بهذه الميزة – أن يرأسَ جهازاً متقدِّمًا لتطوير الأعمال والمجتمع، على أن هذا ليسَ المنصبَ الذي نَنْشُدُهُ له.

من صفات المعتزِّين بأُمَّتهم ألا يعتَلُوا المنابرَ العالميةَ ثم يخطُبوا مدحاً في بلدانهم فقط، ولكن أن يقدِّموا أنفسَهُم أُنموذجاً حيًّا، ودليلاً واقعيًّا سلوكيًّا لنوعية الوطن الذي يمثِّلونه، ولنوعية الناس فيه. ونحن نعرفُ من رجال الأعمال والأثرياء مَن يجعلون جبينَ الأمة يقطرُ خجلاً بأفعالهم في الخارج، في حين يَحرِصُ السيدُ الجريسيُّ على اتِّزانه السلوكيِّ، وقوامه الأخلاقيِّ، ورَزانته المعرفية، وتوسُّمه الدينيِّ، وأوافقُ أن الجريسيَّ هنا لا يبذلُ جهدًا كبيرًا في ذلك؛ فهذا من طبيعته المرسَلة، وهذا بالضبط ما أعني. وهنا أجمعُ هذه الصفةَ مع الصفات السابقة لأرشِّحَهُ للأمَّة لمنصبٍ مهمٍّ: أرشِّحُه ليكونَ سفيرَنا التجاريَّ في العالم!

الأستاذ خالد بن عبد الله بن حمد الزامل[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. وطنيٌّ من الدَّرجَة الأولى

كانت معرفتي بالأخ عبد الرحمن الجريسيِّ أبي عليٍّ، معرفةَ أخوَّةٍ وصداقةٍ وزمالة لأكثرَ من خمسةٍ وعشرينَ عامًا، عرفتُهُ من خلال ارتباطنا بالغُرَف التجارية والعمل معًا في لجانها وأنشطتها ومؤتمراتها، إضافةً إلى زياراتنا في وفودٍ تجارية إلى دول العالم والاحتكاك به عن قُربٍ، وكذلك بقضاء وقتٍ ممتعٍ معًا ومع إخوةٍ أعزاءَ في أبْها في كلِّ صيفٍ.

عرفتُهُ رجلَ أعمالٍ ناجحًا، وما شركاتُهُ الكبيرةُ في المملكة ونجاحُها إلا دليلٌ على عصاميَّته ومُثابرته، وهو وطَنيٌّ من الدرجَة الأولى، دائمُ الدِّفاع عن المملكة في المؤتمرات الدولية، قدوةٌ للشباب في التزامه بالمواعيد والعمل الدَّؤوب، مخلصٌ لدينه ووطنه، لا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ.

له مواقفُ كثيرةٌ في إحقاق الحقِّ والوقوف بجانب ما يراه صوابًا، وله أيادٍ بيضاءُ في الأعمال الاجتماعية والخيرية.

عاصر تطوُّرَ الغُرَف التجارية وخاصةً غرفةَ الرياض، وإنشاءَ مجلس الغرف السعودية، وكان له جهدٌ واضحٌ في مسيرتهما وتقدُّمهما، وهو أيضًا لا يتنازلُ ألبتةَ عمَّا يعتقدُ أنه الحقُّ.

مَن يخالطْهُ، يعرفْ أنه بشوشٌ ومَرِحٌ، وأذكرُ له موقفًا متميِّزًا وهو: أنه عندما كانت غرفةُ الشرقية ترأسُ مجلسَ الغرف السعودية، في هذه المرحلة جرى انتخابُ رئيس جديد في غرفة الشرقية، فتداول مجلسُ الغرف: هل لغرفة الشرقية حقُّ الاحتفاظ برئاسة مجلس الغرف، أو أن هذه الرئاسةَ تنتهي بتغيُّر رئيس الغرفة؟ فما كان من الأخ عبد الرحمن إلا أن وقفَ مع ما يراهُ حقًّا وشرحَ للمجلس أحقيَّةَ غرفة الشرقية

١. رئيس مجلس إدارة مجموعة الزامل، ورئيس الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية سابقًا.

بالاستمرارِ برئاسةِ مجلسِ الغرف، حتى تنتهيَ مدَّةُ الرئاسةِ، بغضِّ النظر عن تغيُّرِ الرئيسِ، مع العلم أنَّ غرفةَ الرياضِ كانت هي المرشَّحةَ لتسلُّمِ رئاسةِ المجلسِ. فصارت هذه سُنَّةً اتَّبعها مجلسُ الغرفِ فيما بعدُ.

وقد أدَّى الشيخُ عملاً مهمًّا في التواصلِ البنَّاءِ والترابطِ بينَ ولاةِ الأمرِ والمسؤولينَ في الدولةِ وبين مجلسِ الغرفِ السعوديةِ، وما زال يؤدِّي ذلك العملَ المهمَّ مع زملائِه رؤساءِ الغرفِ التجاريةِ.

وفَّقه اللهُ لما يحبُّ ويرضى، وأسألُه سبحانه أن يُطيلَ عُمُرَهُ بالصحَّةِ والسعادةِ، وأن يستمرَّ في أداءِ دورِهِ الرائدِ في المجتمعِ.

المهندس سعد إبراهيم المعجل[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ .. حُضورٌ مُستمرٌّ

لقد زاملتُ الأخَ عبدَ الرحمنِ الجريسيَّ في مجلسِ إدارةِ غرفةِ الرياضِ، وما زلتُ، وشهدَتْ زمالتُنا تعاونًا كبيرًا فيما هو لصالحِ الغرفةِ والمجتمعِ ورجالِ الأعمالِ.

وكنا دومًا نتوخَّى ما فيه المصلحةُ العامةُ داخلَ مساحةٍ كافيةٍ من التقديرِ والاحترامِ للآخَرِ، وهذا التقديرُ المتبادَل سهَّل الوصولَ إلى موقفٍ مقبولٍ من الجميعِ.

وكان الإخوةُ الأعزَّاءُ في مجلسِ إدارةِ الغرفةِ يؤدُّونَ واجبَهم في اجتماعاتِ المجلسِ وفي لجانِهم على مستوًى مشرِّفٍ، ويوجِّهون القراراتِ إلى الوجهةِ الصائبةِ، وقليلاً ما نلجأُ إلى التصويتِ على القراراتِ التي تتباينُ فيها وجهاتُ النظرِ، والجميعُ يقبلُ بنتائجِ ذلك.

حضورُ الأخِ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ المستمرُّ في المناسباتِ الاجتماعيةِ والرسميةِ ومناسباتِ الغرفةِ ومجلسِ الغرفِ؛ أكسبَهُ الكثيرَ من التقديرِ لدى الجميعِ، وكذا اهتمامُهُ بالعلاقاتِ الخارجيةِ، وحرصُهُ على المشاركةِ الفاعلةِ وترؤُّسِ الوفودِ المسافرةِ للخارجِ؛ ممثِّلاً لغرفةِ الرياضِ أو لمجلسِ الغرفِ السعوديةِ، مع ما تتطلَّبُهُ هذه الأسفارُ من جُهدٍ كبيرٍ، وقد قوبلَتْ زياراتُهُ بتقديرٍ كاملٍ من عددٍ من الدولِ الخارجيةِ، وعبَّرت تلك الدولُ عن ذلك بمنحِه الأوسمةَ وشهاداتِ التقديرِ. وإن عبدَ الرحمنِ الجريسيَّ يَحرِصُ الحرصَ كلَّه على علاقتِه الشخصيةِ بكبارِ مسؤولي الدولةِ، وهو يَعُدُّ هذه العلاقةَ- ولديه الحقُّ في ذلك- أساسًا لإنجاحِ أعمالِ الغرفةِ.

ومشاركتُهُ في النشاطِ الاقتصاديِّ واضحةٌ وجليةٌ للعيانِ من خلالِ الاستثمارِ في مجالاتٍ كثيرةٍ، فهو صناعيٌّ مع الصِّناعيين، وعقاريٌّ مع العقاريين، وتاجرٌ من الطِّرازِ الأولِ مع التجَّارِ، ومتعهِّدٌ بارعٌ في المناقَصاتِ والتوريداتِ، وقد أسَّس وشارك وترأَّس عددًا كبيرًا من الشركاتِ والمصارفِ السعوديةِ والخليجيةِ.

١. نائب رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية والصناعية بالرياض، والعضو المنتدب لمجموعة شركات المعجل.

الشيخ حمد بن محمد بن سعيدان[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. كَما عرفتُه

حين عزمتُ على تسطير هذه الكلمات في حقِّ الشيخ عبدالرحمن الجريسيِّ، وبحُكم صِلَتي الوطيدة به، جالَتْ في خاطري أشرطةٌ كثيرةٌ من الذِّكريات والمواقف والأحداث، وحَسبتُ أنني أستطيعُ أن أخُطَّ فيه كتابًا كاملاً؛ لما تتحلَّى به هذه الشخصيةُ المحبَّبةُ إلى نفسي من مكانة طيِّبة وتاريخ طويل مملوء بالعطاء والكفاح، وعندَ الكتابة وجدتُّ أن قلمي ليس عملاقًا بحجم هذا الرجل، وأن قلبي ربما يتسعُ لأكثرَ مما تستوعبُه الصَّفَحات.

إن الاهتمامَ بالسِّيَر الذاتية لأشخاص مثل الشيخ عبد الرحمن بن عليٍّ الجريسيِّ، هو عملٌ مهمٌّ، لكونه لا يقتصرُ على الجانب التاريخيِّ فقط، بل يتعدَّاه إلى جوانبَ أخرى هي أكثرُ عمقًا وأثرًا؛ لما تزخرُ به من تجاربَ عميقة تلخِّصُ في مُجملها صورةَ الحياة وقتَ صناعة الحدث، وصورةَ النجاح لحظةَ تحقيق الهدف.

لقد عرفتُ الشيخَ عبدَ الرحمن الجريسيَّ منذُ زمن بعيد، وما زلتُ أراه حتى اليوم يمارسُ الأسلوبَ نفسَهُ في السعي الدَّؤوب من أجل تحقيق الإنجازات والنجاحات؛ فهو رجلٌ يُتقنُ صناعةً، ويتفانى لتحقيق إنجاز، يملكُ خبرةً عميقةً مبنيةً على التخطيط السليم والممارسة الواعية التي مكَّنَتْهُ من تأسيس مجموعة شركات الجريسيِّ، واستطاع أن يقومَ بدور بارز بالمشاركة في بناء النهضة التي شهدَتها المملكةُ في العقود الخمسة الماضية؛ في ميادين التجارة والأعمال والبناء والتعمير. إلى جانب ذلك نراه قد نَذَرَ وقتَهُ وجهدَهُ على مدى أربعين عامًا لخدمة قضايا الاقتصاد من خلال الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، وشرَّف بلادَهُ في الكثير من المحافل الدولية، واضْطَلَعَ بدور بارز ونَشط في مُساندة كثير من الجهات الخيرية ذات الطبيعة الإنسانية والعمل الطوعيِّ في كثير من الهيئات التي تخدم المجتمعَ وترتقي بمستواه العلميِّ والثقافيِّ والتوعويِّ.

آمُلُ لهذا الكتاب النفيس – الذي يتناولُ سيرةً عطرةً لرجل مُجدٍّ ومكافح، أخلَصَ النيةَ لله ولوطنه فأثمر عطاؤه – أن يكونَ قبَسًا من ضوء ينيرُ الطريقَ للشباب اليومَ، وكذلك للأجيال القادمة، وليحصلَ منه النفعُ والفائدةُ.

١. رئيس مجلس إدارة السعيدان العقارية، ورئيس مجلس إدارة شركة موطن.

الأستاذ عيسى بن محمد العيسى[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. بصَماتٌ راسِخةٌ

أن نتحدَّثَ عن الشيخ عبدالرحمن الجريسيِّ معناهُ أننا نتناولُ سيرةَ شخصية اقتصادية وطنية كبيرة، لها بصَماتٌ راسخةٌ في تعميق دورِ القطاع الخاصِّ في مَسيرة التنمية الاقتصادية، ولا سيَّما أننا نتحدَّثُ عن شخصية مُخَضرَمة عصاميَّة عاصرت كثيرًا من التحوُّلات التي رافقَت حركةَ التنمية التجارية والصناعية في المملكة على مدارِ أكثرَ من أربعينَ عامًا، بوقوفها وراءَ واحدة من المؤسَّسات التجارية العملاقة (مجموعة شركات الجريسيِّ التجارية)، ومن خلال عضويتها الفاعلة ورئاستها للغرفة التجارية الصناعية بالرياض، وهذا ما جعَلَها في قلب دائرة الأحداث وصناعة القرار؛ ليمنَحَها ذلك قُدرةً بارعةً على صياغة نظرة شُمولية للمستقبل الاقتصاديِّ، مبنية على فهم عميق للقضايا الحيوية التي تَشغَلُ الساحةَ المحليَّة.

مما لا شكَّ فيه أن الشيخَ الجريسيَّ بما يمتلكُهُ من صفات شخصية وقيادية لافتة، وخبرات عملية مُتراكمة، يُعَدُّ نموذجًا رائداً لرجل الأعمال السعوديِّ الناجح، الذي استطاعَ – بفضل الله، ثم بطُموحه ورُوح التحدِّي والإصرار لديه – تحقيقَ إنجازات طالما كانت محطَّ الأنظار المحلية والدولية؛ لتسجِّلَ تجربةً ذاتيةً تستحقُّ التأمُّلَ، كما تستحقُّ كلَّ التقدير والاحترام.

---

١. عضو مجلس الإدارة المنتدَب، والرئيس التنفيذيُّ بمجموعة «سامبا» المالية.

الشيخ عبد العزيز بن علي الشويعر[1]

عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الجريسيُّ

عندما تتوافَرُ العزيمةُ والطُّموحُ مع قوَّةِ الإرادةِ وصدقِها، يتحقَّقُ للفردِ النجاحُ، وهذا ما ينطبِقُ على السيرةِ العمليةِ للصديقِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ بنِ عليٍّ الجريسيِّ.

فلقد عرفتُهُ منذُ أربعين عامًا أو يزيدُ، بواسطةِ صديقٍ وَفِيٍّ مشترَكٍ هو الأخُ حَمَد الحنطي – رحمه الله – وبدأتْ تربطُني به منذُ ذلك الوقتِ وحتى اليومِ علاقةُ ودٍّ وإخلاصٍ وصدقٍ ومصارحةٍ.

إن الشيخَ عبدَ الرحمنِ الجريسيَّ عصاميٌّ من الدرجَةِ الأولى، عمليٌّ، طموحٌ، ينظرُ للأمامِ دومًا، لا يَكِلُّ من العملِ ولا يَمَلُّ، ولا تنثني عزيمتُهُ عندما لا يتحقَّقُ مطلبُهُ، بل يعيدُ الكَرَّةَ مراتٍ حتى يحقِّقَ ما يَنْشُدُه.

يباشرُ عملَهُ اليوميَّ في الصباحِ الباكرِ، مُتابعٌ من الدرجة الأولى لعمله وللعاملينَ معه، فيقدِّرُ المخلصينَ منهم، ويمنحُهم من الحوافزِ والمكافآتِ السنويةِ ما يستحقُّونَهُ؛ جزاءَ إخلاصِهم، وضَمانًا لاستمرارِهم.

تعرَّضَ لليُتمِ وهو صغيرٌ جدًّا فعاش في كَنَفِ عمِّه محمدٍ وجدَّته لأبيه – رحمهما اللهُ – وقد أنسَياه الشعورَ بفَقْدِ والدِه، ومَنحاهُ من المحبَّةِ والحنانِ وحُسنِ التربيةِ ما كان سببًا في بناءِ شخصيَّتِه واعتمادِه على نفسِه بعدَ الله.

بدأ العملَ لدى أحد تجَّارِ الرياضِ في ذلك الوقتِ الشيخ عبد العزيزِ النصَّارِ وعمرُهُ آنذاكَ لا يتجاوزُ الرابعةَ عشرةَ، حيثُ أُسنِدَ إليه فتحَ المحلِّ في الصباحِ الباكرِ وكذا في المساءِ، واستقبالَ العملاءِ، وإعدادَ القهوةِ والشايِ وتقديمَها لهم، مقابلَ مرتَّبٍ متواضعٍ جدًّا لا يتجاوزُ العشرينَ ريالاً في الشهرِ، واستمرَّ يعملُ في ذلك المحلِّ سنينَ عديدةً، حتى وصلَ مرتَّبُهُ مع الحوافزِ إلى ما يقرُبُ من خمسةِ آلافِ ريالٍ في الشهرِ، بسببِ ما أثبتَهُ من نجاحٍ وقُدرةٍ في أداءِ عمَلِه.

---

١. رئيس مجموعة «الشويعر» للاستثمارات.

بعدَ تجربته الناجحة في العمل لدى الآخرين، رَغبَ الرجلُ في إنشاء عملٍ خاصٍّ به، فاستأذن النصّارَ في إنهاء خدمته ليبدأ عملَهُ الجديدَ، حيث قام بإنشاء مؤسَّسة بيت الرياض في عام (١٣٧٨هـ)، وقد تعرَّض لكثيرٍ من الإخفاقات في بداية العمل وفي شَركَته مع غيره، لكنه استطاعَ بما منحَهُ اللهُ من المواهب وعدم الاستسلام للهزيمة، وبموقف صادق وشهم من صديقه حَمَد الحنطي (أبو معاوية) رحمه الله – وهو الموقفُ الذي ظلَّ يقدِّرُهُ له ويردِّدُهُ في أكثرَ من مناسبة وحتى اليوم – استطاعَ أن يتجاوزَ كلَّ العقَبات ويستأنفَ المسيرةَ من جديد، ليقفَ على قدمَيه ويبدأَ مشوارَهُ الطويلَ في طريق النجاح، بمساعدة رجالٍ مخلصينَ أحسنَ اختيارَهم للعمل معه؛ فكان النجاحُ حليفَهُ وحليفَهُم بتوفيق الله.

وشقَّ الرجلُ طريقَهُ في هذا الاتِّجاه محلِّقًا نحوَ الهدف، حتى أصبحَ عَلَمًا من أعلام رجال المال والأعمال، فأنشأ الشركات الواحدةَ تلوَ الأخرى، وأقام المصانعَ، وحصل على الكثير من الوكالات التجارية المتميِّزة، ولم يترُك بابًا أو مجالاً للرقيِّ بمصانعه أو شركاته التجارية ومؤسَّساته وتطويرها إلا طَرَقَهُ؛ وبذلك حقَّقَ اسمًا تجاريًّا معروفًا على المستوى المحلِّي والعالميِّ.

انضمَّ لمجلس إدارة الغُرفة التجارية الصناعية بالرياض في وقتٍ مبكِّر، واستطاع أن يفوزَ برئاسة مجلسها، ويشاركَ في تطوير الغرفة ونموِّها على مدار عشَرات الأعوام، وحتى اليوم.

رأسَ مجلسَ الغُرف التجارية في المملكة في مراحلَ متتالية كثيرة، وحضر المؤتَمَرات الدوليةَ وأسهمَ في إثرائها، وساعد في تعزيز العلاقة التجارية مع كثيرٍ من الدول، حتى أصبح بمنزلة السفير التجاريِّ المتنقِّل لبلاده، وشارك في عددٍ من مجالس إدارة الشركات والمؤسَّسات الحكومية والخيرية.

له إسهاماتٌ مشكورةٌ كثيرةٌ في مجال العمل الاجتماعيِّ، وحضورٌ دائمٌ وداعمٌ في كلِّ المناسبات، يحبُّ مسقطَ رأسه بلدة (رَغْبَةَ)، ويحلو له الاستشهادُ والاعتزازُ بها وبما فيها في كلِّ مناسبة، وقدَّمَ لها ولأهلها الكثيرَ، ويظلُّ من حقِّهم عليه المزيدُ؛ فهو أهلٌ لذلك.

أعتبُ عليه عتابَ المُحبِّ؛ أنه لم يُعطِ نفسَهُ ما تستحقُّ من راحة بعدَ هذا المشوار الطويل والنجاح الكبير، وفي كلِّ مرة يعدُني أن يأخذَ بالنصيحة وأن يتخلَّى عن كثيرٍ من ارتباطاته، لكنه يؤجِّلُ الوَفاءَ بوَعده، وهذا ما يؤكِّدُ أنَّ حبَّهُ للعمل هو سرُّ نجاحه، إلا أنَّ لنفسكَ عليكَ حقًّا (أبا عليٍّ)، فلا تحرِمْها.

وملخَّصُ رأيي في عبد الرحمن الجريسيِّ أنه رجلٌ عصاميٌّ من الدرجَة الأولى، استطاعَ أن يحقِّقَ النجاحَ، وأن يبنيَ لنفسه سُمعةً ومَوقفًا وكيانًا مَرموقًا في بلاده وخارجَها، له إسهاماتٌ ومشاركاتٌ مشكورةٌ مقدَّرةٌ في خدمة مجتمَعه، ومن حقِّ الأجيال القادمة عليه أن يعرضَ لهم تجربتَهُ الثرَّة، ويدوِّنَها للإفادة منها.

الشيخ نجم عبد الله أبا حسين[1]

عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ.. عِصاميٌّ وشخصيةٌ متميِّزةٌ

تربطُني بالشيخ عبد الرحمن بن عليٍّ الجريسيِّ علاقةٌ متينةٌ امتدَّتْ أكثرَ من ربع قرن، والعلاقةُ مع الجريسيِّ علاقةُ جيرةٍ؛ فمقرُّ عملي قريبٌ جدًّا من منزله، وهو الأمرُ الذي سهَّلَ كثيراً من وسائل تواصُلنا، وهي علاقةُ زمالةِ عملٍ تطوُّعيٍّ تنوَّعتْ بين أركان الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، سواءٌ من خلال مجلس إدارتها أو عضوية لجانها الكثيرة، وكذلك هي زمالةُ لجانٍ خيريَّةٍ.

وعلى الرُّغم من طول مدَّة العلاقة بيننا أعترفُ أنني لا أعرفُ عن (سفير التُّجَّار) – كما يسمِّيه قطاعُ الأعمال السعوديُّ – إلا القليلَ، لكنه في نظري قليلٌ يملأُ صفَحاتٍ من الكتب لو تركتُ لقلمي حُرَّيتَهُ في سرد ما يتمتَّعُ به أبو عليٍّ من حياة إيجابية مَلأى بالخير، لكنني سأختصرُ في الحديث؛ آخذًا في الحُسبان إتاحةَ الفرصة لآخرينَ لمشاركتي تلك المشاعر.

أبو عليٍّ الذي بدأ من الصِّفر، اكتسبَ خبرتَهُ من النموِّ التدريجيِّ لمؤسَّسته، فهو ليس ابنًا لتاجر، وإنما هو رجلٌ تميَّز بعصاميَّة في الحياة، وكفاح في الأداء، وسُرعة بديهة في الرأي، وذكاء مُبهر، مع صبر ودَأَب، وجدٍّ في العمل، وصدق في التعامُل. هو حريصٌ جدًّا على جَودة المنتَج أيًّا كان، مع تقديم الصِّيانة الكافية له، والخدمة السريعة المميَّزة للمُستفيدينَ منه. هذه الصفاتُ قلَّ أن تجدَها في إنسانٍ في هذا الزمان.

وأبو عليٍّ من جهة أخرى مستمعٌ جيدٌ لمن حولَهُ في الحوار، يحتوي الرأيَ الآخرَ من أيِّ وجهة أتى، ومن أيِّ شخص كان، وعندما لا يتوافقُ رأيُهُ مع رأي غيره لا يتعصَّبُ لرأيه هو، ولا يؤثِّرُ ذلك في علاقته الشخصية مع مَن يختلفُ معه في الرأي أو الفكرة، مردِّدًا دومًا أنه: «عندما تصدُقُ النيَّاتُ فإنَّ الصِّعابَ تَهُون»، وأنه: «كلَّما درَسنا الأخطاءَ اختصَرْنا الطريقَ نحوَ النجاح».

---

١. رئيسُ مجلس إدارة مؤسسة «نجم أبا حسين»، وعضوٌ سابق في إدارة الغرفة التجارية والصناعية بالرياض.

وإن القريبينَ من الشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ ليُعجَبون بتواضُعه الجمِّ، واستقامة سُلوكه وحبِّه لفعل الخير دونَ الإعلان عنه، ويُدركونَ كيف هو التنظيمُ والتخطيطُ في حياته؛ فعمَلُهُ ومشاغلُهُ الكثيرةُ لم تصرفْهُ عن برِّه بوالدته وتربية أبنائه سلوكيًّا وتجاريًّا، ولا عن أصدقائه القُدامى الذين لا يزالُ وفيًّا في علاقاته معهم، متواصلاً دومًا معهم، عارفًا بكلِّ شؤون حياتهم.

والشيخُ عبدُ الرحمن ليس مجردَ رجلِ أعمالٍ ناجحٍ استطاعَ أن يحقِّقَ لنفسه مكانةً بين الأثرياء الذين يعرفُهم العالمُ، إنما هو نموذجٌ فذٌّ للشخصية السعوديةِ العصاميَّة الطَّموحة التي لا يتوقَّفُ طموحُها عندَ حدٍّ. والقريبونَ من أبي عليٍّ يكتشفونَ أنه رجلٌ منظَّمُ التفكيرِ ومخطِّطٌ جيدٌ للوقت؛ يستثمرُهُ كأفضل ما يكونُ؛ فهو لا يَدَعُ الأمورَ تجري على عَواهنها، أو تسيرُ بقوَّة الدفع كريشَة في مهبِّ الريح، وهو مضربُ المثل في ذلك لأجيالٍ وأجيال. ونحن في عالمنا العربيِّ نفتقدُ كثيرًا إلى التنظيم الجيد للوقت والتخطيط لكلِّ شؤون حياتنا، وربما كان هذا الفارقَ الأساسيَّ الذي يفصلُ بيننا وبين دولِ الغربِ المتقدِّم الذي تميَّزَ علينا وسبقَنا باهتمامه وعنايته بهذه الجوانب، وإن مَن يقتربْ من الشيخ عبد الرحمن الجريسيِّ يلحَظْ تلك الشخصيةَ المنظَّمةَ والمخطِّطةَ لكلِّ شيءٍ، لا يتركُ الأمورَ للمصادَفة أو البركة – كما يحلو للبعض تسميتَها – وإنما يدرُسُ الأشياءَ بعُمقٍ وتروٍّ، لا يؤخِّرُها وإنما يجوِّدُ أداءَها.

إن أسلوبَ التفكيرِ المنظَّم الذي يسلكُهُ أبو عليٍّ في كلِّ شؤون حياته، هو الذي صنعَ منه– بعدَ توفيق الله عزَّ وجلَّ– شخصيةً فذَّةً ونموذجًا مميزًا ومرموقًا ومحبَّبًا لدى الجميع، حيثُ تحوَّل من موظَّف صغير في محلٍّ مغمورٍ إلى رجلِ أعمالٍ ترتبطُ به دوائرُ عالميةٌ كثيرةٌ؛ تستمعُ إليه جيدًا، وتقدِّرُ رؤيتَهُ في كلِّ ما يتصلُ بأمورِ الاقتصادِ والاستثمار، ليس فقط في المملكة ولكن أيضًا في المنطقة العربية.

واستطاع الرجلُ بعصاميَّته وذكائه الفطريِّ الفائق وحسِّه التجاريِّ والاستثماريِّ المرهف أن يحتلَّ موقعًا متميزًا في قائمةٍ تضمُّ كبارَ الأثرياء والمتميِّزين والشخصيات المعروفة عالميًّا.

وعلى المستوى الشخصيِّ والإنسانيِّ إذا تحدثتَ إلى الشيخ عبد الرحمن فلن تملَّ حديثَهُ، فثقافةُ الرجل وخبراتُهُ الواسعةُ تجعلُهُ يتحدَّثُ وكأنه خبيرٌ في كلِّ جانبٍ من جوانب الحوار، ساعدَهُ في ذلك حبُّهُ للاطلاع، ونَهَمُهُ في القراءة، وأسفارُهُ وتَرحالُهُ الدائمُ من أجل العمل، وصداقاتُهُ للكثير من الشخصيَّات الدولية الكبرى في كثيرٍ من دول العالم، سواءٌ منهم من يعمَلُ في المجال الاقتصاديِّ أو السياسيِّ.

ومن توفيق الله تعالى أن تحظى الغرفةُ التجاريةُ الصناعيةُ بالرياض برئاسته لمجلس إدارتها أكثرَ من دورة، وقد كان لي الاعتزازُ في عضويَّتها عند ترؤُّسه لها؛ إذ استطاع بفكرِه الثاقب ورؤيته الشفَّافة وإحاطته الفائقة بكلِّ دقائق قطاعِ الأعمالِ وما تواجهُهُ منشآتُهُ من مشكلاتٍ أن يعرفَ كيف يطوِّرُ عملَ الغُرَف وأن يحقِّقَ

لغرفة الرياض نُقلةً نوعيةً متميِّزةً في الأداء، فصارت أداةً من الأدوات المساعدة والمساندة لصُنَّاع القرار الاقتصاديِّ والمخطِّطينَ له في المملكة.

والمتابعُون لما تحقَّق للغرفة التجارية الصناعية بالرياض من نُقلات كمَّية ونوعية في أدائها وموقعها الاقتصاديِّ المحليِّ والعالميِّ منذُ تولِّيه رئاسةَ مجلس إدارتها؛ يوقنون بأنَّ هذا الرجلَ – بما أوتيَ من خُلق رفيع وإخلاص وبُعد نظر – قادرٌ حقًّا على تحقيق الكثير من التطوير والتنمية لأيِّ مرفق يتولَّى قيادةَ دَفَّته؛ وهذا ما يجعل الجميعَ يقفُ إعجابًا وتقديرًا لما تحقَّق للرجل في المجال التجاريِّ الذي بدأه يسيرًا جدًّا، وتربَّعَ على قمَّته حاليًّا بمجموعة شركات الجريسيِّ التجارية. وقد مكَّنَتْهُ إجادتُهُ للُّغة الإنكليزية وحسنُ تعامله مع الجميع، من أداء دَور بارز في خدمة الوطن في المجال التجاريِّ؛ بتطوير علاقات الوطن التجارية مع عدد من دول العالم وخاصةً الصينَ، وتصحيح الصورة الذهنية عن وطننا العزيز في كلِّ لقاء من لقاءات رجال الأعمال الأجانب.

والجريسيُّ– الذي قدَّرهُ الوطنُ بمَنْحه عددًا من الأوسمة وشهادات الشكر والتقدير، وكافأَتْهُ دولٌ كثيرةٌ من العالم بشهادات دكتوراه فخرية وأوسمة رفيعة المستوى، ويَسُرُّهُ ابنُهُ الدكتور خالدٌ بإعداده لهذا الكتاب– يستحقُّ من الجميع الدعاءَ بالتوفيق وطول العمُر وحُسن العمل.

الشيخ سعد بن عبد الله الخريِّف[1]

الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ عميدُ تجَّارِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ.. كما أعرفُه

يُعَدُّ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الجريسيُّ عَلَمًا من أعلامِ الاقتصادِ في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ، ورمزًا من رموزِه، ومن يتعرَّفِ الشيخَ عبدَ الرحمنِ عن قربٍ، ويطَّلعْ على تاريخِه وسيرتِه العمليةِ، وإسهاماتِه في خدمةِ الاقتصادِ الوطنيِّ، والمناصبِ التي تبوَّأها، يُدركْ ما لهذا الرجلِ من قُدُراتٍ غيرِ عاديةٍ، مكَّنتهُ من الوصولِ إلى ما وصلَ إليه، ولعلَّ من أهمِّ قُدُراتِه: عصاميَّتَه، وكفاحَه، وقدرتَه على التعلُّمِ من الصِّعابِ التي يمرُّ بها ليتجاوزَها، ويتَّضحُ ذلك من تلك البداياتِ المبكِّرةِ في خوضِ غمارِ العملِ، وتحمُّلِ المسؤوليةِ، حين بدأ حياتَهُ العمليةَ في سنِّ الرابعةَ عشرةَ من عمُرِه، وقد كان عليه حينها البقاءُ ساعاتٍ طويلةً في الدكَّانِ، مع كونِه نشأ يتيمًا، وفي تلك المرحلةِ تعلَّم أيضًا أن يكونَ حازمًا وعازمًا في جميعِ أعمالِه ومواقفِه، مع نفسِه ومعَ الآخرين، وبرزَتْ قدراتُه في تعلُّمِ مهاراتِ السوقِ والحساباتِ والمغامرةِ؛ ليبدأَ رحلتَهُ التِّجاريةَ. ويتميَّزُ الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ بدَماثةِ خُلقِه وتواضعِه، فكسَبَ بذلك محبَّةَ الناسِ واحترامَهُم.

وفي مدَّةٍ غيرِ طويلةٍ، انطلق الشيخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ ليؤسِّسَ إحدى كبرياتِ المنشآتِ الاقتصاديةِ الوطنيةِ، وهي مؤسَّسةُ (بيتِ الرياضِ)؛ لتتَّسعَ فتشملَ مجموعةً من الشركاتِ التجاريةِ، وأسهم في قيادةِ العملِ الاقتصاديِّ الوطنيِّ؛ بعضويتِه في الغرفةِ التجاريةِ الصناعيةِ بالرياضِ، ثم رئاستِه لها على مدى خمسِ دوراتٍ متتاليةٍ، تطوَّرتْ فيها خدْماتُ الغرفةِ التجاريةِ التي تقدِّمُها لمنسوبيها، وأصبحت مَعْلمًا اقتصاديًّا كبيرًا، يتناسبُ مع حجمِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ وثِقَلِها الاقتصاديِّ العالميِّ. وقد اتَّسعت اهتماماتُ الشيخِ عبدِ الرحمنِ الجريسيِّ لتشملَ أعمالَ الخيرِ، ومساعدةَ الآخرين، ويُعرفُ عنه عدمُ رغبتِه في الإعلانِ عن أعمالِه في هذا المجالِ، نسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَها في موازينِ حسناتِه، وأن يُكثِّرَ من أمثالِه.

---

١. رئيسُ مجلسِ إدارةِ شركةِ مجموعةِ الخريِّف، وعضوُ إدارةِ الغرفةِ التجاريةِ والصناعيةِ بالرياضِ.

الأستاذ عبد العزيز قاسم كانو[1]

عبدُ الرحمن الجريسيُّ.. أخٌ عزيزٌ

الأخُ عبدُ الرحمنِ الجريسيُّ – يحفَظُهُ اللهُ – أخٌ عزيزٌ، عرفناه منذُ الستينيَّات؛ أي: منذُ ما يزيدُ على خمسةٍ وأربعين عامًا، كانت مَلأَى بالكفاحِ، وقد توَّجَهُ له الله – عزَّ وجلَّ – بالنجاحِ، عايشتُه طيلةَ هذه السنواتِ، ولم أرَ منه إلا كلَّ خيرٍ.

بدأ حياتَهُ العمليةَ بالصبرِ والمثابرةِ إلى أن كتب اللهُ له النجاحَ، وصار من رجالِ الأعمالِ الذين وضَعوا بصمتَهُم البارزةَ في اقتصادِ المملكةِ؛ بآرائه البنَّاءة، ونَظَراته الثاقبة في عالمِ المالِ والأعمالِ، يتمتعُ دائمًا بشخصيةٍ مرموقةٍ، يقدِّرُها الصغيرُ قبلَ الكبيرِ من أبناءِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ وخارجَها.

رأيتُهُ دائمًا متواضعًا، وهي سمةٌ من سماتِ النجاحِ، وكذلك هو قدوةٌ يُصغي إلى كلِّ من يقصِدُهُ، ويتبارى في العملِ الخيريِّ، فأذكرُ له اهتمامَهُ الشخصيَّ بجمعِ التبرُّعاتِ لدعمِ الشعبِ الفلَسْطينيِّ ونُصرته منذُ عشرِ سنواتٍ، في برنامجِ كفالةِ الأسرِ الفلسطينية، حيثُ لمسنا سَعْيَهُ الحَثيثَ وجهودَهُ الطيبةَ من أجلِ نصرةِ الإخوانِ المجاهدينَ وأُسَرِهم المناضلةِ في فلسطينَ.

أذكرُ زيارتَهُ إلى مملكةِ البحرينِ في معيَّةِ صاحبِ السموِّ الملكيِّ الأميرِ سلمانَ بنِ عبدِ العزيزِ، أميرِ منطقةِ الرياضِ– حفظه اللهُ– قبلَ ستِّ سنواتٍ تقريبًا، عندما لفتَتْ شخصيتُهُ الطيبةُ الودودُ أنظارَ الكثيرِ من المسؤولينَ، وبسؤالِهم إيايَ عن شخصهِ كان جوابي بأنه شخصٌ يتكلمُ قليلاً ويفعلُ كثيرًا، فلم أرَ أحدًا عرفه إلا أحبَّه.

رأيتُهُ عَلَمًا من أعلامِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ، وله مواقفُ كثيرةٌ، وبَصمةٌ مشرِّفةٌ على الاقتصادِ الوطنيِّ بالمملكةِ، فقد رَأَسَ وفدَ رجالِ الأعمالِ السعوديينَ لكثيرٍ من البلدانِ، وسُعِدتُّ بصُحبتِهِ مع بعضِ الوفودِ إلى عددٍ من الدولِ.

---

١. نائبُ رئيس مجلس إدارة مجموعة يوسف كانو.

لم أَرَهُ يومًا يثورُ، ولا أعتقدُ أن شخصيةَ الأخ عبدِ الرحمن يمكنُ أن تثورَ بسُرعة، وهو يتمتَّعُ بالكثيرِ من الصِّفاتِ الحميدة، وعلى رأسِها: إنكارُهُ لذاته، وتواضعُهُ، ومبادرتُهُ بالسلامِ على الآخرينَ، عندما يقصِدُهم لتحيَّتِهم قبلَ أن يقصِدُوه، حتى وإن كانَ مشغولاً فإنه يُجامِلُ الآخَرين، ولا يردُّ أحدًا إذا طلبَ منه المساعدةَ، ويفرَحُ كثيرًا بلقاءِ أصدقائِه.

وعندما كنتُ أزورُهُ في مكتبِه وأجلسُ معه لاحتساءِ القهوة، كان يجعَلُني – بأسلوبِهِ الراقي، وشخصيَّتِه الجذَّابة – أُقْبِلُ على شراءِ الأثاثِ والسَّجَّادِ لمعظمِ مكاتبِنا؛ فهو بارعٌ مُقنعٌ في البيعِ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يحفظَ الأخَ عبدَ الرحمنِ من كلِّ سوءٍ، وأن يُديمَ عليه كريمَ نِعَمِه وخيراتِه؛ إنه سميعٌ مجيبٌ.

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تتمُّ الصالحاتُ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ بالرحَماتِ، نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

فأيُّها القارئُ الكريمُ، بعد مُطالعَتِكَ هذا الكتابَ الذي آمُلُ أن تكونَ قد وجَدتَّ فيه ما يحقِّقُ لك الفائدةَ والمتعةَ، اسمَحْ لي في ختامِه أن أوجزَ لك أبرزَ السِّماتِ الشخصيَّةِ التي أهَّلت عبدالرحمن الجريسي ليصلَ إلى ما وَصَلَ إليه من نجاحٍ، وأن يحقِّقَ ما كان يصبو إليه من طُموحٍ وأهدافٍ.

لقد ظهر لنا جليًّا في هذا الكتابِ وفُصولِهِ جُملةٌ من الصِّفاتِ التي تشكِّلُ شخصيَّته، وتَتَمحْورُ حولَها عِصاميَّتُهُ، من أهمِّها:

التوكُّلُ على اللهِ عزَّ وجلَّ في كلِّ أمرٍ يُقدمُ عليه؛ صغيرًا كان أو كبيرًا، فأمرُ التوكُّلِ حاضرٌ دائمًا في قلبِ الوالدِ، بعدَ أن يأخذَ بالأسبابِ المؤدِّيةِ لتحقيقِ المطلوبِ بإذنِ اللهِ. وهو أيضًا يفقَهُ روحَ الدِّينِ ويطبِّقُهُ في مُعامَلاتِه، هكذا عرَفتُهُ في بيتِه، وفي عمَلِه، وفي أسفارِه، وفي جميعِ حالِه؛ يعلِّمُ الدِّينَ بالقُدوةِ، ويؤمنُ بأن استقرارَ المرءِ وسعادتَهُ إنما تكونُ بالتزامِهِ أوامرَ الدينِ في حَياتِهِ الخاصَّةِ والعامَّةِ.

أضِفْ إلى ذلك ما تميَّزَ به من الصِّدقِ، والوَفاءِ، والكَرمِ، والقوةِ في الحقِّ، والحِلمِ، والصبرِ، وحُسنِ النيةِ في تعامُلِه مع الآخرينَ، وسلامةِ الصَّدرِ من الحقدِ والحسدِ، وضبطِ النفسِ حالَ الغضَبِ؛ وهذه صفاتٌ أساسيةٌ للترقِّي في سُلَّمِ النجاحِ، وصَدَقَ القائلُ:

لا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعلُو بِهِ الرُّتَبُ ولا يَنالُ العُلا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ

وهو عظيمُ البرِّ بوالدته، كان يهتمُّ بها اهتمامًا عظيمًا، ويسعى في إرضائِها، إلى أن تُوفِّيَتْ وهي عنه راضيةٌ كلَّ الرِّضا، رحمها اللهُ.

وله اهتمامٌ كبيرٌ بصلةِ رحمِهِ وذوي قَرابتِه؛ لعلمِهِ أن ذلك من الأسبابِ العظيمةِ في سَعَةِ الرِّزقِ والبَرَكةِ في العُمرِ.

ويتمتَّعُ بصفةٍ عظيمةٍ أكسبَتْهُ حبَّ الناس ونال بها ثقتَهُم؛ وهي حبُّ الخيرِ للآخَرينَ، فهو شديدُ الفَرَحِ والسُّرورِ بكلِّ خيرٍ يحصُلُ عليه الآخَرونَ.

وهو جادٌّ في عمَلِه، مثابرٌ في تحقيقِ طُموحِهِ وأهدافِه، يَحدوهُ في ذلك عَزيمةٌ صادقةٌ، تذلِّلُ العَقَبات، وتُزيلُ الصُّعوبات.

وهو ذو شخصيَّة متجدِّدة دائمًا، يحملُ روحَ الشبابِ بين جَوانحِه، يتعاملُ مع الصِّغارِ تعاملَهُ مع الكبارِ، لا يستصغرُ أحدًا، ولا يُغلقُ بابَهُ دونَ أحد.

مُولعٌ أشدَّ الولَعِ بالقراءةِ والاطِّلاعِ على كلِّ جديدٍ في عالمِ المالِ والاقتصادِ والسياسةِ والثقافةِ العامَّةِ، ويسعى بدأبٍ مستمرٍّ إلى تطويرِ مَهاراتِه وتنميةِ معلوماتِه.

لا يستسلمُ للإخفاقِ أبدًا، ويخرُجُ من أيِّ تجربةٍ مخفقةٍ مرَّ بها وهو أشدُّ قوةً وإصرارًا على بُلوغِ المرادِ؛ فالإخفاقُ عندَهُ خطوةٌ نحوَ النجاحِ.

ويمتازُ بقُدرةٍ عاليةٍ على نسيانِ المواقفِ المؤلمةِ، والتطلُّعِ دومًا نحوَ المستقبَلِ بنفسٍ مشرقةٍ ملؤُها الأملُ والتفاؤلُ.

يهتمُّ بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في عمَلِه، ويردِّدُ دائمًا: «مَن لم يهتمَّ بالصَّغيرةِ فلن يهتمَّ بالكبيرةِ»، ويُعنى بأمرِ من حَولَهُ ويبذُلُ لهم النصيحةَ، ولا يَتهاوَنُ في بَذلِ المعروفِ لهم.

وهو ذو تواضُعٍ جمٍّ، عاملاً بقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: (مَن تَواضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ)، وبذلك فَرضَ احترامَهُ على جميعِ مَنْ يتعاملُ معَهُم.

وهو يحبُّ مُخالطةَ الناسِ ومُشاركتَهُم في حياتِهم العامَّةِ ولا يَتعالى عليهِم، فتراهُ يَحرِصُ على حُضورِ المناسباتِ في الأعراسِ والأعيادِ ونحوِها.

وهو قُدوةٌ في تنظيمِ الوقتِ، مُتوازنٌ في شُؤونِه كلِّها، لا يطغى عندَهُ جانبٌ على آخَرَ، فمعَ شدَّةِ انشغالِه في العملِ، وكَثرةِ المَهامِّ المَنُوطَةِ به، يمنحُ الوقتَ الكافيَ لأسرتِه ولعلاقاتِه الاجتماعيةِ الخاصةِ، وكذلك لممارسةِ هواياتِه الخاصَّةِ؛ كالمطالعةِ وبخاصَّةٍ في الموضوعاتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ، وممارسةِ بعضِ الأنشطَةِ الرياضيَّةِ كالسِّباحةِ والمشي، فهو حَريصٌ على وَقتِه وعلى عَدمِ تضييعِ أيِّ جُزءٍ منه في غيرِ فائدةٍ، دَيدَنُهُ في ذلك قولُ البُستيِّ:

إذا مَرَّ بي يَومٌ ولَم أَصْطَنِعْ يَدًا ولَم أَسْتَفِدْ علمًا فَما ذاكَ مِنْ عُمْري

ومن أبرزِ ميزاتِه أيضًا أنه مُستمِعٌ جيِّدٌ، فلا يتحدَّثُ إليه أحدٌ في أمرٍ إلا ويُصغي إليه إصغاءً شديدًا، مُظهِرًا له اهتمامَهُ بما يقولُ، تاركًا له الفُرصَةَ حتى يفرُغَ من كلامِه.

لديه روحُ الدُّعابَةِ، ويتمتَّعُ بخفَّةِ الظِّلِّ، ويؤثِرُ الطُّرفَةَ الهادفَةَ، وابتسامتُه لا تفارقُ مُحيَّاهُ حتَّى في أحلَكِ الظُّروفِ وأصعَبِ المواقفِ، فهو يواجِهُ الحياةَ بكلِّ ما فيها بنَفسٍ مُطمئنَّةٍ وابتسامةٍ مُشرقةٍ.

ومن صفاته الملازمة له اهتمامُه بالآخَرينَ، فهو لا يُهمِلُ الردَّ على أيِّ أحَد اتَّصلَ به أو راسَلَهُ، مهما كان شأنُ ذلكَ الإنسان، فهو يَحرِصُ أشدَّ الحرصِ على أن يرُدَّ عليه بما يُوجِبُه الحالُ والمقامُ.

ولا يتأخَّرُ في بَذلِ الشَّفاعة لِمَن طَلَبَها مهما كان الأمرُ؛ طالبًا لموعودِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في قولِه: (اشفَعُوا تُؤجَروا)؛ لذلك فإن بابَهُ مُشْرَعٌ دومًا لمن يريدُ لقاءَهُ، ويجتهِدُ في أن يجدَ فُسحةً من الوقتِ لكلِّ مَن طلبَ مقابلتَهُ.

ولا يَألُو جُهدًا في مُشاوَرَةِ الآخَرينَ والأخذِ برأيهم، بل قد يُشاورُ الصِّغارَ في بعضِ الأمورِ ليرفعَ من مُستوى ثقَتِهم بأنفُسِهم، وهو لا يأنفُ من التعلُّمِ ممَّن دونَهُ، بل يهتمُّ بالمعلومةِ أيًّا كان مصدَرُها.

ولديه قُدرةٌ كبيرةٌ على تحفيزِ مَن حولَهُ وإلهابِ حماسَتِهم للعملِ معًا نحوَ الأهدافِ، وبذلك صنعَ قادةً كبارًا حَمَلوا المهمَّةَ معه بحبٍّ وإخلاصٍ كبيرَين.

ولعلَّ من أعظمِ ما تَميَّز به من الصِّفاتِ صفةُ العَدلِ والإنصاف، فلا يَضيعُ عندَه حقٌّ لأحدٍ، وكان يحرِصُ أشدَّ الحرصِ على أن ينالَ كلُّ من يتعامَلُ معَهُم حقوقَهُم مُستَوفاةً غيرَ مَنقوصَة.

ومع هذه الصِّفاتِ الحَميدةِ امتازَ بعَبقرية فذَّة مكَّنَتْهُ من تسنُّم ذُرا المجد، وتجلَّت عبقريتُه في رَصانةِ النَّهج، وسَدادِ الرَّأي، ونَفاذِ البصيرة، وصِدقِ الحَدْس، والقُدرةِ الفائقةِ على استِشرافِ المستقبلِ، وحُسنِ توظيفِ القُدرات.

تلك هي أبرَزُ الصِّفاتِ التي أكسَبتِ الوالدَ شخصيتَهُ القياديةَ الآسِرَةَ، وهي صِفاتٌ لا تتوافَرُ في أحدٍ إلا حازَ المجدَ من كلِّ أطرافِه؛ لأنها صفاتُ الناجحينَ.

أسألُ اللهَ العظيمَ بمنِّه وكرَمِه أن يحفَظَ الوالدَ، وأن يوفِّقَهُ لما فيه خيرُ الدارَيْن، وأن يرزُقَني وإخوتي حُسنَ برِّه، وحُسنَ الاقتداءِ به، وأن يُلهِمَ شبابَ الوطنِ الاستفادةَ من سيرةِ الوالدِ الشخصيَّة ومَسيرتِه العمَليَّة، وأن يحفَظَ بلدَنا الغاليَ، ويُعليَ شأنَهُ، وأن يُكْثِرَ فيه منَ الرجالِ المخلصينَ الذينَ لا همَّ لهم سوى رِفعَةِ شأنِ دينِهم، وازدِهارِ وطنِهم، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعاءِ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي